

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد جسد الإمام الخميني سلام الله عليه الإسلام المحمدي الأصيل من خلال حياته المباركة المفعمة بالعطاء والعمل والإخلاص حتى صار كل شيء فيه وكل عمل من أعماله أو قول من أقواله وحتى سكوته أو تقطيعه أو ابتسامته مرآة لطلاب الحقيقة تعكس في جنباتها أحكام وأخلاق وتعاليم الإسلام الحنيف، فإذا بمقلدي الإمام وأتباعه وعاشقيه قد صاروا بذلك أتباعاً وعشاقاً للرسالة المحمدية وصاحبها (صلى الله عليه وآله وسلم) فاختصروا المسافة والتاريخ ليصلوا من خلال هذا الإمام العظيم إلى معرفة سيد الأنمة والبشرية وبالتالي إلى معرفة الحق تعالى.

من هنا كان لمعرفة سيرة ومواقف الإمام الخميني سلام الله عليه الأهمية الكبيرة كمقدمة للالتزام بهذا النهج وللاقتداء بذلك الإمام الهادي العظيم.

ونحن بين يدي كتاب قيم للغاية في ظلال الشمس يكتسب قيمته من خلال أمرين أساسيين:

الأول: موضوع الكتاب، حيث يطل الكتاب من خلال موضوعاته وقصصه على جوانب مشرقة من حياة الإمام العظيم، مبيناً كثيراً من الجوانب التي غفل عنها أو تركها أو لم يكتشفها الكثير ممن كتبوا حول الإمام فإذا بقارنه يشعر من خلال كل ذلك أنه قد عاش مع الإمام وعرف الإمام أدق المعرفة.

الثاني: مؤلف الكتاب وهو الذي صحب الإمام على مدى ثلاثين عاماً ينهل من معينه إيماناً وصفاءً في الفكر والروح والقلب فإذا به المتيّم في حبه والعاشق لنهجه والساير في دربه والحافظ لسره، قد أشعل الفراق في قلبه كل زفريات الشوق والحنين فراح يخط ذكريات الحبيب الأكبر فإذا بالكلمات تتفجر لظى ويعجز الأدب والشعر عن الإحاطة بالمعنى فيصير الكلام عن الإمام في قلمه فوق الأدب وفوق الشعر كلام الروح للروح والقلب للقلب لغة لا يفقه بعد معناها إلا أمثاله من العاشقين أو من خطى في طريق العشق الأكبر.

إننا وإذ نفتخر بنشر هذا الأثر القيم نسأل الله أن ينفع به المسلمين والمستضعفين في العالم لتلمس طريق الإمام والسير فيها للوصول إلى عالم الملكوت والرضوان الأكبر عالم الإنسانية السامي.

والحمد لله رب العالمين

مركز الإمام الخميني الثقافي

قم الدراسات

مقدمة المؤلف

الحمد لله وصلى الله على محمد عبده ورسوله وآله الأطهار والسلام على روح الله والذين جاهدوا معه في سبيل الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

إن شخصية الإمام كالجبل الشامخ، سمت قمته فوق السحاب. روحه تتفياً ظلال سماء المعنوية وعبودية الحق، وأعماق وجوده ارتوى من زلال المعرفة الصافية لشدة تعلقه بمنبع الوجود الأزلي، كما وأن عيون ومنابع الحكمة جرت من فيوضات جوانبه، حتى أصبح قاصدو ماء الحياة العطشى سكرى شدة الشوق والوصال. فلا نظرنا المحجوب بالظلمات، استطاع إدراك أفاق عرفانه الذي لامس قمة الأفلاك، ولا خطوات معرفتنا المتعثرة قدرة على الوصول إلى سعة وأبعاد كمالاته.

إن عظمة شخصية الإمام وعمقها وسعتها سمت بحيث لم يتمكن أي شخص من الوصول إلى معرفتها الدقيقة، ولم يتسن ذلك حتى لأقرب الناس إليه، وأنجب طلابه، ولا بمقدور أحد ادعاء ذلك.

مع هذا كله، ومن زاوية البعد الظاهري والإثباتي، فإن كل شخص بحسب مدركاته وقابلياته قد نهل قطرة من بحر علمه وحكمته، وجميع هذه القطرات شكل رافداً من بحر فضيلته الذي ينساب لإرواء أولئك العطاشى، ورسم مستقبل التاريخ والأجيال القادمة.

وأنا العبد الحقير الذي قضيت أكثر من نصف عمري في ظل وجوده المبارك وقريباً من روضة جنان وجوده الوردي، والمحدود بفهمه وقابلياته. لم يحصل سوى قطرات معدودات من ندى جماله الملكوتي، ولا أظن أنني استحصلت على أكثر من نقطة ماء من ذلك البحر الواسع الزاخر.

وفي نفس الوقت الذي أدركت تلك القطرة، وأحسست بها، لم استطع صياغتها، فأنت ناقصة في قوالب الألفاظ من خلال قلبي العاجز.

على كل حال فإن جميع أعمال الإمام وحركاته وأحاديثه وسكونه وسكوته حتى الأمور الجزئية والدقيقة منها، تعتبر دروساً غنية وعميقة وملينة بالعبء، وليست سوى تجليات لحكمته الإلهية وروحه الملكوتية التي ارتبط وتعلق بها جميع أتباعه وعشاقه.

من هذه الجهة ينبغي على كل من عاش مع الإمام وسمع أو شاهد شيئاً أن يضعه بتصرف عامة الناس. وبناء على موقف بعض الأخوة في زمن حياة الإمام وإصرارهم الشديد على ضرورة تدوين هذه الخواطر والمشاهدات، قمت بمبادرة كتابة هذا الجزء اليسير الذي يستطيع الإنسان أن يركن إليه، ويضمن به لاستناده إلى الواقع، كما أن بعض الشواهد والخواطر نقلتها عن السيد مصطفى الخميني مباشرة، مجتنباً بذلك ما نقل عن الإمام بالواسطة لأن النقل بدون واسطة يعطي المطلب قوة واعتباراً، أضف إلى ذلك ما بقي في عالم النسيان ولم يدون حينها.

إن هذا الجزء الضئيل واليسير لبعض الذكريات والمشاهدات والخواطر مع الإمام عاشها الكاتب مباشرة، لا يمكن بأي حال أن تكون تعريفاً واستدلالاً على شخصية الإمام العظيمة التي حارت بها العقول.

وأني آمل من الآخرين الذي شاهدوا وسمعوا وعاشوا مع الإمام أن يكتبوا في هذا المجال أيضاً حتى تشكل بمجموعها سيرة متكاملة الجوانب عن حياة هذا الإنسان العظيم، وتكون الخط البياني والأسوة الحسنة لجميع أتباعه وعشاقه.

وفي المقام لا أخفي أنني احترزت عن ذكر بعض الخواطر والذكريات لأسباب سياسية، والبعض الآخر لعلمي بعدم رضا الإمام (قدس سرّه) بذكرها ونشرها، وجزء منها احترازاً من الوقوع في التكرار من خلال سردها في مذكرات الآخرين.

أسأل الله المنان، بخلوص كامل وتام أن لا أكون مصداقاً لـ«أشر الناس خدامنا» وأسأله صادقاً أن يحشرنا معه وشباب التعبئة المخلصين الذي لم يتمكنوا من أو يروه عن قرب، ولكنهم استطاعوا أن يطووا طريق ألف سنة بليلة واحدة ويذوبوا فيه، وهم الذين ساروا في طريق الشهادة بإشارة منه ووجدوا مقام الشهود وأسأله أن يحشرنا مع أوليائه المقربين والمتصلين بساحة الأحذية الأزلية.

أمين رب العالمين

الفصل الأول في طريق المعرفة

سنة 1962م

كان الإمام الخميني (قدس سرّه) شخصية عظيمة تألفت بمقام عالٍ في دنيا القيادة والمرجعية، عرفت ذلك من خلال والدي الكريم، بعد وفاة آية الله العظمى بروجردي، وفي سنة 1962م، سافرت إلى مدينة قم المقدسة بهدف دراسة العلوم الدينية وتحصيل المعارف الإلهية، وتحقيق رغبة عظيمة في نفسي وهي لقاء الإمام وأنا لم أتجاوز بعد الثلاثة عشر عاماً.

لم يكن ينقضي يوم واحد على وجودي في قم، وإذ بي اختصر مسافات وأطوي الشوارع والأزقة لأصل أخيراً إلى محلة «يخجال قاضي» حيث يقطن الإمام، وتراءت أمامي ديار المحبوب بجدرانها المبنية من الطين كأنها لوحات فنية حركت في نفسي مشاعر الحب التي اختلجت في قلبي.

كانت إقامتي في المدرسة الفيضية القريبة من حرم المعصومة المطهر وعندما يحين وقت أذان المغرب كنت أترك كلّ شيء، حتى الأحبة والأصدقاء وأركض مسرعاً إلى منزل الإمام لألتحق بصلاة الجماعة خلفه، رغم إقامة صلاة الجماعة في أماكن متعددة داخل الحرم وخارجه في الساحات التي كانت تزدهم بالمصلين في ذلك الزمان كانت إحدى مواصفات المجتهد أو المرجع أن يؤم صلاة الجماعة بأعداد ضخمة من المصلين في حرم المعصومة، أو في مسجد قريب منه وكلما زاد عدد المصلين خلفه كلما كبر شأنه واحترامه بين الناس إلا أن الإمام الذي كان يعقد مجلس درسه في مسجد «سلماس» الواقع بالقرب من محلة «يخجال قاضي» وتحضره أعداد ضخمة جداً من الطلاب لم يسع لإقامة صلاة الجماعة فيه، بل كان بعض الفضلاء وأنا أقلهم إضافة إلى عدد قليل من الطلاب الذين يدرسون عنده تفرع باب منزله المتواضع أثناء صلاة المغرب لننال توفيق وثواب صلاة الجماعة خلفه.

بداية الإشعاع

لم تكن شخصية الإمام حتى ذلك اليوم، وكما أشرت، معروفة ومشهورة، إلا بين الخواص، وأوساط الفضلاء، والمحافل العلمية فقط. لأن الإمام اتخذ منهج زهد في حياته يحتم عليه الابتعاد عن مواقع الشهرة والرئاسة، لدرجة أنه لم يعرف حتى في أوساط طلاب العلوم الدينية، حديثي العهد، فضلاً عن عامة الشعب، وما زلت أذكر جيداً ذلك الطالب الذي عشت معه، ولازمته في غرفة واحدة، كيف تعجب عندما عرفني أنني من مقلدي الإمام، ولم تطل تلك الفترة كثيراً حتى أعلن الإمام الخميني ثورته المباركة حينما عمد النظام الشاهنشاهي إلى مؤامرة دنيئة عرفت بـ«مؤامرة الولايات والمناطق» ذات المضمون اللاإسلامي، فانطلقت عندها المواجهة الشجاعة إيذاناً ببداية الثورة الإسلامية متزامنة بدفاع الإمام المستميت عن الشريعة والقرآن عبر مواقف صلبة وثابتة، كانت سبباً لحضور صورته الإلهية وشخصيته الملوكوتية وهي تسطع بنورها وعشقها لله لتنعكس على القلوب المؤمنة النابضة لكن سرعان ما أدرك نظام الشاه، ثورة القائد، وبعد أشهر قليلة التفت إلى الصحوة الإسلامية غير أداءه العملي وطرح بتخطيط أمريكي ما يسمى «بالثورة البيضاء» وذلك في السادس والعشرين من شهر كانون الثاني سنة 1963م. في عملية التفاف خبيثة مما دفع بالإمام إلى تصليب المواجهة مع أمريكا وعميلها الشاه وطرح مشروع الثورة الإسلامية وجهاً لوجه.

صباح ربيعي

في الخامس من شهر حزيران سنة 1963 م انطلقت أول خطوة معلنة بدء الثورة، وقد بدأت باعتقال الإمام الخميني وإيداعه غياهب السجن في طهران، وإذ بالخامس من شهر نيسان سنة 1964م يوماً لا مثيل له، فقد تم الإفراج عن الإمام الخميني ليواصل رحلته نحو مدينة قم المقدسة ويصلها في الساعة العاشرة ليلاً.

كانت الغوغاء في تلك الليلة تعم أرجاء قم ولا أظن أن المدرسة الفيزيائية شهدت في تاريخها هرجاً كالذي حصل في تلك الليلة، حيث كان الجميع في صحوة تامة، وأنا منهمك في كتابة «الأفيشات» الظلام كان حالاً ونحن نطوي أزقة محلة «بخجال قاضي» بدت لنا جموع الجماهير تنتشر في كل مكان، إنها لحظات تاريخية تعزف على أوتار قلوب العاشقين التي تخفق لرؤية مالكها، وقلوب الولهي في حالة انتظار لحظة اللقاء والوصال وأشرق فجر (الخامس من شهر نيسان سنة 1964) فجر القيامة. فجر الربيع الذي سطع كالشمس النيرة تبعث النشاط وتوقظ الروح فجراً في جنة الخلود، فجراً في ربيع حياة الخالدين، شمساً جديدة أشرقت من فجر صادق، وفي عالم المعنويات قطرات تنهمر على الأفئدة الحرة لتطفئ نار الهجران، ودموع الشوق والوصال تجري من عيون الوالهيين، وتطوف على الشفاه السكرى، ويصف أحد الأصدقاء حجة الإسلام محمد حسنين بهجت في بعض الأشعار تلك الأيام:

وتضحك الشفة من وجد الوصال

تبكي العين من شوق الوصال

أمضى الإمام تلك الليلة في منزل صهره المقابل لمنزله، لحظات أمضيها مليئة بثقل الانتظار، إلى أن اقترب موعد شروق الشمس لتمتزج دموع الفرح بصباحات الصلاة على محمد وآل محمد. لم يتمكن الإمام أمام هذا السيل البشري الهائل الذي احتشد أمام منزله على امتداد الأزقة من عبور زقاق لم يتجاوز عرضة ستة أمتار، وهاجت الأمة وماجت رغم كل التدابير المتخذة وسعي المرحوم الحاج السيد مصطفى الخميني والسيد أردستاني اللذين تميزا ببنية جسدية قوية. فشكلاً سداً منيعاً في وجه الناس عندما حاولت الدخول إلى داره، وما أن خطا الإمام خطوات، ونزل عن الدرج حتى أطاحت الجماهير بكل شيء فوقعت عمته المباركة عن رأسه، فامتزجت أصوات الفرح بتهنيدات الأسى خوفاً من أن يلحق بالإمام مكروهاً أو أذى، وفرحاً لرؤية الشمس في صبح الوصال. وكان هذا المشهد من أحب وأجمل أيام حياتي.

مهرجان الحرية

لقد كانت قم المقدسة تنعم بأجواء الفرح والسرور وتعيش بهجة النور عندما أقيم الاحتفال التاريخي العظيم الذي جرت مراسمه في فضاء المدرسة الفيزيائية بمشاركة عشرات الآلاف من الجماهير التي أتت قم من كافة أنحاء إيران كنت قد كتبت في هذا الاحتفال رقم غرفتي 26 بخط عريض، حيث تقع بالقرب من الزاوية المعروفة «بالخير». والتي كانت مركزاً لتوزيع بعض الحاجيات المعدة للمسافرين.

لقد كانت مشاركة الإمام للجماهير كبيرة، حيث توالى الاحتفالات لأسابيع متتالية متنقلة من شارع إلى شارع، وفي إحدى الليالي بينما كنا نحوي المهرجان الضخم الواقع في الشارع الفاصل بين «ميدان مطهري وميدان سعيدي» [1] والذي كان من المقرر أن يتحدث فيه السيد «مرواريد».

وبناءً على الخطة المرسومة، بدأت بتوزيع البيانات المعدة سابقاً، في هذا الوقت اعتقلت من قبل جهاز الأمن «السافاك»، حينها أُلقيت كل ما أحمل من بيانات من تحت العباءة التي ارتديتها لأجل ذلك، فتهافت عليها الناس من كل حذب وصوب مما استرعى انتباه رجل الأمن «السافاك» الذي يمسك بيدي والتفت إلى وراء ليرى ما الخبر اغتممت حينها الفرصة بعد أن هُيئت نفسي للفرار وقمت بحلية استطعت خلالها الإفلات من يد رجل الأمن، وقد ساعدني على ذلك طول قامتي الذي يتناسب مع عمري آنذاك بعد أن تم توزيع البيانات.

أول خطاب للإمام اهتزت له أرجاء إيران، بعد إطلاق سراحه، كان في المسجد الأعظم حيث أقام مجلساً حسينياً لذكرى عاشوراء «الخامس من شهر كانون الثاني سنة 1964م» بعد أن كان قد مضى عليها أكثر من أحد عشر شهراً، تجلّى حسين زمانه في مواقفه الكربلائية، وأدى دور زينب في إيصال رسالة دماء الشهداء، تحدّث الإمام فيها عن الأيتام الذين فقدوا آباءهم وعن الأمهات اللواتي قدمت شبابها، وعن النساء الفاقات لأخوتها وأزواجها، ورفع الستار عن كلّ جرائم نظام الشاه، وصعد من هجومه على العدو وحرك عجلة الثورة، حيث اعترى الجميع أحاسيس الغضب والنفور من يزيد ذلك العصر، ولم أر من قبل بكاء شعبياً وثورة غاضبة كالذي حصل في ذاك المجلس، ولم أذكر أنني بكيت قبلاً كما بكيت ذلك اليوم.

1964/10/15م

في الصيف

أقبل صيف سنة 1964 ميلادية. وأعلنت الحوزة العلمية عطلتها الصيفية، فتوجهت لقضاء فترة قصيرة في مسقط رأسي أصفهان، إلا أنني لم استطع تحمل عذاب البعد والفراق عن الإمام لذا كنت أختلق الحجج والأعذار كلّ عدة أيام لأجل إيصال الرسائل والحقوق الشرعية لأتمكن من الذهاب إلى قم ولقاء الإمام.

وفي إحدى المرات كنت على عجلة من أمري، فبعد أن وصلت قم قبل الظهر تشرفت مباشرة بزيارة الإمام ودخلت مجلسه، وكان مشغولاً بالمطالعة والقراءة، فقبلت يديه الشريفتين وسلمته رسالة وأمانة من والدي الكريم، وفي نفس المجلس سلمني جواب الرسالة وإيصال قبض الأمانة للذان كتبتهما بقلمه الشريف وودعني بمحبة ولطف كريمين.

«كابينتولاسيون» وإبعاد الإمام

خطاب آخر ألقاه الإمام في المسجد الأعظم في «التاسع من أيلول سنة 1964م» وأما الخطاب التاريخي الآخر فكان في السادس والعشرين من تشرين الأول سنة 1964م الموافق في العشرين من جمادي الثاني - 1384هـ.ق.

المصادف ليوم ولادة الزهراء (عليه السلام)، في منزله بمدينة قم المقدسة، حيث جدّد فيه موقفه المعارض «للكابينتولاسيون». وقد اكتسب ذاك اليوم عظمة كبيرة فاحتشدت الجماهير وازدحمت جوانب الطرقات المتفرعة من محلة «بخجال قاضي» ونصبت مكبرات الصوت لتشمل دائرة واسعة من الناس.

دخلت إلى حرم منزل الإمام قبل ساعات من بدء كلامه، وجلست على بعد مترين من المكان الذي جلس فيه، وبعد لحظات قليلة من الهيجان والأحاسيس والعواطف الجياشة وبعد الحمد والاسترحام بدأ الإمام كلامه «لا أستطيع أن أظهر الألم الذي اعتصر قلبي، والهم الثقيل الذي أناخ بكلّ كاهلي، قبل عدة أيام عندما سمعت أخبار إيران قلّ نومي، واستبد بي القلق، وعددت العدة للمفاجآت الآتية..»

لقد انطفأت أضواء العيد من سماء إيران، ليحل مكانها مراسم العزاء هكذا باعوا الشعب، وباعوا الاستقلال.. ليتسنى لهم الرقص في أنديتهم».

هذا الكلام نابع من أعماق روح الإمام، كلّ كلمة من كلماته وقعت كالشرر في قلوب الناس فأشعل فيها نيران اللهب، حتى وصلت أصدائهم وعبراتهم إلى عنان السماء.

لقد كان هذا اليوم مشهوداً، خُلد في الذاكرة لأن حالة الهيجان والعشق وتحريك العواطف الجياشة والبكاء العظيم كان أهم بكثير من كلام وخطاب مجلس العزاء الذي أقيم في المسجد الأعظم عن أرواح الشهداء في الخامس من حزيران سنة 1964م وهذا اليوم غير قابل للوصف والمقايضة، وفي صبيحة الرابع من شهر تشرين الثاني سنة 1964م أي بعد تسعة أيام من ذلك الخطاب - أعلنت حالة الطوارئ في مدينة قم، وأصبحت تعيش في ظل حكومة عسكرية. وفيما نحن محاصرون في مدرسة «خان» علمنا أن الإمام تعرض للاعتقال من جديد، وعلى إثر ذلك اعتقل المرحوم السيد مصطفى الخميني ثم أفرج عنه بعد شهرين ومن ثم اعتقل مجدداً وأودع السجن إلى جانب الإمام بعدها أبعدا معاً إلى تركيا.

خوف وهدوء

في هذا المجال وبعيداً عن التكلف أنقل لكم خاطرة عن المرحوم السيد مصطفى الخميني الذي قال:

«اعتقلت في الوقت الذي كانت المقامات العليا للنظام تتخذ إجراءات أمنية وعسكرية وقد بدت عليهم علامات الاضطراب والقلق من احتمال وقوع أي حادثة غير مرتقبة ومتوقعة وبما أنني كنب منهما لساعات طوال بالأعمال والحركة الدائمة، إضافة إلى قلة النوم بسبب اعتقال الإمام، اعتبرت لحظة خروجي من قم فرصة للراحة فاستسلمت لنوم عميق ولم أستيقظ إلا في طهران، وبدا واضحاً عليهم علامات الحيرة والتعجب التي لم يستطيعوا كتمانها».

فمقابل الخوف والاضطراب الذي سيطر عليهم رغم عديدهم وعتادهم، سكنت الطمأنينة والراحة في أعماق ابن روح الله، المكبل باليدن وهو لا يدري إلى أين المسير؟

ولا شك أن الإنسان يستفيد كثيراً إذا ما تأمل وتدبر هاتين الحالتين وقارنهما، من البديهي أن وصف وبيان جزئيات تلك الأيام، وسائر أحداث الثورة ومسرح حياة الإمام هي في عهدة المؤرخين.

أما أنا فأقوم بتدوين ملاحظاتي وانطباعاتي التي شاهدها بشكل مختصر ليس أكثر.

دعاء التوسل

بعد اعتقال الإمام وإبعاده إلى تركيا لمدة طويلة، كانت تعقد باستمرار مجالس دعاء التوسل بعد صلاة المغرب داخل حرم المعصومة (عليها السلام) لحفظ سلامة وحرية الإمام. وحقيقة لقد كان هذا الإحياء يعبر عن العواطف الصادقة والمخلصة للإسلام المحمدي الأصيل، وللأئمة (عليهم السلام) لأنه يشتمل على أدعية الإمام السجاد (عليه السلام).. واعتماد نهجه في الدعاء والبكاء.

إنها محطة جميلة في تاريخ الانشغال الجماهيري ضد الظلم والطاغوت في محتواه السياسي العبادي. وخصوصاً عندما نصل بدعاء التوسل إلى ذكر مصائب وغربة وسجن حضرة الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) تتداعي هنا الأفكار، وتنتذكر النفوس الثائرة ذكرى اعتقال الإمام ومظلوميته. وتشتعل في قلوب المحبين نيران العشق والهجران، وترداد اشتعالاً عند أولئك الذين لا يعلمون شيئاً وليس عندهم أي خبر عن مصير وحياة الإمام.

وتتعاظم الآهات ويتعالى البكاء، وتتحول الهتافات إلى شعارات منتظمة تجذب الزائرين وعندما يصل الأمر إلى مناداة صاحب الزمان الإمام المهدي، كان يسري الشعور لدى الجميع أن كلّ ما ينطبق على مناداة الإمام المنتظر الغائب ينطبق على نائبه الخميني الغائب أيضاً:

لا يصفو العالم لنا بدون وردة وجهك

لأن العالم جسم وأنت الروح والنفس

يخفى قرص الشمس على الخفاش

رغم أنه يملأ الكون نوراً

ينتظر كيعقوب رؤية وجهك

حتى يصل من يوسف الضائع.. عنوان

وذابت الجموع أيضاً بنيران البعد والهجران ولسان حال كلّ فرد:

حطم طوفان الغم الصدر..

واستقرت سفينة القلب في بحر الدم

وفي نهاية المطاف، تهيأت الجموع لإنهاء حالة الحماسة والثورة وحين ختم الدعاء أعلنوا أن الدين والسياسة والتولي والتبري وجهان لطريق واحد وامتزج ذلك بالدعاء لأجل انتصار الإمام والثورة.

وبدأ جهاز الأمن «السافاك»، عملاء الشاه الخائن، يضيقون ذرعاً بما يجري، عندما بدأت ترتفع أصوات الجماهير لتلعن نظام الشاه الظالم بشكل صريح.. وتصدح كلمة «أمين» مؤكدة ذلك حتى غدا المسجد في تلك المحطات ساحة حرب حقيقية تفصل بين الحق والباطل.

بين جنود الإمام صاحب الزمان من جهة، سلاحهم البكاء والدعاء وبين رجال الأمن السافاك عملاء الشاه الظالمين المجهزين بحراهم وعصيتهم الذين هدفوا إلى تعطيل المجلس وخلق جو من الفوضى والرعب حيث تجاوزوا بعملهم الإجرامي حرم المعصومة المطهر وبدأوا

الهجوم تلو الآخر، وتم اعتقال الكثيرين بطريقة وحشية كنت من بين الثمانية عشر شخصاً الذين اعتقلوا في الدفعة الأولى، وزجوا بنا في السجن، واستطاع عملاء النظام من ملاحقة الناس والتجمعات في المساجد ومن إلغاء هذه الجلسات التي تحولت فيما بعد إلى جلسات سرية دورية، تجري في منازل الطليعة حيث كان يدعى إليها الأستاذ الأكبر والعارف المستقيم أنصاري شيرازي، جاعلاً محور حديثه حول صفات وخصال الإمام المعنوية مما أعطى زخماً ودافعاً معنوياً عالياً لهذه الجلسات إلى حد أن بعض الطلاب كان يغمر عليه من شدة البكاء.

«كليشة» بدائية

لقد انعكست صورة الإمام الملوكوتية في قلوب الناس ومحبيه وأصبحت صورته النورانية زينة البيوت وأماكن الوالهيمن من النساء والرجال.. كانت هذه الظاهرة مع بداية الثورة. وانتشار حب الإمام بين الجماهير، أما بعد اعتقاله، فقد بدأ النظام يسعى لإزالة الصور ومحو اسم الإمام، فكان الرد العكسي أن غدت صورة الإمام الشعاع المطروح في مرحلة المواجهة، وتحركت أجهزة النظام لتخضع جميع المطابع ومراكز التصوير إلى المراقبة الشديدة لمنعهم من طباعة أو تظهير أي صورة للإمام وشرعت عناصر جهاز الأمن «السافاك» بتمزيق كل الصور الموجودة.

في غمرة هذه المحن القاسية وفقنا بتسديد إلهي إلى ابتكار طريقة جديدة رغم الإمكانات الفنية المتواضعة التي كانت متوفرة آنذاك، وتمكنت من تصنيع «كليشة» لطباعة الصور بالطريقة المذكورة أدناه.

نظراً إلى عدم خبرتي في مجال التصوير، حاولت أن أستفيد من صورة عادية للإمام، حيث قمت بتلوينها بالحبر بعد ذلك جلبت ممحاة من الحجم الكبير وقمت بالصاقها على الصورة ثم نزعتها عنها فطبعت وانتقلت الصورة عينها على الممحاة، وبعد ذلك قمت بحك بعض الأجزاء السوداء حتى تصبح أكثر بياضاً بقلم مخصوص لذلك، وبهذا حصلت على كليشة مقبولة إلى حد ما وأحضرنا الحبر المطلوب وبدأنا بطباعة الصور على جدران الطين والباطون وكم كان محوها صعباً عن الأماكن المطلوبة بالبويا والدهان.

ونظراً لتكرار العمل والتصنيع الدائم للكليشة اكتسبنا الخبرة والتجربة إلا أن مشكلتنا الأساسية كانت عدم توفر الإمكانات المالية وصعوبة الحصول على «ممحاة» من الحجم الكبير، ولكن بعد أن اطلع آية الله رباني شيرازي على الوضع الذي نعاني منه، ذهبت برفقته إلى أضخم مكتبة مختصة بلوازم التحرير في قم واشترينا كل ما هو موجود عنده من «ممحاة حجم كبير» ووضعها في تصرفي، على أثر ذلك اختفيت بالتدريج عن الأنظار حتى لا يشعر أحد بذلك ولم أعرف حتى أقرب المقربين وبعد أن صنعتهم وحولتهم إلى «كليشات» سلمتهم إلى آية الله شيرازي وتم توزيعها في سائر أنحاء إيران وبهذه الطريقة انتشرت صورة الإمام في جميع الأماكن على الجدران والطرقات، والأوراق النقدية، والأعلام الإيرانية، وبسبب هذا العمل اعتقل للأسف بعض الأخوة في بعض المدن الإيرانية.

والنموذج الملفت من استفادتنا العملية من هذه الطريقة، كان عصر أحد الأيام المضطربة في قم، حيث انتشرت قوات الكوماندونس المسلح في أزقة وشوارع قم الرئيسية مجهزة بكامل اعتدتها وفي وسط الميدان الرئيسي يقع مركز الضباط والقيادة العسكرية والأمنية للشرطة.

وما فعلته هو أنني عبرت الشارع باتجاه جدران المركز المذكور وطبعت صورة الإمام عليه، وزينت مركز القيادة العسكرية للشاه مما استرعى انتباه المارة وبدأوا يجتمعون لمشاهدة الصور، وشاهد الجميع كيف استنفر الضباط والعسكريون لمحو آثار الصور فأحضروا أدوية الغسيل وخرطوم الماء وغسلوا الجدران حتى لا يبقى أي أثر وقبل أن تصل الشرطة إلى المسجد الأعظم امتلأت أعمدته وجدرانه التي زينتها صور الإمام لعدة دقائق هذه الصور التي أثارت أعصاب الأعداء وتشنجت بسببها وأراحت في المقابل الأصدقاء والأحبة وفرحتهم كثيراً.

بطاقة المعايدة

حينما أودع الإمام في زنزانة السجن، وبمناسبة يوم النوروز لسنة 1964 ميلادية هيأت بطاقة معايدة عليها صورة الإمام طبع منها مئات الآلاف ليتم توزيعها في سائر أنحاء إيران بشكل سري بعد أن نالت موضع إعجاب الكثيرين، وقد تم الاستعداد لهذه الخطوة خلال فترة زمنية بسيطة بمعاونة المرحوم الشهيد «قريشي والشيخ كروبي».

كانت البطاقة تحتوي على مضمونين جميلين. الأول استفيد من الآية المباركة (رَبِّ السَّجُنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ).

حيث تتناسب مع حالة سجن الإمام وتشبه وضعية النبي يوسف (عليه السلام) والآخر هذا البيت من الشعر:

سيكون ذلك اليوم عيدنا على الإطلاق

حيث ستحقق فيه راية الحق

لم أعلم آنذاك كيف وقع اختياري على هذا البيت من الشعر وفي أي مكان وجدته وما السبب الذي تداعى في ذهني وبقي لغزاً طيلة خمس عشرة سنة، أدركته في ما بعد وعرفته في الحادي عشر من شهر شباط سنة 1979م يوم انتصار الثورة الإسلامية يوم الله، والعيد الحقيقي الذي ارتفعت فيه راية الحق خفاقة. أدركت يومها قوله تعالى:

(وَمَا رَمَيْتْ إِذْ رَمَيْتْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى).

وفي السنة التي تلت يعني نوروز سنة 1965م عندما أبعد الإمام عن طهران إلى تركيا، هيأت بطاقة معايدة جديدة احتوت على آيات قرآنية مناسبة مع بعض الأبيات من الشعر تصف حال العاشقين البعيدين عن محبوبهم. في تلك السنة، لم تسمح الظروف لطباعة تقويم مع صورة الإمام، فاستفدت من التقويم الموجود ووضعت صورة الإمام عليه وقمت بتخطيطها وتصويرها في «استديوهات» قم ليتم توزيعها لاحقاً وفي نفس السنة أيضاً هيأت صورة الإمام كُتبت تحتها متنناً باللغة العربية والإنجليزية للمرحوم آية الله رباني شيرازي قمت بتخطيطه ومن ثم بنسخه وتوزيعه في مكة المكرمة أثناء موسم الحج. وكان أول صورة توزع للإمام بهدف تبليغ رسالة الثورة الإسلامية والاستفادة من موسم الحج الكبير. إن عرض وبيان هذه المسائل التي تتعلق بمجريات الثورة وفيها جانب شخصي من الصعوبة بمكان ولكن أرى نفسي ملزماً ومضطراً لذكرها وأن كانت غير مهمة في مجرى حركة الثورة، وفي النهاية بعد أن اعتقلت عدة مرات لفترات زمنية قصيرة.. أصبحت في صيف سنة 1965م. مطارداً من قبل أجهزة الدولة بما دفعني للتخفي بين قم وأصفهان وطهران إلى أن تمكنت من الهروب إلى العراق، ووفقت لمجاورة العتبات المقدسة وأن أكون في خدمة الإمام في النجف الأشرف. لا أظن أبداً بأن سعادتي وتوفيقي بهذا العمل انتهى في لحظة رحيل الإمام، بل كان هذا العطاء جائزةً وتفضلاً علي من المولى عز وجل في هذه الدنيا حيث شملتني الهداية والتوفيق منذ طفولتي وريعان شبابي.

[1] دَوَّار الشهيد مطهري تعتبر من الساحات الرئيسية في مدينة قم تبعد عن دَوَّار الشهيد سعدي حدود 200م.

عرف العالم أجمع، بأن الإمام الخميني (قدس سرّه) غداً مظهراً تجلت فيه معاني الاستقامة والصمود، ما عدا فئة من الناس بعيدة عن الإسلام والإيمان وتنتظر بعين واحدة لم تتصور أن إنساناً يتحدى كل الصعوبات ويقف بقوة في مواجهة المنعطفات ويصمد أمام الأعداء في سبيل أهدافه، كيف يمكن أن يكون في ساحات أخرى مظهراً للقلب والرفق ومستودعاً للحب والحنان.

كان الإمام يخفي عن أعين الآخرين أسرارته وحاجاته وتهجداته وعباداته الخاصة بشكل كامل أما في بعض الموارد التي لا يمكن إخفاءها وكما رأيناه ورآه الناس أدهشنا حين وافاه نأباً وفاته ولده العزيز الذي كان يسير على نهجه ويمثل فاكهة قلبه ونور عينه لم ييكه، واكتفى بالقول: «إنا لله وإنا إليه راجعون».

كان في اعتقاد الأطباء أن الإمام سيتأثر ويذرف الدموع على ولده مما سيسبب له ارتفاعاً في الضغط يؤثر على قلبه لا سمح الله إلا أنهم فوجئوا بعكس ذلك. هذا الإمام العظيم لم تشاهده عين أثناء سماعه مجلس عزاء عن روح الإمام الحسين (عليه السلام) أو الزهراء (عليها السلام) أو الأئمة (عليهم السلام) إلا ورأت العبرات تنهمر من عينيه.

وفي أحد الأيام، وبمناسبة وفاة أحد الأئمة (عليهم السلام) ذهبت مع بعض الإخوة إلى غرفة الإمام لقراءة دعاء التوسل. فجلسنا مستقبلين القبلة وبعد أن بدأنا بقراءة الدعاء دخل الإمام وشاركنا مجلسنا وبدأ يتلو معنا الدعاء.

وفي الأثناء، أتى المقرئ على ذكر مصيبة أهل البيت (عليهم السلام) علماً بأنه ليس من القراء الماهرين ولا الذين يجيدون لغة العزاء، لكن في حضور الإمام، ارتسمت عليه علامات الاضطراب الشديد، وأخذ صوته بالتقطع والارتعاش، وما أن بدأ في قراءة المجلس لم يكن قد دخل بعد في بيان الأمور المهمة حتى أجهدش الإمام بالبكاء، وارتعشت فرائصه، في هذه الأثناء ألقى نظرة إلى وجهه الشريف لأرى دموع الصدق والإخلاص تتلألأ على وجنتيه وتنحدر بسرعة على ركبتيه، لم تمض لحظات حتى أشار أحدهم من زاوية لا يراه منها الإمام إلى قارئ العزاء أن ينهي المجلس، لأن هذا البكاء المتواصل من الممكن أن يترك أثراً على قلبه المبارك.

كان الإمام في النجف الأشرف يعقد في منزله مجالس العزاء عن روح الأئمة المعصومين (عليه السلام) أما في مناسبة وفاة الزهراء (عليها السلام) فتستمر مجالس العزاء لمدة ثلاث ليالي، وفي جميع هذه المجالس دون استثناء تنتابه حالة من الحزن والجزع يرافقها بكاء شديد يذرف فيها الدموع. إن حالة البكاء عند عامة الناس في مجالس العزاء عادة تدخل فيها عوامل عديدة، توجب نيران العاطفة في النفوس مثل مهارة القارئ، الصوت الجميل والحزين، الخطيب البارِع ومدى اشتداد البكاء عند الآخرين.

أما الإمام فقد رأيناه مرات عديدة وبالرغم من عدم وجود أي من العوامل التي ذكرتها، فمجرد أن يبدأ القارئ، السلام عليك يا أبا عبد الله، حتى تنهمر الدموع من عيني الإمام ويشرع في البكاء. وفي الواقع لقد كان بكاء الإمام بعيداً عن الرياء يتخلله الصدق والإخلاص وأي قلب قاس لا ينفطر حزناً عند ذكر مصائب الأئمة (عليهم السلام) وأولياء الله وتنبعث من باطنه حالة معنوية متأججة تتجلى على مائدة العاشقين.

لم يبق من الساقى أي أثر	
لأن شارب الخمر ذاك لم يكن غير الساقى	
كان هو في الواقع الخمرة والكأس	
رغم أنه كان في الظاهر نهماً يشرب الثمالة	

برنامج زيارة الأمير

عكف الإمام الخميني في النجف الأشرف والتي بلغت أربعة عشر عاماً على زيارة مقام أمير المؤمنين (عليه السلام) في كل ليلة من أيام السنة وكان ذلك بعد انقضاء ثلاث ساعات على غروب الشمس.

كان الإمام يقطع المسافة التي تفصل منزله عن الحرم خلال فترة زمنية لا تتجاوز السبع دقائق مشياً على الأقدام، اعتاد أثناءها على الدخول إلى حرم الأمير من الباب الذي يقع من جهة القبلة.

بعد تجاوز المكان المخصص لوضع الأحذية في الزاوية الجنوبية يبدأ بقراءة إذن الدخول ومن ثم يتشرف بالدخول ويقف في الجهة الشرقية للضريح ويبدأ بقراءة زيارة مختصرة ثم يتجه نحو الضلع الجنوبي مقابل المكان الذي توجد فيه صورة أمير المؤمنين فيقف ويقرأ زيارة أمين الله.

وخلافاً لما تعود عليه عامة الناس حيث يطوفون انطلاقاً من جهة الرأس الشريف حول الضريح كان الإمام يرجع من هذه النقطة ويعبر من الجهة الموازية للقدمين ويستقر في الجهة الأخرى للرأس الشريف.

ويصلي صلاة الزيارة ويقرأ الزيارة الجامعة وهو جالس.

لم يعبر من الجهة الموازية للرأس

من النكات المهمة التي تلاحظ في الإمام، أنه لم يُر قط يعبر في حرم أمير المؤمنين (عليه السلام) من الجهة الموازية للرأس الشريف فبمجرد وصوله، يتوقف مراعيّاً هذه المسألة باستمرار علماً أنه كان نموذجاً للإيمان الكامل ولقداسة مقام الولاية واحترامه للإمام (عليه السلام)، إلا أن أهل العرفان والكمالات المعنوية التفتوا إلى هذه الناحية اللطيفة، فبناءً على الاحتمالات والمنقولات وحسب ما تنقله الروايات بأن رأس الحسين المذبوح دفن في هذا المكان، وهذا الاحتمال كان عند أهل المعرفة والكمالات المعنوية كافياً حتى لا تطأ أرجلهم مكاناً يحتمل فيه دفن رأس سيد الشهداء الطاهر.

أثناء عودة الإمام من الحرم المطهر، كان يتوجه قاصداً مرقد المرحوم العلامة الحلي والمرحوم الشيخ محمد حسين كمباني، اللذان يجاوران المنذنة الشمالية ويرقدان في القسم الشمالي للمكان المعروف «بساحة الذهب» ويقرأ لهما الفاتحة ليعود إلى طرف الزاوية الجنوبية للبهو. وأريد الإشارة هنا إلى أن المرحوم ابن الإمام المتبجل آية الله مصطفى الخميني كان مقررّاً دفنه إلى جانب مرقد المرحوم كمباني في اقرب نقطة لمرقد مولى الموحدين المطهر.

المواظبة على الزيارة

دأب الإمام الخميني خلال مدة إقامته في النجف الأشرف والتي ناهزت الأربعة عشر عاماً، على زيارة مقام الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) باستثناء المناسبات الخاصة التي كان يقصد فيها كربلاء مضافاً إليها بعض

الحالات المرضية التي يتعرض لها، مما يضطره لتعطيل الدرس وصلاة الجماعة، ويصل معه الأمر إلى عدم تمكنه من زيارة مقام أمير المؤمنين (عليه السلام) وبحمد الله فإن هذه الأمور نادراً ما كانت تحصل باستثناء ليلة واحدة لم يذهب فيها للزيارة سأرويه فيها بعد.

هذا في حين أن الكثيرين من عامة الناس، الذين يجاورون العتبات المقدسة لشدة علاقتهم وحبهم للأئمة (عليهم السلام)، يعتادون شيئاً فشيئاً على عدم الزيارة وتمر عليهم الأسابيع والشهور من غير أن يوفقوا لزيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) رغم حبهم وولائهم له.

بيد أن الإمام وانطلاقاً من عشقه الذي لا يوصف لمقام الولاية الكبرى وعلى أساس نظام حياته وأعماله وبرامجه الدقيقة والعجيبة وضع زيارة الأمير رديفاً لصلاة الجماعة ولدرسه، ولم يترك زيارته أبداً من غير عذر، وفي الأوقات التي لا يتمكن فيها من التشرف بالزيارة للأسباب المذكورة كنا نعلم بأنه يزور أمير المؤمنين (عليه السلام) من داخل البيت، وأحياناً يقف متوجهاً إلى مرقد الإمام علي (عليه السلام) من على السطح ويقرأ الزيارة.

نقطة الضعف

أذكر نقطة لطيفة ومؤسفة في أن تعتبر من إحدى التجليات المعنوية للإمام، مفادها أن أولئك المعاندين لله والمأجورين من أجهزة الأمن «السافاك» والمرتبطين بأوكارها الجاسوسية للغرب والشرق والمتظاهرين بلباس رجال الدين، قد عمدوا وعملوا جاهدين لإحباط نقاط القوة للإمام، وبعد المحاولات الفاشلة ولو عبر إيجاد نقطة ضعف واحدة في شخصيته ومسلكه، سعوا بكل وقاحة وصلافة لتشويه أفضل نقاط القوة عند الإمام وتحويلها إلى نقطة ضعف وإدانة، وذلك من خلال تردهم إلى الحوزة العلمية حيث كانوا يذهبون بزبهم المقدس في نظر الناس ويجلسون في المساجد مروجين بأسلوب شيطاني خبيث على إشاعة فكرة مفادها أن نهج الإمام والتزامه الدقيق بزيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) يوماً قد تسبب في الإحراج للمراجع العظام والعلماء الأفاضل الذين لم يعتادوا على الزيارة بشكل دائم مما يضع علامات استفهام حول تصرفاتهم وينال من عظمة شخصياتهم ومراتبهم العلمية واحترامهم بين الناس.

إهانة الإمام في الحرم

إنه لمن المؤسف بأن أحد الذين يعتبرون من المقربين لأحد المراجع، يكن في قلبه خبثاً دفيناً، ومعروفاً بأنه ليس من أهل العبادة والزيارة، كان يأتي إلى الحرم في نفس الساعة التي يتشرف بها الإمام للزيارة بوجهه العابس الذي يتقاطر منه السم يقصد التعرض للإمام من دون أي سبب.

أثناء بدء الإمام بقراءة الزيارة أمام الضريح، رأيت كيف كان يقف حائلاً بينه وبين الضريح متظاهراً بقراءة الزيارة، ويختار هذا المكان رغم خلو الحرم وعدم ازدحامه بالناس.

كان الجميع في حالة اضطراب من هذا العمل المقصود، والذي يريد من خلاله توجيه الإهانة للإمام، أما نحن الذين نعيش الغربة وظروفها فلم يكن بوسعنا سوى الصبر على الأذى، وأما الإمام فقد كان في عالم آخر، مشغولاً بالزيارة والتوجه إلى الله لم يكن يلتفت ليرى ماذا يجري حوله، وكأن لسان حاله الشعر الذي ينسب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام):

فمضيت ثمة قلت لا يعنيني

ولقد أمر على اللينيم يسبني

الليلة التي امتنع فيها الإمام من الذهاب إلى الحرم

كما أشرنا سابقاً، ففي الموارد الخاصة جداً كان الإمام بعد غروب الشمس بساعتين ونصف تماماً، يتأهب لملاقاة الناس في الديوان وبعد نصف ساعة ينهض كعادته من مكانه لزيارة الحرم الشريف.

لا أذكر أبداً أن الإمام تخلف عن زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) دون عذر شرعي فعندما يحين الموعد المخصص للذهاب إلى الحرم ينهض من مكانه وكما جرت العادة يعبر الغرفة التي يجلس فيها إلى باب الدار الخارجي للمنزل ويذهب إلى الحرم إلا أن الأمر هذه المرة جرى خلاف ذلك، إذ نهض الإمام من مكانه وتوجه داخل البيت بينما هُيئ نعلي الإمام في المكان الذي يخرج منه وعندما تحرك الإمام باتجاه الداخل أسرع أحد الحاضرين وحمل النعلين للحوق بالإمام.

بدأت إمارات التعجب على الحاضرين جميعاً: وبدأ طرح التساؤلات لماذا لم يذهب الإمام للزيارة وهو يتمتع بصحة جيدة وحيوية ونشاط، علماً بأن المرض وحده كان يمنعه من الذهاب. ولم يعلم السر في ذلك آنذاك حتى لأقرب المقربين للإمام، تعجبنا كثيراً مما جرى وعدنا إدراجنا إلى المدرسة ولم نذهب بدورنا إلى الحرم. وبقي اللغز قائماً.

في اليوم التالي قيل لنا أن سفير إيران في بغداد قد أقيمت له مراسم استقبال في داخل الحرم وحسب الظاهر يريد تقديم بعض السجاد من طرف الشاه هدية للمقام في نفس الوقت الذي يتواجد فيه الإمام عادة والهدف من ذلك التقاط الصور وتغطية الحدث في وسائل الإعلام

عندها أدركنا وجود مؤامرة واكتشفنا السر الذي دفع بالإمام لعدم الذهاب في وقتها واتضح اللغز الذي لم ندركه حينها!

صلوات على محمد وآل محمد

في الأيام المعدة للقاءات الأمة في حسينية جماران كان الناس يصلون إليها قبل الوقت بساعتين، ترافقهم شعارات الصلاة على محمد وآل محمد بين الفينة والأخرى فيصل صداها إلى داخل بيت الإمام فيلتهج لسانه بذكر الصلاة على محمد وآل محمد أو بذكر اسم النبي بصوت هادئ، فلم يسمع الإمام تمجيد الرسول إلا وسبقه قلبه بذكر الصلاة عليه وعلى آله الأطهار.

الفصل الثالث الالتزام بالقوانين

مراعاة الحدود الشرعية

التزم الإمام الخميني في مواقع العمل برعاية الضوابط والحدود الشرعية، وتطبيق الأحكام الإلهية، سواء في الأمور البسيطة والصغيرة أو المسائل الهامة الكبيرة ولم يجمال أحداً من الناس حتى ولو كان من أحب الأشخاص إلى قلبه وأقربهم لديه، ورغم انشغاله في الكثير من الأعمال الواسعة والعديد من القضايا والأمور وأثناء تدقيقي طيلة هذه الفترة التي عاشته فيها: لم أجد مورداً واحداً أقدم عليه كان قد قصر فيه الإمام ويستحق عليه الوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى ولم يقدم الإمام على عمل ما إلا بعد أن يتوصل إما إلى تشخيص يتولد منه القطع، وإما أن تتم الحجة عليه عبر طرق شرعية أخرى، والنكته اللطيفة أن الأمور التي كان يقررها عن الطريق الأول ويقطع بتشخيصها لم تكن لتكشف عن أي اشتباه أو هن، أما المرات القليلة التي برزت فيها بعض الأخطاء والاشتباهات فكانت نتيجة لاعتماده طريق البيئة الشرعية حيث تهيا الأجواء لصدور الحكم مثل انتخاب وتأييد بعض الليبراليين الذي أبدى رأيهم استناداً إلى وجهات نظر بعض الأشخاص الذي يثق بهم ويعتمد عليهم والعجيب في الأمر أنه عندما كان يتحدث عن الخطأ الذي حصل في هذا الانتخاب لم يحمل اللوم لأحد من الناس بل يتحمل هو مسؤولية الخطأ على عاتقه بشهامة ورجولة.

وفي المسائل التي تحتاج إلى بيئة شرعية مثلاً بيئة شهادة عادلين فكان يعمل وفق البيئة التي تعتبر حجة شرعية ما لم يحرز سماحته خلاف ذلك ففي مسألة إصدار إجازات الحقوق الشرعية الحسبية للأفراد، ما لم يحصل على المعرفة اللازمة، ويضمن لطالب الإجازة، كان يستحيل عليه أن يقدم منحه الإجازة بدون أن يوثقه ويذكره شخصان، عادلان، وفي جماران تقدم أحد الأخوة الذي يتعاونون مع المكتب الشرعي بطلب الحصول على إجازة في الحقوق الشرعية والحسبية، وعندما طرحت المسألة على الإمام قال: الشخص المعني ثقة أحد الحاضرين في المجلس إلا أن سماحته لم يكتف بذلك بل نظر إلي وقال:

يجب أن يعرفه ويوثقه شخص آخر، وعندما رأي ساكتاً لم يوافق على إصدار الإجازة، وأعود بالذاكرة إلى النجف الأشرف حيث كان المرحوم آية الله الشيخ نصر الله الخليلي موضع ثقة المراجع وشهادة منه تغني عن شهادة عشرة من العدول عند المراجع، وكان يحضى كذلك بهذا الاحترام والتقدير عند الإمام، ومرة قصد سماحته طالباً منه بإصدار إجازة في الحقوق الشرعية والحسبية لأحد الأشخاص الذين يعرفهم، ويتق بهم تماماً ولكن الإمام أجابه بصراحة كاملة: شهادتك غير كافية، لابد من توفر شهادة أخرى، أما في المسائل التي لم تكن بحاجة إلى بيئة شرعية، التي تكفي فيها وجهة نظر السائل من أجل إصدار الإجازة والحكم، فكان سماحته يعمد إلى إلقاء المسؤولية الشرعية على عاتق الطرف المعني أي أنه كان يجب على السؤال ويعطي الإجازة، على نحو لا يتحمل مسؤولية أمام الله فيما لو تبين خطأ أو خلاف الحال وغالباً ما أرفقت أجوبته رضوان الله عليه بعبارات من قبيل «إذا.. في حال..» الغرض المذكور.. بناء على.. وسأذكر نماذج من ذلك: لم يجز الإمام صرف سهم الإمام المبارك لأجل بناء المسجد إلا بشرطين:

الشرط الأول: الحاجة إلى المسجد..

الشرط الثاني: إذا لم تتأمن ميزانية بناء المسجد عن طريق آخر كوجوه البر والتبرعات لذا فإن التفت السائل إلى هذين الشرطين المذكورين وقيدهما في متن السؤال فيجيب الإمام: «في الغرض المذكور يجوز الدفع».

وإذا لم يلحظ السائل الشرطين المذكورين فكان الإمام يقيدهما في إجابته: «يجوز الدفع إذا كان المسجد مورد حاجة ولم يؤمن ذلك عبر طرق أخرى».

إن ما ذكر كان في مورد أصل بناء المسجد وأما في مورد الزينة

واللوازم غير الضرورية التي تأتي في المرتبة الثانية من قبيل:

الرخام، السجاد، الكاشي، لم يجز الإمام مطلقاً بصرف الوجوه والحقوق الشرعية على ذلك، ويوجد نماذج كثيرة من جملتها: طلب أحدهم إجازة لصرف مبلغ 130 ألف تومان من سهم الإمام المبارك لأجل فرش مسجد في شارع «أبا ذر طهران» فرفض الإمام: «لا أجاز».

لم يجز الإمام بتغطية نفقات وطباعة الكتب ونشرها من الحقوق الشرعية ولم يوافق أيضاً على بيعها بأسعار مخفضة أو مجانية وما لم يطمئن الإمام للأثار المفيدة المترتبة على كتاب ما فهو غير مستعد لدعم تغطية نفقات وطباعة الكتاب من خلال صرف الحقوق الشرعية كتب أحد فضلاء قم برسالة بناء على أن الإمام يجيز صرف سهم الإمام المبارك الذي يستحقه ورفاقه لأجل طباعة ونشر كراسات مجزأة تتعلق بالعقيدة الإسلامية فأجاب الإمام:

«لا أجاز بالصرف لأجل طباعة كتاب بالتدريج».

وكان أحد الحاضرين قد أكد ذلك إلا أن الإمام كرر إجابته:

«لا أجاز».

أكد أحد فضلاء باكستان برسالة بعثها إلى الإمام أم مجلة حراس الإسلام مهمة ومفيدة جداً لبلده، وطلب أن يجيز له صرف الحقوق الشرعية لأجل طباعتها ونشرها «باللغة الأردية». ونظراً لمعرفتنا بتعاطي الإمام في مثل هذه الأمور فإننا لم نطرح الموضوع عليه، ولكن جناب السيد رسولي، ولعلمه بلطف الإمام طرح موضوع المجلة التي كنت مسؤولاً عنها:

وعرض عليه الرسالة، ولكن الإمام وبدون أدنى تأمل، ودون مراعاة للعلاقة الوطيدة القائمة، ووفقاً لطريقته المعهودة أجاب:

«لا أستطيع أن أعطي إجازة في صرف الحقوق الشرعية لأجل ذلك».

الالتزام بقوانين الجمهورية الإسلامية

إن الإيمان الخالص والعبادة الصادقة اللذان تميز بهما الإمام انعكسا بشكل قوي في جميع مجالات العمل. كان أكثر الناس وأشداهم رعاية والتزاماً لمقررات وقوانين الجمهورية الإسلامية العامة مع العلم أن مقام ولايته العامة هو الذي يعطيها الشرعية ويضفي عليها صفة القانون إلا أنه لم يميز أو يستثنى نفسه عن عامة الناس أبداً لأنه الأشد التزاماً وتطبيقاً للإحكام والآداب الإلهية.

حتى أن ذكر بعض هذه الموارد يعتبر نموذجاً فريداً يحتذى به لسلوك المسؤولين في المجتمع الإسلامي فعلى سبيل المثال عندما كانت تصل الحقوق والوجوه الشرعية من مقلدي الإمام في الخارج بالعملة الصعبة ولا بد من تحويلها إلى التومان أحياناً كان الأمر يدور بين صرفها من البنك المركزي وبالسعر الرسمي المقرر من الدولة، وأما المبادرة إلى بيعها في السوق الحرة ومن ثم صرفها في الموارد الشرعية (مع ملاحظة التفاوت الكبير بين سعر الصرف الرسمي وسعر الصرف في السوق الذي يلحق ضرراً بالمستحقين للحقوق الشرعية).

من الطبيعي مثلاً أنه إذا كانت هناك ثمة مئة دولار مرسله كصدقة أو زكاة فطرة يجب صرفها للفقراء فلا بد أن يعطي لهم إما عين المبلغ أو قيمته الفعلية وكان رأي سماحته في هذا المجال التالي:

«راجعوا السيد موسوي في هذا الأمر» رئيس الوزراء السابق» السيد مير حسين موسوي فإن أفادكم بأن لا مانع لدى الدولة من ذلك يصرف المبلغ في السوق الحرة».

ومن خلال إجابة الإمام في مثل هذه الموارد التي لا يسمح فيها بمخالفة قوانين الجمهورية، كان ملتزماً بتنفيذ وتطبيق الضوابط والمقررات التي تحددها الدولة إن تقيد الإمام المنطقي والتزامه بالقوانين لم تكن تنحصر بضوابط وقوانين نظام الجمهورية الإسلامية فقط، بل كانت لأجل رعاية المصالح العامة للمجتمع، وحفظ بيت مال المسلمين، حتى أنه اعتمد هذه الطريقة في ظل نظام الشاه البهلوي الذي لم يحكم بما أنزل الله. ونموذج ذلك، أن المرحوم آية الله مصطفى الخميني كان ينقل هذه القصة.

أراد الإمام عبور أحد الشوارع المزروعة أطرافه بالحشيش ويبدو أنه في مدينة همدان. وحتى لا يضطر أن يدوس قدماً واحدة على الحشيش تحمل عناء قطع مسافة طويلة حتى وصل إلى تقاطع يسمح له بالعبور فغير من هناك وكاتب هذه السطور الذي يعتبر نفسه أحد الذين تشرفوا بخدمة الإمام طيلة هذه السنوات التي قضيتها في مكتبه، أستطيع أن أقول وبكل جرأة أن الإمام (قدس سره) حتى في محيط حياته الخاصة لم يتخطى أبداً قوانين وقرارات الجمهورية الإسلامية ومن باب المثال، كان يبادر إلى دفع فواتير الكهرباء والمياه والتلفون والضرائب بمجرد وصولها وفي أول فرصة تتاح له كما أنه لم يسمح أبداً لكل المحسوبين على بيته ومكتبه بمخالفة مقررات الجمهورية الإسلامية حتى في صغار الأمور.

رعاية حقوق الناس

طيلة فترة إقامته في النجف الأشرف وفي المناسبات الخاصة لزيارة الأئمة (عليهم السلام) كان يتشرف عدة مرات في السنة لزيارة مقام الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء، ويختار مسكنه في أحد البيوت المتواضعة والفقيرة التي كان يضعها أحد الكويتهين في تصرفه، أما خلال إقامته في كربلاء كان في أغلب الأحيان يقيم صلاة الجماعة بعد صلاة المغرب في حسينية آية الله بروجردي ويؤم صلاة الظهر جماعة في منزلة المذكورة في غرفة الاستقبال الخارجية مع عدد بسيط من المصلين، وعندما يكثر العدد يوم الصلاة في باحة المنزل الخارجية التي لا تتجاوز مساحتها 2م50م ولم يكن الفرش كافياً، فكان المصلون يطوون عباءاتهم ويفترشون الأرض بها للصلاة عليها.

وعندما كان الإمام يخرج من داخل الغرفة إلى الباحة لتأدية الصلاة، كان مضطراً إلى العبور بين المصلين للوصول إلى مقدم الصفوف، فانتبه الحاضرون إلى هذه المسألة فحرصوا، بافتخار واعتزاز على فرش عباءاتهم العريضة الواسعة في طريق الإمام ليدوس عليها وهو يعبر الصفوف وذلك لنيل البركة، إلا أن الإمام التفت أيضاً إلى هذا الموضوع فحرص على السير بأسلوب معين وبخطوات منظمة بحيث لا يدوس ثياب أو عباءة أحد ليقدم بذلك درساً عملياً لكل المقلدين المؤمنين في كيفية رعاية حقوق الناس.

الإمام أفضل مستأجر

وفي هذا المقام أشير إلى قضية تتعلق بالإمام كمستأجر، لأبين من خلالها مدى اهتمام الإمام وشدة التزامه بالأحكام الشرعية ورعاية الموازين الدينية وخصوصاً تجاه حقوق الناس وممتلكاتهم، ولقد مثل نموذج المستأجر المثالي:

كان صاحب المنزل من مقلدي الإمام ومحبيه إلى درجة لا توصف فاعتبر أن مجرد وجود سماحته في منزله هو أكبر وسام شرف يناله في حياته، إلا أن الإمام كان ملتزماً بالأحكام الشرعية الخاصة كأي فرد عادي لا تربطه أية علاقة مميزة بصاحب الملك. وذات مرة وبينما كان المطلوب تأمين الإنارة الكافية في الغرفة لأجل فريق المصورين المكلفين بتغطية بعض اللقاءات الرسمية أو تغطية بعض البيانات «كبيان عيد نوروز» الذي كان يوجهه سماحته إلى الأمة من غرفة عمله تم استحداث ثلاثة ثقوب صغيرة بمساحة 5×5 سم في سقف الغرفة المذكورة نظراً للحاجة الماسة لانتشار الضوء والنور المطلوبين. وفي اليوم التالي عندما تشرفت صباحاً بزيارة الإمام بادرني بعد السلام بلهجة قاسية وحازمة والقلق والاضطرار بإد عليه: «ما هذا العمل؟ لماذا أقدمتهم على مثل هذا التصرف».

أخبرت سماحته بأن تأمين النور الكافي هو الذي استوجب ذلك، وبعد لحظة من التأمل والصمت المرير تابع قائلاً:

لماذا بادرتم إلى هذا التصرف دون أخذ إذن مسبق من صاحب المنزل، وبهذا التعاطي الحازم فقدت الجرأة على الاستمرار بمتابعة الأمور العملية ولم يعد وارداً بحث الموضوع الأصلي الذي جئت لأجله وعملت على إصلاح السقف وبعد أن انصرفنا من غرفة سماحته أخبرني السيد صانعي وهو الذي قضى عشرات السنين في اتصال مباشر مع الإمام وعائشه عن قرب قال: «طوال فترة معرفتي للإمام لم أشاهده على هذه الدرجة من الاضطراب وانزعاج خاطر».

الفصل الرابع الخصائص الأخلاقية

ألف: الزهد والاستقامة

- الإمام مظهر الزهد والاستقامة -

للزهد والاستقامة مفهومان واسعان شاملان ولهنا مراتب وأقسام ومصاديق متعددة، فمثلاً أحد الأشخاص قد يكون زاهداً بمال الدنيا لكنه لا يتمالك نفسه أمام حب الجاه والرئاسة، ويمكن أن نجد إنساناً مستقيماً وقوياً وصامداً أمام حب الرئاسة لكنه ضعيف أمام حب الشهرة والجماهير.

والنقطة الثانية في الموضوع إن الزهد والاستقامة من الأمور الباطنية تتجلى آثارها في مقام العمل وتبرز من خلال التعاطي مع الأمور المادية والدنيوية.

بناء على ما قدمناه قد نجد شخصاً يتظاهر بالزهد رياءً ونفاقاً ويدفن في داخله حب الدنيا ويسعى للوصول إلى ملذاتها وبهرجتها. وقد ترى شخصاً زاهداً في هذه الدنيا لأنه لا يملك شيئاً. وليس بمقدوره الوصول إليها لعدم توفر أسباب حب الدنيا لديه، في حين يفتقر في داخله إلى الزهد والتقوى، لذا فمن الممكن أن نجد إنساناً فقيراً معدماً لا يملك من الدنيا شيئاً في حالة شغف بالظواهر الدنيوية تعادل شغف أحد الأثرياء بثروته وملابسه التي لا تحصى حيث يشتد حرص هذا الفقير المعدم فيتعلق بثوب بال أو حذاء قديم أو كتاب أو وسائل أخرى كأشد ما يكون التعلق.

لذا فإن الزهد هو حقيقة نفسانية، والزاهد الحقيقي هو الذي لا يشعر في نفسه بأي دافع يشده للتعلق بهذه الدنيا سواء امتلك الإمكانيات اللازمة من أجل الوصول إليها أم لم يملك وسواء استطاع الحصول على بهارج الدنيا أم لم يستطع ذلك وسواء أقبلت عليه الدنيا بكل ما تحمله من ملذات أم أدبرت عنه.

لقد كان الإمام الخميني إنساناً تكاملت شخصيته من جميع الجوانب حيث ارتبطت روحه الربانية بحقيقة الاستقامة، وعلى الرغم من توفر الأرضية المناسبة، وأفضل الإمكانيات، للوصول إلى ما يريد من مظاهر الدنيا فإنه لم يخط خطوة واحدة في هذا المضمار أبداً، بل ابتعد عنها وطلقها.

وشاءت الإرادة الإلهية أن تسلس الدنيا بكل مظاهرها وإمكاناتها المادية قيادتها وتقبل الإمام، لم تبخل عليه بالشهرة والسلطة وحب الجماهير وتوفر كافة الوسائل والإمكانات، مقدمة في هذه المرحلة أروع امتحان تجلى في سلوكه طريق الحق والاستقامة وعبر عنها بخلوص السريرة وخدمة دين الله، وخدمة عباده أيضاً، وصرف كل ما أعطي ابتغاء مرضاة الله لم يلاحظ عليه أدنى تعلق بالدنيا مهما صغر قدره من الأمور المادية أو أي انجذاب نحو أي مظهر له ارتباط بالمادة ذلك أنه قد سلم الأمانة لصاحبها، وأودع روحه الطاهرة عند المحبوب الأزلي، ولم يعد يتصور ذاته لأجل ذاتهم ولم يعد يتعقل بأن قلبه يطلب غير الله أو يحتوي على شيء غيره.

شوق الزوار الإيرانيين

في إحدى السنوات، وفي آخر شهر ذي الحجة وأوائل شهر محرم، تمكن عدد من الحجاج الإيرانيين في السعودية وعدد كبير من الزوار في إيران من المجيء إلى العراق، وفي تلك السنة كنا نشاهد الإيرانيين والسيارات التي تحمل لوحات إيرانية في العتبات المقدسة، وفي جميع أنحاء المدن المقدسة في العراق. كان الإمام يصلي صلاة المغرب في المدرسة الكبيرة للمرحوم آية الله بروجردي وكان الزوار الإيرانيون الذي اكتفوا واحترقوا بنار الهجران والعشق، والبعد عن الإمام على أمل أن يأتي اليوم الذي يحلون ناظرهم بزيارة إمامهم العزيز.

لذا كانوا يصرون على التوقف في النجف الأشرف للحضور يومياً قبل صلاة المغرب بساعة في مدرسة آية الله بروجردي منتشرين في باحتها الواسعة وطبقاتها العليا وحتى داخل غرف الطلاب وبشكل مزدحم حيث كان العدد أضعاف العدد الذي يتسع له المكان، وعندما يصل الإمام أثناء المغرب، ينهض الجميع وتصدق الصلوات على محمد وآل محمد وتغورق العيون بالدموع، وتجهش بالبكاء من شدة الفرح والسرور وكأنه استعداداً ليوم القيامة.

وفي إحدى المناسبات بينما كنا نراقب تلك المشاهد العجيبة والملهمة، من إحدى غرف المدرسة، وإذا بأحد المحجوبين عن عالم العشق، والارتباط العجيب بين الإمام والأمة، لم يكن ليستطع، ولو برهة أن يدرك مضمون ومعنى ما يشاهد وبطريقة لا إرادية أفصح عما يجول في خاطره قائلاً: واقعاً أن هؤلاء الناس اعترتهم حالة من الجنون، والأعجب من ذلك أن نفس هذا الشخص أصبح فيما بعد من شخصيات الثورة، وإتباع الإمام، وبعد الانتهاء من الصلاة وقف الإمام لعدة دقائق أمام الجماهير المحتشدة، ولا يستطيع وصف تلك الحالة التي كانوا عليها عندما تهافتوا لتقبيل يدي الإمام، وحين أراد الخروج لحقت به الجماهير، وما إن وصل إلى نهاية المدرسة حتى أرسل كلمات الشكر والثناء وودعهم باحترام، فما كان من المحبين إلا اللحوق به إلى الشارع وازدحمت الجموع حول الإمام، وهذه الحالة، تنطوي على مغزى عميق وهي التأكيد على أنهم لم يكتفوا بالتعبير عن عشقهم للإمام وأراد الناس أن يتبعوا الإمام إلى باب منزله ليودعوه ولكنه بادل الناس بنفس أحاسيسهم ومشاعرهم، وترجم لهم عواطفه وحبهم لهم، وبفس الوقت كان يرفض ازدحام الناس وتجمعهم يومياً وانتشارهم في الشوارع والساحات ومزاحمة المارة لذا كان يغلق الباب بعد خروجه لعدة دقائق حيث يذهب كالعادة بشكل عادي وطبيعي إلى منزله.

تفضلوا

لم يكن الإمام يرغب بان يرافقه أحد من الطلبة إلا من هو ملازم له بشكل دائم، وعندما يشعر بوجود بعض الطلبة يمشون خلفه ليرافقوه، يتوقف قليلاً ويقول لهم «تفضلوا».

كلمة تفضلوا، كانت تحتوي على معنيين الأول إذا كان عندكم عمل ما فتفضلوا، وإذا لم يكن لديكم عمل فتفضلوا أيضاً.

كان الإمام يقوم بهذا الأمر في الحالات والأوقات التي يجدها الإنسان العادي الذي أصبح أسيراً لهوى النفس والرغبات والأهواء فرصة لالتفاف الناس حوله حين يسير في الشارع ويجذب انتباههم إليه، ولكن نهج الإمام ومسلك هذا العبد الإلهي الذي حرر نفسه من القيود أضحى نموذجاً يحتذى به، لذا يجب على الجميع أن يتذكروا دائماً وأن يدخلوا إلى قلوبهم الحذر الشديد حتى لا يتلوثوا بقيود التشريفات والمواكب في الذهاب والإياب لا سمح الله.

وأما المسائل الأمنية فتراعى فقط بمقدار الاضطرار إليها كالاضطرار لأكل لحم الميتة لا أكثر.

الإمام في عظمة الاستقامة

لقد تعلق قلب الإمام في الذات الإلهية المطلقة، ونفذ إشعاع الإخلاص ليحرك مسيره، لم يتحرر فقط من موبقات ومظاهر الدنيا والأمور المادية بل حتى أننا لم نلاحظ فيه أدنى مظاهر الاهتمام بجميع أعماله وارتباطاته القلبية والعبادية وكل الإنجازات المعنوية في حياته.

وكان الإمام وعلى امتداد عمره الشريف الذي قضاه في العمل والعبادة لم يحدث نفسه بهذه الأعمال رغم عظمتها وسموه في الساحة الإلهية المقدسة. كما نسمع ونقرأ في خطابات وبياناته التي يتلوها علينا والتي تتميز بأحاسيس ومشاعر تنم عن تلك الشخصية المتواضعة، المعترفة بالدونية والصغر والخجل أمام عباد الله الأخيار أمثال الشهداء وشباب التعبئة العامة والمطلولين. وأنا الحقير، أشعر بالعجز وعدم القدرة في التحدث عن العوالم المعنوية للإمام واصغر من أن أتكلم عن عظمتها وسموه أو الخصال والخصائص الأخلاقية والعلم الذي يتمتع به. ولكن يراودني شعور بالحسرة والندم إن لم أتحدث عن نقطة مهمة بقيت غائمة، عشت معها في دوامة الحيرة وما زالت في نفسي وكثير من الأخوة الآخرين وهي أننا إذا كتبنا مقالاً ولو كان صفحة واحدة يحتوي على موضوعات ذات مضمون جيد أم لا فإننا نرغب في نشرها وطباعتها لاعتقادنا أن الآخرين يستفيدون منها أو على الأقل يطلعون على مقدار فهمنا لذلك.

نتيجة المراجعات المتكررة بحضور الإمام بما يتعلق بموضوع تعليقات الإمام على كتاب شرح فصوص الحكم ومصباح الأنس، اكتشفت عالماً جديداً واسعاً غير عالم السراب والأنا الذي نعيش فيه، عرفت أن هناك عالماً آخر يعيش فيه السالكون إلى الله بلمعان فكرهم وروحهم الإلهية المستقرة في العالم الأزلي ويحلفون بها في عالم الكمال والجمال المطلق والوجود الأزلي الذي لا ينتهي، أذكر هذه المقدمة لأقول أن مكتبة الإمام ومؤلفاته ومحفوظاته ومطبوعاته صودرت في زمن الشاه المعبور بواسطة عملائه في جهاز الأمن (السافاك) وبعد انتصار الثورة عثرت على أهم مؤلفات الإمام في مراكز الأمن (السافاك) أما تعليقات الإمام على كتاب «فصوص الحكم» لم تكن بينها، وبقيت مفقودة حتى سنة 1983م وجدها بطريقة عجيبة حيث أن الصدفة لعبت دوراً مهماً في ذلك فيما كان أحد الباعة المتجولين يدق باب المدرسة العلمية في همدان حاملاً معه مجموعة من الكتب والمجلات اشترى أحد طلابها كتاب «فصوص الحكم» وكتاباً آخر بخمسين تومناً وبعد ذلك بدأ يتصفح كتاب «فصوص الحكم» الذي اشتراه، فلاحظ على حواشي الكتاب وجود امضاء روح الله، «أو روح الله الموسوي» تحت كل مقطع من مقاطع الكتاب، في البداية لم يخطر بباله شيء، ولكن بعد امعانه في التأمل عرف أن امضاء الإمام أمام عينه، لم يصدق ما رأى، فذهب إلى آية الله حسين نوري الذي كان ممثلاً للإمام في صلاة الجمعة بهمدان آنذاك وبمجرد أن وقعت عيناً آية الله نوري على الكتاب، ونظراً لمعرفته الدقيقة بخط الإمام وإطلاعه السابق على تأليف الكتاب علم أن هذا الكتاب هو نفس تعليقات الإمام على شرح «فصوص الحكم»، والكتاب الآخر كان تعليق المرحوم آية الله السيد مصطفى الخميني على حاشية الكفاية للشيخ «الآخوند الخراساني»، أعطى ممثل الإمام جائزة لطالب العلم وأخذ منه الكتابين وتشرف بخدمة الإمام لاطلاعه على الأمر إلا أن الإمام لم يظهر أي رد فعل على استرجاع كتاب فصوص الحكم، لكنه غرق في تأمل الكتاب المخطوط للمرحوم الحاج السيد مصطفى الخميني، وبما أنه لا يوجد سوى نسخة واحدة من تعليقات الإمام على «فصوص الحكم» وكذلك «مصباح الأنس» وعن باب ليظمن قلبي، وبناء على اقتراح حجة الإسلام والمسلمين الحاج أحمد الخميني، تقرر استنساخهما وطلب مني القيام بهذا العمل مع العلم أن طباعتهما ليست واردة آنذاك ولم يساعدني قلبي على استنساخ كتاب الإمام التي كانت تزين صفحات الكتاب المخطوط وتعكس روحه وجه وعلاقته بالفن وتظهر حالة الإبداع عنده على كل حال وطيلة الفترة التي كنت مشغولاً فيها بالاستنساخ، عمت موجة من الفرح والسرور في الحوزة العلمية والجامعات بعد انتشار خبر استنساخ الكتاب المذكور حتى أن الأساتذة الكبار والمحققين الغارقين ببحر العرفان والفلسفة ابدوا إصرارهم وشغفهم الكبيرين ما لم يمانع الإمام بطباعة الكتاب [1] الذي ألفه وله من العمر 28 سنة. أي بعد بدء دراسته في الحوزة العلمية بعدة سنوات وهناك ملاحظات رافقت مجريات الكتاب كتبتها في مقدمته بالإضافة إلى ملاحظات أخرى انتبعت إلى ضرورة ذكرها، والإشارة إليها، أثناء إعادة طباعة الكتاب القيم.

وبصورة عامة، كنت أسمع الكثير عن مؤلفات الإمام التي لم تطبع فوجدتها تفوق بحجمها وكثرتها التصور، وفي بعض المناسبات، رأيت بأمر عيني هذه المؤلفات المخطوطة بقلمه المبارك، في ذلك الزمان قمت بنسخ أحد اصغر الكتب حجماً ولمست قيمة، وأما بقية الكتب، وبغض النظر عن محتواها العلمي ومضامينها التي تسمو عن درك وتصور عبد حقيير مثلي إلا أن تصور إنسان يكتب جميع هذه المؤلفات ويحافظ على نظافتها، ويراعي شؤون الخط فيها وكأنها لوحات فنية مخطوطة كتبها الخطاطون دون عوج أو خطأ. بهرت عقولنا، وجعلت نفوسنا حائرة أمام روعة هذا الفن وجماله وكنت قد أشرت سابقاً إلى أن الإمام الخميني ذهب إلى حوزة قم في سن العشرين بعد أن أنهى دراسة المرحلة الأولى من السطوح، وبعد أن قضى عشر سنوات في ميدان العلم وتحصيل المعارف الإلهية والإسلامية، وتقدم على جميع أقرانه وهو لم يبلغ بعد الثلاثين من عمره شرع في هذه الفترة بتأليف عدة كتب قيمة ونفيسة مثل: شرح دعاء السحر، أسرار الصلاة، مصباح الهداية، وتعليقات على شرح فصوص الحكم، حيث تعرض في الأخير لنقد أهم وأعقد الإشكالات العرفانية.

والملاحظة الأهم وهي أثناء مراجعتي للإمام المتكررة، بخصوص استنساخ كتاب له، أدركت وانتبهت إلى أن الإمام وعلى رغم مرور أكثر من 60 سنة على تأليف الكتاب وتطوره العلمي والمعنوي وفي كل المجالات الأخرى كان ثابت القدم، وراسخ العلم، في كل آرائه العلمية المبحوثة آنذاك.

بينما ترى الآخرين يعيدون النظر بالنتائج التي توصلوا إليها سابقاً عندما يتابعون تحقيقهم في موضوع ما أو في مسألة من المسائل أو يغيرون رأيهم بالكامل.

الملاحظة الأخرى، ومن خلال الأسئلة الكثيرة التي تطرأ أثناء قيامي بالاستنساخ كنت أسأله فيقال لي قبل لحظات فقط كان قد حرر وكتب نفس الذي تسأل عنه، ويكون الجواب حاضراً إن هذا دليل على حضور البديهة عند الإمام، وعدم نسيان المطالب، رغم مرور 60 سنة بشكل تبدو الأمور واضحة للإمام أكثر من سطح كفه، ولم أر في حياتي إنساناً، امتلك ذاكرة حافظة كما عند الإمام وقفت مندھشاً وحائراً أمام هاتين الملاحظتين ووجدت نفسي ولفترة طويلة أمام لغز معقد وفي نهاية المطاف طرحت الموضوع على أحد الأساتذة العظام ورغم أن جوابه كان مقتنعاً إلا أنني ازددت حيرة أمام عظمة الإمام، وأدركت مجدداً المقام الرفيع والمنزلة العليا التي يتمتع بها، وراودني شعور خفي بالحقارة أمام هذه القمة الشامخة في عالم المعنويات، والتي هي مصداق لهذا المعنى:

ما لم تصيح من المعارف فلن تسمع من هذه الستارة أي لحن.

أذن الأجنبي ليست مكاناً لنداء الوحي

عل كل حال تفضل أستاذنا المبجل في جوابي

إذا وجد الإنسان الحكمة والحقيقة فهذا غير قابل للنسيان والتغيير، وليس قابلاً لتجديد النظر، وضرب لذلك مثلاً في علم الرياضيات عندما يجد الإنسان أن $4=2 \times 2$ فهذه النتيجة مطابقة للعلم البديهي وهذه غير قابلة للنسيان أو التغيير مع مرور الزمان ولا يمكن أبداً أن يكون نتيجة $5=2 \times 2$ أو 3 بل لعل الإنسان الذي يتابع علم الرياضيات، يصبح الدليل عليها أكثر وضوحاً وأكثر دلالية.

تعرف الأشياء بأضدادها

النكتة اللطيفة الأخرى التي وجدتها في هذه القضية، وهي أن سماحته بعدما قضى السنين الطويلة في تحصيل المراتب العلمية العالية في جميع الميادين وبعد كل تلك المؤلفات الكثيرة والعميقة والفريدة والتي تناولت مختلف المواضيع لم يظهر أي اهتمام خاص، أو تعلق مادي بكتبه ومؤلفاته، حتى أنه لم يبد حرصاً على طبعتها ونشرها، وعندما تقارن هذا الموقف بالأسلوب الذي يطرح فيه البعض مؤلفاته حتى لو كانت لا تتعدى الوريقات في موضوع مكرر وواضح، أو كانت مجموعة مقالات بسيطة فإننا نراه يحرص دائماً على الاعتناء بطبعتها والتمهيد لها بمقدمة تتضمن لائحة بالمؤلفات التي سبق له أن ألفها، ومن باب تعرف الأشياء بأضدادها، ندرك

جلياً أحدى الخصوصيات السامية الأخرى التي تمتع بها سماحتها، وإحدى تلك التجليات التي تبين عمق زهده واستقامته حيث كان يخاطب الطلاب دائماً..

«إذا خطوتم خطوة في طريق تحصيل العلم والمعرفة، فينبغي أن تخطوا خطوتين في طريق تهذيب النفس وتربيتها» وعلى هذا المبدأ شق الإمام طريقه، ولهذا فقد اخترق حجاب العلم والمعرفة واجتاز طريق العروج، وبلغ المقصود، ووصل من علم الأخلاق إلى ذات الأخلاق، ومن علم الحكمة إلى ذات الحكمة.

طبع مؤلفات الإمام

لقد اتصل الإمام الخميني طول عمره الشريف بدرب الحق، وحياة الزهد والاستقامة، بأسمى معانيها، فلم يترك العنان لنفسه كي تستسلم لليأس، ولم يحزن حين نالت يد الشر الأثمة من مؤلفاته النفسية وتمكنت من إخفاقها، كما لم يبد الفرغ والسرور حين عادت إليه من جديد أضف إلى ذلك أنه لم يظهر لأي كان رغبته في طبع مؤلفاته ونشرها، كما أنه لم يسمح بتأمين الموارد المالية اللازمة لتحقيق هذا الأمر، أما كتبه التي طبعت ونشرت فقط أبصرت طريقها إلى الطبع والانتشار عبر الإصرار الذي مارسه الآخرون، والأرضية العملية التي أوجدوها، إما عن طريق نخبة من تلامذته، الذين واطبوا على نسخ الدروس التي كان يلقيها سماحتها، حيث احتفظوا بنسخ خطبة، وباتت تنتقل من جيل إلى جيل منذ قديم الزمان، إلى أن قام بعض طلابه بطبعها ونشرها، غير أن هناك مجموعة كبيرة من المؤلفات النفيسة، التي أبدعها قلمه الشريف، ومع الأسف الشديد لم تطبع حتى الآن، فإن عدداً كبيراً منها فقد في خضم التطورات والأحداث التي شهدتها حياة الإمام، ويحدونا الأمل بأن يعمد كل شخص أو جهة تحفظ بهذه الآثار إلى نشرها وطباعتها لأي سبب كان، وأهم هذه الآثار التعليقات والحواشي التي كتبها حول الأسفار للملا صدرا، والاهتمام بالإعلان عنها، وعدم التسبب بحرمان المجتمع الإسلامي والأوساط العلمية من هذه التحف الخالدة، وذلك بوضعها بتصرف مؤسسة نشر آثار الإمام الخميني كي تنال بذلك شرف خدمة العلم، وتجدر الإشارة إلى أن مؤسسة حراس الإسلام، ويتوفيق من الله وحمده هي في صدد طباعة تعليقات الإمام، حيث أنها قطعت شوطاً في هذا المجال وتخطت المراحل الأولية من المشروع، نسأل الله عز وجل أن يوفق هذه المؤسسة ويسد خطاها من أجل أداء هذه الخدمة الكبرى للثقافة الإسلامية والمعارف الدينية.

الرسالة العملية

لقد اتبع الإمام أسلوباً خاصاً تميز عن الأساليب الرائجة لنشر الرسائل العملية التي تصدرها المراجع الفقهية، وقد اطلعت عن كتب على إحدى الحالات التي اصدر فيها ادهم رسالة فقهية عملية، بالإضافة إلى تهئية حواشي على الرسائل الفقهية، كيف اشرف شخصياً على طبعها وترجمتها إلى عدة من اللغات الأجنبية قبل أن يصل إلى درجة المرجعية، وقبل أن تبدأ عائلته بتقليده أما سماحتها فإنه لم يشرع بنشر رسالته العملية إلا بعد أن تركزت الزعامة الروحية، وهيات الأسباب للمرجعية الدينية بمشيئة الله لديه، رغم محاولته الابتعاد عن طريق الزعامة والشهرة، ونفوره منها، وبعد الإلحاح والإصرار الذي مارسه الكثيرون، أما بالنسبة إلى طبع الرسالة العملية فإن سماحتها لم يقلل على إتباع السنة المعمول بها والتي تقتضي طبع الرسائل على نفقة بيت المال والحقوق الشرعية، ليتم توزيعها على الناس مجاناً، وضمن نطاق واسع فلم يكن سماحتها يسمح بأن يلجأ إلى الأموال الشرعية من أجل طباعة رسالته العملية كما أنه لم يعط الإذن بتوزيعها مجاناً على الناس، وتوجد الكثير من القصص المعبرة عن رأي الإمام القاطع تجاه هذه المسألة وعلى سبيل المثال طالعني الذكرى ذات مرة عندما قام والذي بزيارة لسماحة الإمام، وبعد المجاملات العادية، بات يشرح لسماحتها مسألة كثرة المقلدين، وحاجتهم الماسة إلى رسالة عملية يرجعون إليها، ثم حاول إقناع الإمام بضرورة طبع رسالته، وبعد أن استمع الإمام لكلامه بادره بلهجة تنم عن صراحة واضحة، خالية من المجاملات: أرى أنه من المناسب أن توجه كلامك هذا إلى أحد أصحاب دور النشر. وتأثر كثيراً عند سماعه هذا الجواب الصارم الذي لا ينسجم أبداً

مع الأسلوب المتعارف عليه ضمن هذا النطاق، إلا أنه بعد أن غاص في أعماق كلام الإمام، وأدرك منهجه في النظر إلى الأمور، وتعرف على المعايير الإلهية التي يعيشها، تغيرت انطباعاته وازداد إعجابه وإخلاصه لسماحته إلى حد فاق كل اعتبار.

لقد اتبع الإمام الخميني الطريقة المثلى، والأسلوب اللائق، وعمل على تثبته وترسيخه في ظروف شهدت الكثير من الأساليب المستهلكة، التي عمل بها الآخرون حيث شاهدت بنفسي بعضها، وتفصيل ذلك أنه عندما ألمّ المرض بأية الله الحكيم رحمة الله عليه، انتقل على أثر ذلك إلى لندن للمعالجة، كنت حينها في إحدى إمارات دول الخليج ضيفاً في منزل أحد علماء الدين، فاسترعى انتباهي مشهد أثار دهشتي واستغرابي وهو أنني رأيت في إحدى الغرف وبعض الزوايا الأخرى من المنزل وقد امتلأت بأعداد هائلة من الرسائل العملية بشكل كثيف، لتبلغ ارتفاع الغرفة بكاملها، وهذه المجموعة الضخمة عائدة لبعض العلماء، ثم عرفت أن هذه الرسائل قد أرسلت كي توزع بصورة مجانية بين الناس، بعد وفاة آية الله السيد محسن الحكيم، والجدير بالذكر أن العالم الديني الذي كنت بضيافته، واعتقد أنه كان مقلداً للإمام، لم يكن قد حصل حتى ذلك الوقت على نسخة واحدة من رسالة الإمام العملية، وصادف أن قام بزيارتنا ولعدة مرات بعض الأشخاص من العلماء وغيرهم الذين اعتادوا على اتباع الطريقة الرائجة التي أشرت إليها، وبعد مراجعتهم لمكتب الإمام الشرعي، كانوا يطلبون تزويدهم بنسخ من رسالته العملية، وعند سماعهم جوابنا بأنه ليس لدينا نسخة واحدة، وإن أحسنا بالحاجة إليها، وضرورة وجودها من أجل الإجابة على الفتاوى الشرعية وحتى إذا احتاجها سماحته شخصياً فإننا نبادر إلى شرائها من المكتبات كبقية الناس.

أما بالنسبة إلى بقية مؤلفات الإمام المطبوعة، فكانت مشمولة لهذا الأسلوب أيضاً حتى أن سماحته كان يعمد إلى استعارتها من عندنا، عندما يكون مضطراً للرجوع إليها ليعيدها إلينا بعد قضاء حاجته.

والمسألة الأخيرة والمهمة هي هذا المجال في أن سماحته كان يعتبر توزيع الكتب على الناس مجانياً أو بسعر زهيد جداً أو بقيمة رمزية بمثابة ضربة معنوية توجه للكتاب، وتنال من شأن مؤلفة لذا نشأ عنده الحرص على عدم اتباع هذا الأسلوب، ونموذج ذلك التالي:

اهانة واستغفار

أقدم أحد الأصدقاء المخلصين، الذين تربطهم بالإمام علاقة وطيدة وهو من قدامى النجف الأشرف على تحقيق وطباعة بعض مؤلفات آية الله الشهيد المرحوم الحاج مصطفى الخميني، أعقب ذلك برسالة وصلت لسماحة الإمام عن غير طريق مكتبه وبعد أن دخلنا إلى مجلس الإمام المبارك وتشرفنا بخدمته عرض موضوع الرسالة وأبدى تأثيره الشديد واضطرابه وبادرنا بالكلام:

«هذا الرجل» ماذا كتب لي؟ إنه يهين السيد مصطفى وكتابه فليستغفر الله، يجب أن يستغفر الله لهذه الإهانة. وبما أنا لم نطلع على مضمون الرسالة أخذتنا الهواجس وسرح بنا الخيال ترى على ماذا تنطوي هذه الرسالة حتى استدعت اضطراب الإمام، وبعد مرور عدة أيام حضر الشخص نفسه إلى المكتب فبادرناه بالحديث عما يريد الإمام منه، فكتب لي حينئذٍ مضمون الرسالة من جديد كما نصه:

جانب مقام الإمام المبارك، لله الحمد، لقد انتهيت من طبع كتاب الشهيد المرحوم آية الله الحاج مصطفى الخميني، نرى إذا كنتم موافقين نساعد بمبلغ من المال، ونحسم من كلفة طباعة الكتاب ليصبح رخيصاً ويعرض في السوق بسعر رمزي ونصف مجاني.

ب: الإنفاق

الممتلكات الشخصية للإمام

ألف: الأرض والمنزل

لم يكن الإمام الخميني كما عرف لدى الجميع فقيراً، ومعدماً إلى حد أنه لم يرث شيئاً عن والده، وكذلك بالنسبة لقدرته في توفير وتأمين الإمكانات التي تتيح حياة كريمة ومرفهة، والحقيقة أن الإمام كان قد وزع الأرض التي ورثها عن والده إلى الفقراء، والمساكين، كما أنه اهدى جميع الأملاك والبيوت المتعددة، التي قدمت له هدايا من المؤمنين والمحبين.

سواء قبل انتصار الثورة، أو بعدها، والتي لم تكن حقوقاً شرعياً أو نذورات، إلى المستحقين من الفقراء، والمؤسسات الخيرية بعد قبوله لها وتملكها.

ومنها المساحات الواسعة التي تعد بالهكتارات من البساتين التي كانت قد قدمت إلى الإمام بعنوان هدايا، حيث أمر سماحته بعد قبولها بتوزيعها على المزارعين الذين يعملون فيها وتمليكهم إياها، وأخيراً لم يبق للإمام شيء يملكه سوى ذلك البيت الصغير المتواضع الذي كان يسكن فيه أيام الدراسة في قم، والواقع في محلة «يخجال قاضي» تلك المحلة التي تعتبر في ذلك الزمان آخر نقطة سكنية في قم، وهذا المنزل أيضاً، أصبح مركزاً لمراجعة الناس والطلاب فيما يتعلق بالمسائل الشرعية والمصالح العامة، سواء في الفترة التي كان مبعداً فيها إلى النجف الأشرف، أو فترة ما بعد انتصار الثورة وإلى يومنا هذا. إن حب الأمة للإمام وتعلقهم به ناتج عن عظمة شخصيته، وترجم هذا الحب عبر تقديم المخلصين له الكثير من الهدايا الشخصية، بالإضافة إلى الأرض والبيوت، والأموال الطائلة والذهب والأشياء النفيسة، والكتب وأنواع مختلفة من القرانين المخطوطة واللوحات الفنية العظيمة، والأقمشة الغالية وغيرها من الأشياء التي كانت تقدم من طرف المشتاقين والمؤمنين بسمو وعظمة مقامه الشريف.

لقد بلغت قناعة الإمام أقصى درجاتها من الاقتصار على الضروري في المصاريف الحياتية والشخصية والعائلية اليومية، بشكل بلغ الحد الأدنى لحياة عامة الناس، ومع أن هذه الأموال وتلك الهدايا كانت تقدم له بعنوان شخصي محض فإنه لم يبق أو يدخر منها شيئاً لنفسه إلى حد أن ما تركه الإمام بعد رحيله، لم يكف لتغطية نفقات يومين أو ثلاثة أيام لاستضافة بعض الضيوف على المستوى العادي سواء في المكتب أو البيت.

ب: لوازم الحياة

لقد وصلت للإمام هدايا كثيرة من قبيل، العباة، قمصان، سجادة، نعلين، جوراب، قلنسوة، كلها كانت تقدم لسماحته وفي بعض الأحيان يأخذ حاجته، وإذا توفر عنده من نفس النوع أكثر من عدد واحد يبادر قائلاً:

«ماذا أريد أن أفعل بكل هذه الأشياء».

وبخصوص الذي يزيد عن حاجته يقول:

«أعطوها للمحتاجين».

وفي بعض الموارد التي نتصور فيها أن الإمام يقبل الهدايا لنفسه، كنا نعرف فيما بعد أن الأمر ليس كذلك حيث أن سماحته يريد أن يُشرف بنفسه على توزيع ما يقبله من أجل إعطائه للآخرين.

وبالجملة فإن أحد المؤمنين الكويتيين، أحضر صرة من أقمشة القمصان الطويلة، وقدمها هدية للإمام، فقبلها الإمام ولم يقل شيئاً ولكن بعد عدة أيام وبينما كنت أهم بالاستئذان والخروج من مجلسه المبارك التفت وسط الغرفة وشعرت بأن الإمام يريد أن يقول شيئاً، وعدت اقتربت من سماحته فبادرني الإمام بالكلام قائلاً:

تلك الأشياء - وأشار إلى خلف الستارة للغرفة الخلفية - هي لك خذها.

قلت: سمعاً وطاعة.

وذهبت إلى المكان المشار إليه فوجدت صرة أقمشة القمصان التي جلبها الكويتي فأخذتها وخرجت شاكرًا له.

ج: الكتب والأشياء النفيسة

أما فيما يتعلق بهدايا «الأنتيكة» النفيسة كالقرآن المخطوط مثلاً فإنه كان يبادر قائلاً:

«قدموها إلى الجهات التي تستطيع المحافظة عليها».

وفيما يتعلق بشأن القرآن المخطوط ذو القيمة العالية. كان يتفضل قائلاً:

«فليرسل إلى مكتبة الإمام الرضا».

أما في بعض الأحيان حيث كان الإمام يتصرف فيها خلاف العادة فيقول: ضعها هنا.

كما نعرض على سماحته الهدايا المشتتة على عدد من اللوحات الفنية الغالية التي تحتوي على بعض شمائل الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) والتي سنعرض وضعها في مناسبة أخرى، أو الكتب التي تقدم لسماحته هدية من قبل بعض دور النشر، أو من قبل الكتاب أنفسهم، هذا ما عدا بعض الموارد والتي لا تتجاوز عدد أصابع اليد فيما يتعلق بالكتب العرفانية الحديثة الطبع، فتبقى عنده وكان يتفضل قائلاً:

«احملوها، واعطوها لأشخاص يستفيدون منها».

أرسلت مجموعة من الكتب التي تتجه على الإمام والثورة وتعال منها، وملينة بالكذب والافتراءات والشتائم، أثّرنا عدم تقديمها لسماحته حتى لا تسبب له إزعاجاً، وخوفاً من وقوعها في يده من غير طريق المكتب عمدنا إلى إيصال أسوأ كتاب، يتحدث عن الإمام والثورة كي يطلع عليه الإمام وقلنا أن هذه الشخصية العظيمة التي لم تتأثر ولو للحظة واحدة من أهل الفسق والعصيان وكيد الأعداء، هل تستطيع هذه الحفنة المعارضة والمخالفة أن تزلزل هذا الجبل الشامخ المملوء بالإيمان.

د: الأموال النقدية

إن القسم الأكبر من الهدايا والندورات التي نستلمها بشكل يومي، مقدمة إلى الإمام من المؤمنين المحبين، عبارة عن بعض الأموال النقدية من الذهب والمجوهرات أما الهدايا التي كانت تقدم من عوائل الشهداء من كافة مراتبهم، أو تقدم من إنسان فقير معدم بعد أن يتقبلها يعطينا إياها ويقول:

«ارجعوها لمقدمها».

أما فيما يتعلق بشأن الهدايا المرسلّة من عوائل شهداء الجيش والتي يقدمونها للإمام من المبلغ الذي يدفعه الجيش للعائلة والبالغ 200 ألف تومان. فبعد قبوله وقبضه المبلغ المقدم نقداً، أو شيكاً يعيده مباشرة إلى صاحبه دون الالتفات إلى مدى الحاجة وعدمها.

وبغض النظر عن الموارد المذكورة وأمثالها المتعلقة بالذين يقدمون الهدايا يعيدها الإمام إليهم كان بعض الأفراد الذين يحتاجون للمساعدة يرفضون في نفس الوقت أخذ الحقوق الشرعية وكانوا يطلبون من الإمام أن يساعد من ماله الشخصي لقضاء بعض حاجاتهم. ومن جملة هؤلاء أحد وكلاء الإمام، كتب إلى الإمام بواسطتي ما يلي:

إن ولدي يدرس في إحدى الدول الإسلامية، وقد تراكم عليه الدين، وحتى الآن لم يحصل على العملة الصعبة من الدولة وهو بأمر الحاجة إلى المساعدة، ولكن عن غير طريق الحقوق الشرعية، فإذا أمكن أن تدفعوا من حسابكم الشخصي وتفضلوا علي بالمبلغ المرقوم.

وبما أن المسألة تتعلق بالعملية الصعبة، وهدايا الإمام التي تأتيه بالعملية المذكورة قليلة عادة - كنت أجد صعوبة في نقل هذه المسألة وطرحها على الإمام، لكن في النهاية عرضتها عليه وبعد عدة أيام هياً سماحته المبلغ وتفضل قانلاً:

«أعطوا هذا للسيد صاحب الرسالة».

وستلاحظون في فصل العشق المتبادل فيما سيأتي نماذج كثيرة من هذا النوع.

أداء الدين

نموذج آخر.. كان الإمام قد اطلع على أن أحد الأشخاص الذي يعرفهم قد اشترى بيتاً واستدان مبلغاً من المال لم يعد قادراً على إيفائه وسداده، فأمر الإمام بإيفاء الدين وسداده، فتشرف الشخص المذكور بحضور الإمام وشكره وقدم اعتذاراً في نفس الوقت على جسارته بالتحدث إليه فقال:

إنني سعت حتى الآن بأن لا استفيد من الحقوق الشرعية في معيشتي، وعندي رغبة إذا تفضلتم على إكمال هذا الطريق على هذا النحو في تلك الأثناء لم يقل الإمام شيئاً. ولكن بعد عدة أيام تفضل الإمام بلطفه ودفع قسماً من المبلغ وبعد أسبوعين أو ثلاثة أسابيع دفع القسم المتبقي على ذلك الشخص من ماله الخاص.

الإمكانات غير الشخصية للإمام

إن قصة الزهد والاستقامة والورع التي عرفها الإمام، وابتعاده عن الشهرة والرياسة والمرجعية، أصبحت معروفة وواضحة على لسان خاصة وعامة الناس، بحيث أن الخوض في هذا الموضوع يتطلب كتابة فصل مستقل بذاته.. وعلى أي حال ورغم إرادة الإمام، فقد شاعت العناية الإلهية أن يتربع سماحته على كرسي المرجعية والشهرة في أرقى قمة وعظمة حب الناس له، نظراً لتبونه الزعامة، والمرجعية المطلقة لعالم التشيع وازدياد شهرته، فقد طرقت بابه سيول الحقوق والأموال الشرعية إلى حد بلغ معه مجموع الرواتب الشهرية التي تكفل الإمام بدفعها إلى الحوزات العلمية بالإضافة إلى سائر المصاريف الشرعية الشهرية حوالي المليار ونصف المليار ريال وبدون أدنى شك أن الجهاز المالي المتوفر لدى المرجعية الشيعية لا مثيل له في العالم ولا أظن أن هناك شخصية أو مؤسسة يوجد في تصرفها هذا المقدار الهائل من الأموال، والتي تدفع من قبل أصحابها عن طيب خاطر كأداء للواجب الشرعي الإلهي الملقى على عاتقهم بحيث لا يشعر المرجع الديني بأي

حرج أو منة من الدفع، بل العكس فإن معطي الحقوق يعتبره هو صاحب المنّة والفضل عند قبوله المال، لأن المكلف يعرف بذلك أن التكليف الشرعي قد رفع عن نفسه، ويبرئ ذمته لأن مسؤولية الأموال قد أصبحت في عهدة المرجع. هذه هي الثقافة المثلى التي تحكم تعامل المرجع الديني مع سائر الذين يقومون بأداء الحقوق الشرعية، وأي تعامل آخر يلحظ في هذا المجال يعتبر خروجاً عن المنهج السوي المتبع، وفيما يلي نموذجاً في كيفية تعاظم الإمام مع هذا التعامل المختلف عما ذكرنا.

ليس لكم منة علينا

جلب أحد التجار الإيرانيين مبلغاً ضخماً من الحقوق الشرعية لسماحة الإمام، وبناءً على فهمه الخاطئ الذي تعلمه من الآخرين، وضعف إيمانه، وكأنه يريد أن يمنن الآخرين بإعطائهم المال، والذي ما زال قلبه متعلقاً فيه إلى درجة كبيرة وحين حضوره بين يدي الإمام، طلب منه أن يخفف عنه الخمس فمثلاً أن لا يأخذ الإمام نه خمس سيارته التي تعلق بها الخمس فيما كان من الإمام إلا أن وضع أمامه كل الحقوق التي جلبها وتفضل بالقول:

الأخ: ...، ليس لك منة وفضلاً علينا بجلبك المال إلينا؟؟

كلا، نحن لنا الفضل عليك لأنك عندما تدفع المال ونقبله منك تبرأ ذمتك أمام الله، وهذه أولى مسؤولياتنا، وفي الفترة التي كنا فيها عند الإمام بجماران أصبح هذا التصرف سنة ثابتة وهي أنه لا يوجد أي امتياز أو أفضلية لشخص يدفع المبالغ الطائلة من الحقوق الشرعية على شخص يدفع خمس أو عشرة توأمين في مجال العمل، لأن ملاك التعاطي مع الآخرين إنما هو الإيمان والتدين والإخلاص. ويمكن لبعض الأشخاص الذين يدفعون الخمس أن يكون لهم مآرب ومقاصد غير الإلهية، وبمجرد معرفة هذا الأمر كنا نرفض الحقوق مهما بلغت فضلاً عن استلامها ونطرد القادمين لدفعها، وفي المقابل كنا نكرم أولئك الذين يأتون لدفع الحقوق الشرعية وعلامات الإخلاص والإيمان بادية عليهم رغم أن المبلغ الذي يريدون دفعه ليس بالشيء المهم، وكنا أحياناً نهئى لهم فرصة اللقاء مع الإمام لتقبيل يديه.

عندما يعلم الإمام بأن الذي يدفع الحقوق الشرعية هو من أبناء المستضعفين وبأن وضعه المادي ليس جيداً كان الإمام بعد استلامه الحقوق الشرعية يعيدها له مباشرة، وأحياناً يقوم بهذا العمل مقروناً بدعائه بالخير لهم.

الاهتمام الخاص بالمزارعين

والموضوع الذي يشد الانتباه، يتعلق بقطعة من الأرض تقع في أطراف أصفهان وضعت بتصرف الإمام تحت أحد العناوين الشرعية وكان سماحته قد وكل أحد الفضلاء ببيع هذه الأرض وقبض المال وبعد فترة من الزمن وبتاريخ شهر كانون الثاني 1983م. قيل للإمام أن الوكيل قد باع الأرض في أصفهان، بيد أن المزارعين الذين كانوا يعملون في تلك الأرض وضعهم سيئ وهم من الفقراء المعدومين وقد ذهبوا إلى آية الله بسنديده (أخ الإمام) واشتكووا له أنه يبيع الأرض المذكورة لم يعد لدينا أي عمل نعتاش منه، عند سماع الإمام كلام المزارعين تفوه بلهجة شديدة وصارمة، «فلتعت الأرض للمزارعين وليمتلكوها».

مساعدة المحتاجين

كان موقف الإمام من التسول حازماً وصارماً، ومن باب تقديم نموذج، كان بعض الأشخاص في النجف الأشرف يحترف مهنة التسول تحت عنوان خادم الحرم المطهر، ولطالما كان يتردد من منزل مرجع إلى منزل مرجع آخر طالباً منهم المال بأسلوب ينم عن قلة الأدب، وأحياناً يترافق مع جو غير عادي يرافقه الصراخ والعراك.

لقد استطاع الإمام وحده أن يقف بوجه هؤلاء دون أن يستسلم لعملهم في الوقت الذي سعى جاهداً من أجل الفقراء والمساكين والمستضعفين والمحتاجين، وبغض النظر عن ثورته وقيامه في سبيل الله لأجل إنقاذ هؤلاء من براثن الظالمين والقوى الشيطانية، علاوة على اهتمامه التام وأوامره اللازمة للمسؤولين لأجل إنصاف هؤلاء وإحقاق حقوقهم، كان الإمام يهتم بأوضاعهم شخصياً ضمن أولويات جدول عمله اليومي وبشكل دائم يسمح ويجيز دفع الحقوق الشرعية من السهمين الشريفيين للمستحقين من الفقراء، وإعطاء المحتاجين المستحقين حتى في بعض الموارد الخاصة التي يذكر فيها مشخصات الموضوع والحاجة المطلوبة لذلك فيما يتعلق بقرض أو مرض أو طلاق أو سكن إلى حد حل المشكلة نهائياً ورفع الحاجة عنه، وفي بعض الحالات يكتب أحد الأشخاص رسالة، مثلاً: لي علي فلان الفلاني مبلغاً من المال وبما أنه لا يستطيع سداد هذا المبلغ لي فهل تجيزون لي اعتباره من الحقوق الشرعية الواجبة وكان الإمام يتفضل بالإجابة على ذلك: إذا كان الشخص المديون لا يستطيع إيفاء دينه لا يحق للدائن مطالبته فكيف يمكنه احتسابه على نفسه وإسقاط الحق الشرعي، أما إذا كان المستدين يستطيع أن يدفع دينه، ولكنه فقير، والأمر صعب بالنسبة له، لذا في مثل هذا الفرض يستطيع احتساب المبلغ من الحقوق الشرعية، وكان الإمام على اطلاع شخصي مباشر بعض حالات المحتاجين ويأمر يبحث أوضاع أولئك الذين يسكنون في أماكن بعيدة ويعتبرون من المنسبين والعمل على حل مشاكلهم وسد كل حاجاتهم.

الاهتمام بالمناطق المحرومة

في الوقت الذي كان فيه وكلاء الإمام، والذي يملكون إجازات قبض الحقوق الشرعية، يحق لهم فقط التصرف بثالث المبلغ وصرفه في مكانه المناسب، أما الثلثان الباقيان ينبغي إرساله إلى المكتب ليصرف في مجالات الحوزة العلمية وإعلاء كلمة الله. وأما في المناطق المحرومة والبعيدة عمل الإمام على عكس ذلك. فأعطى إجازة بصرف الثلثين في تلك الأماكن وإرسال الثلث الآخر إلى المكتب، وفي المناطق التي ارتفع فيها معدل الحرمان بدرجة عالية جداً، فقد أجاز صرف جميع أموال الحقوق الشرعية بشرط صرفها في الموارد الشرعية المحددة من مساعدة الفقراء المؤمنين الملتزمين، ولم يستثن الإمام من هذه القاعدة، وكلاؤه في باقي الدول الإسلامية من جملة هؤلاء بعض العلماء في لبنان وهم من علماء حزب الله أجازهم بصرف الثلث أو النصف في بلدانهم، وأجاز بعضهم شفهياً بصرف الثلثين على أن يتم إرسال الثلث الباقي إلى المكتب ونعاود إرساله مجدداً إلى لبنان بأمر من الإمام وكان الأخوة يصرفون الحقوق الشرعية من خلال صندوق بيت المال الذي أسس في لبنان لأجل خدمة الفقراء ومساعدتهم والاهتمام بخدمة المؤمنين المحتاجين ومصالح المسلمين العامة وكان بيت المال يرسل في نهاية المطاف كشفاً بيانياً عن أعمالهم إلى مكتب الإمام في طهران، إضافة على ما تقدم أجاز الإمام لكثير من وكلائه فيما يتعلق بأوضاع عوائل الشهداء، والتعبئة العامة، المجاهدون، وبصورة عامة كل الذين يعملون في خدمة الإسلام، وإعلاء كلمة الله ووضعهم المعيشي متدنياً بأن يتصرفوا حسب التشخيص الذي يرونه مناسباً بشأن إهمالهم في الدفع وتقسيط المبالغ المتوجبة عليهم بعد مراجعتهم واحتساب خمسهم وإذا رأوا من الضروري في بعض الموارد إبراء ذمتهم بالكامل يتصرفون بذلك تماماً كما كان يفعل الإمام أيضاً في مثل هذه الموارد المذكورة بصورة عامة.

ج: الفتاة والبساطة

- أعظم إنسان في أصغر منزل -

خلال فترة إقامة الإمام في النجف الأشرف، وكغيره من منات طلبة العلوم الدينية، قد اتخذ لنفسه منزلاً متواضعاً يقع في أحد تفرعات شارع الرسول، حتى في الفترة التي أعقبت انتصار الثورة والتي قضاهها الإمام في قم أو التي أمضاها في جماران والتي ناهزت العشر سنوات، كان كغيره من المستضعفين مستأجراً لبيت قديم عند السيد جماراني.

هذا المنزل الذي بلغت مساحته 120م² مع طابق سفلي مساحته 70م² استأجره الإمام من صهر السيد جماراني، والذي قام بتوزيع ارث والده بعد وفاته، وقدم في الأثناء بيتاً قديماً لإمام بلده جماران، لقد عاش الإمام الخميني في هذا المنزل الصغير المتواضع جداً الذي شاهده الجميع عن قرب أو عبر شاشات التلفزيون - حياة متواضعة استطاع خلالها أن يمتلك قلوب الملايين من مسلمي العالم ومستضعفيهم، وباعتماده على الإيمان والقدرة الإلهية المطلقة استطاع أن يدك عروش الطواغيت وقوى الاستكبار الشيطانية.

- مراسل أمريكي -

كانت الحياة البسيطة التي اعتادها الإمام بالرغم من عظمته وسموه واستقامته وزهده، أشد انبهاراً وأكثر دهشة وخصوصاً لأولئك الذين يشاهدوا عن قرب حياة الجبارة وحكام العالم المادي المستكبر في قصورهم الفخمة المخزية. وفي أحد الأيام، قدم إلى جماران مجموعة من الصحفيين الأجانب وكان احدهم وعلى ما يبدو أنه شاب أمريكي، ولكم كانت حيرته واندعاشه عظيمين حينما رأى وشاهد منزل الإمام ومكان إقامته ورغم أنه شاهد كل شيء بأم عينه إلا أن تلك المشاهدات بالنسبة له كانت غير قابلة للتصور والتصديق وعلى هذا الأساس بدأ وكأنه يفتش عن شيء غير عادي والحال كذلك، فإذن حس البحث واكتشاف الحقيقة التي يتمتع بها الصحفي عادة قد وصلت إلى طريق مسدود، وبدأ يبحث عن شخص يتحدث معه علّه يجد ضالته، ويجد حلاً للغز الذي يدور في خلدته، وأخيراً اقترب مني وبلهفة وشوق عظيمين بدأ حديثه معي، لم أفهم ما يقول، لكن لسان حاله يتحدث عن كل شيء وأخيراً وجد المترجم ليرجم له حديثه. كان قد نصب في منزل الإمام خيمة من الحديد غطيت بقماش واسع، تمنع من البرد والإمطار في الشتاء وتقي الناس حر الصيف وأشعة الشمس المحرقة.

كان سؤاله: لماذا نصبت هذه القضبان والقواطع الحديدية فهل أدخلت فيها الأسلاك الكهربائية.

وسأل أيضاً: حقيقة هل هذا هو منزل الإمام؟

وبتوضيحي وإجابتي عن السؤال ازداد تعجبه، وأكملت معه حديثي موضحاً نقطة مهمة بحيث أنها لم تكن لتخطر ببال صحفي باحث؟

هذا المنزل الذي تراه مستأجر، وليس ملكاً للإمام، ازداد تعجبه وكان واضحاً أنه لم يصدق ما أقول، فهو لا يستطيع أن يتصور شيئاً من هذا القبيل، واغروقت عيناه بالدموع وتبدلت حالته، واعتدته حالة فتحت أمامه آفاقاً جديدة، ولكن عيناه غير قادرتان على رؤية ذلك، وهذا الكلام غير قابل للتصور والتصديق في أعماق فكره. شكرني من أعماق قلبه ولم تعد هناك حاجة للترجمة بحق وصدق إن كل صفة من صفات الإمام وكل فضيلة من فضائله تعتبر من خصائص الإسلام، وفضائله، ومميزاته، وما هي إلا من تجليات الإمامة والقيادة في الحكومة الإسلامية وبمقاييس هذه الخصائص للقيادة والحكومة الإسلامية مع سائر الأنظمة والحكام الآخرين كافية عند من يمتلك الحد الأدنى من حرية الفكر أو الحسب الإنساني ليحكم بأحقية الإسلام ويقتدي بالنظام الإسلامي العادل مخلص البشرية.

- القناعة والزهد عند الاقتدار -

خلال الفترة التي تبوأ فيها عرش المرجعية والزعامة كانت الأموال تحت تصرفه، وقد بلغت مئات المليارات من الريالات عبر الحقوق والوجوه الشرعية وغيرها. علاوة على ذلك كانت جميع الثروات الطبيعية ومنابع الطاقة والمليارات المليارات من الموجودات المتنوعة تحت تصرفه، وخاضعة لقرارات وأوامر ولايته وزعامته على الأمة والجمهورية الإسلامية.

ومع هذا كله، فهذا الإنسان الزاهد، السالك والمتكامل، والمتصل بالله ورغم إمكانياته الواسعة في التعاطي مع الأمور من خلال الصلاحيات التي يستمدّها من الله، من خلال قيمومته وولايته على الناس، ورغم سلطته وقدرته الفعلية في التصرف والتدخل في جميع الأمور على مستوى الحكومة والدولة، لم تزل قدمة وخصص ذاته بشيء أو أسرع إلى التصرف بهذه المقدرات لمصالحه الخاصة وشؤونه الذاتية. بل على العكس من ذلك، لقد سعى جاهداً وحتى آخر لحظة من عمره الشريف سالكاً درب القناعة وعدم الإسراف وعاش حياته في منتهى البساطة والإيمان والطهارة الإلهية.

- بعيداً عن مظاهر الترف -

لقد كان الإمام الخميني طول الفترة التي قضاها في النجف الأشرف يعيش في منزل قديم متواضع مثل سائر بيوت الناس العاديين. وجرت العادة أن كبار القوم في النجف كانوا يتخذون بيتاً في الكوفة والآخر بالقرب من شط الفرات وخصوصاً في فصل الصيف حيث يذهبون إليه (والكوفة تبعد 10 كلم عن النجف الأشرف ومناخها طبيعي جداً ، والهواء فيها عادة أقل حرارة من النجف بخمس درجات) لم يكن الإمام قد داخله الإرتياح النفسي لهواء النجف الحار والجاف ونظراً لتقدمه في السن فإنه يجد صعوبة أكثر بكثير من أولئك الذين يعيشون في النجف منذ سنوات طويلة واعتادوا عليه، وجميع الأصدقاء لم يكونوا مرتاحين لهذه المسألة.

وفي إحدى الليالي، بدأ المرحوم الشيخ نصر الله خلخالي وبعد مقدمة بسيطة بإعطاء الأمثلة عن أولئك الذين أصابهم المرض نتيجة بقائهم في النجف، وكان الأطباء قد نصحوا بأن هواء النجف يعتبر سمّاً، بينما هواء الكوفة دواء لهم، وعندما ذهبوا إلى الكوفة شفيوا من أمراضهم كاملاً، أراد الشيخ الخلخالي من هذا الموضوع بهذه الطريقة أن يحصل على إجازة من الإمام ليستأجر له بيتاً في الكوفة.

وهكذا بعد أن انتهى الشيخ الخلخالي من كلامه في الوقت الذي ظن فيه الجميع أن هذه الأحاديث والمقدمات أقنعت الإمام وهم ينتظرون جواباً إيجابياً من سماحته، فجأة رفع الإمام رأسه ونظر إلى المرحوم الشيخ الخلخالي وبدون أن يتكلم كلمة واحدة، ارتسمت على شفاهه المباركة بسملة جميلة ممزوجة بالمرارة.

بسملة شكر للمرحوم خلخالي، ومرارة لكرهه الدنيا وزخرفها، والتعلّق بزینتها، وفيما يتعلّق بهذا الموضوع، سمعت في جواب آخر تفضل به: «أنا لا أستطيع الذهاب إلى الكوفة (لأجل رفاهية نفسي) في الوقت الذي يقبع فيه الكثير من شعب إيران في الزنازين».

- الاقتصاد في الصرف -

كانت غرفة الإمام عادة تضاء بواسطة لمبة مئة شمعة وبما أن النور لم يكن كافياً أثناء المطالعة أو الكتابة كان يضئ لمبة أخرى. كنت أرى سماحته مرات عديدة عندما يريد الانتقال إلى غرفة ثانية في الداخل كان يرجع بعد لحظات من وسط الطريق ويطفئ النور داخل الغرفة ليتوجه بعدها إلى الداخل علماً أنه لم يكن يمكث إلا لدقائق معدودات ويعود ثانية إلى نفس الغرفة.

- الدقة والمحاسبة -

إن الدقة والمحاسبة والتوفير في مصاريفه المالية، تعتبر من خصائص الإمام التي ينبغي أن نفتخر بها جميعاً.

إن القناعة والتوفير في المصروف والتحرر من الإسراف والتبذير، وإشرافه الدقيق على بيت مال المسلمين والأموال العامة لهي مفخرة للناس ولكل مسؤولي الدولة.

حسين المشهدي، هذا الرجل المسن الذي تميز بالاستقامة في سلوكه والذي كانت علاقته بالإمام وطيدة منذ سنين طويلة حيث كان مورد اعتماد الإمام والمسؤول عن مشتريات منزل سماحته - نقل عنه في أحد الأيام أنه قال: أعطاني الإمام ربع دينار عراقي (كان يساوي 50 تومانا) لأجل المشتريات وعندما رجعت من سوق «حويش» إلى المنزل كنت قد اشتريت خبزاً، جبنة، لبن، خضرة وغيره وأدخلتهم إلى الداخل ورجعت، ولم أكن قد وصلت إلى الدار حتى ناداني الإمام: حسين المشهدي، فرجعت.

بادرني بالكلام: كم الحساب؟ فحسبت المشتريات.. فكان مجموعها بـ 235 فلساً فبقي 15 فلساً من ربع الدينار الذي يساوي 250 فلساً فقال: «أعطني الباقي» ومن المعلوم أن الخمسة عشر فلساً لا تساوي شيئاً يذكر، ولكن المهم في المسألة، ينبغي ان يكون كل شيء محسوباً بدقة وينبغي الاعتياد على ذلك: «حتى لو كان شيئاً زهيداً لا قيمة له».

- لا استطيع -

في خريف سنة 1985 ميلادية أصيب الإمام بمرض جلدي في ساقه حيث أصيب بالجفاف وتشقق الجلد، استدعي أحد أطباء الجلد واسمه الدكتور نجفي وبعد معالنته للإمام ووصف الدواء قال: ينبغي أن تضع رجلك في الحليب يوماً مرة أو مرتين وعلى الرغم من أن الإمام يتعاطى بلطف وليونة مع الأطباء وإرشاداتهم الطبية، ولكن ما أن سمع بمسألة وضع رجليه في الحليب حتى ارتعدت فرائصه بشدة وأجاب بلهجة حادة وقاسية.

«لا أقوم بهذا العمل».

د: الشجاعة والصلابة

- إلى الآن.. لم يتأخر-

أقيمت في مدرسة الفيضية في نوروز سنة 1963، احتفالات عظيمة بمناسبة استشهاد الإمام الصادق (عليه السلام)، وقامت على أثر ذلك فرقة من كوماندوس الشاه المقبور بهجوم واسع على الناس والطلاب ارتكبوا خلالها جرائم بشعة يندى لها جبين الإنسانية وستبقى وصمة عار على صفحات التاريخ وقائد هذه الحملة آنذاك رئيس جهاز الأمن «السافاك» في طهران «العقيد مولوي» وفي أيام عاشوراء التي صادفت في الثالث من شهر حزيران من نفس السنة، قام الإمام خطيباً في الجماهير المحتشدة التي بلغت عشرات الآلاف ليسجل خطاباً تاريخياً ومصيرياً من حياة الأمة ومن ضمن كلامه الذي أورده، والذي كان عمدة الخطاب، مواجهته العنيفة للشاه، حيث تحدث عن المجريات والأحداث التي وقعت في المدرسة الفيضية، وعندما أراد ذكر العقيد مولوي على لسانه تفضل قائلاً: ذاك الرجل أتى إلى مدرسة الفيضية والذي لن أذكر أسمة الآن وحينما أصدر قراراً بقطع أذنيه حينها «أذكر اسمه».

بعد يومين، وفي نفس الشهر والسنة تم اعتقال الإمام وأودعوه في زنزانة انفرادية في سجن يقع في معسكر «عشرت آباد» في طهران وينقل المرحوم السيد مصطفى الخميني عن الإمام أنه في الساعات الأولى من سجنه دخل عليه العقيد مولوي ويكثر من الكبرياء والغرور والاستهزاء تحدث مع الإمام وقال: أيها السيد، ألم تصدر أمراً بقطع أذن أحد الأشخاص؟ كان يريد من كلامه هذا أن يخرج السم من داخله، ويتصور بخياله الساذج البسيط أنه يستطيع أن يوجه الطعنة إلى الإمام ليضعف روحه العالية، وبعد لحظات من السكوت رفع الإمام رأسه إلى الأعلى وخاطبه بلهجة مطمئنة وصارمة:

«إلى الآن... لم يتأخر بعد».

في تلك الأيام كان ينتظر أن يُرقى العقيد، ويصل إلى رئاسة جهاز الأمن «السافاك» في جميع أنحاء إيران نظراً لما أبداه من تفانٍ وقدرة وإخلاص لجهاز الأمن «السافاك» لكن لم يطل هذا الانتظار كثيراً حتى كان عكس ما هو متوقع، لقد تم نقل العقيد إلى مكان ناءٍ وبعيد في آذربيجان، وبعد فترة أشيع أنه قتل أثناء حادثة سقوط طائرة هيلكوبتر، وبهذا وبدون أدنى تأخير قطعت أذنيه حقيقة.

- طبيعة الكلب المذعور -

تشرف بزيارة العتبات المقدسة أربعة من الوعاظ المعروفين في أصفهان، التقيت بهم في كربلاء، لم يرضوا بلقاء الإمام في مكان عام خوفاً من جهاز الأمن «السافاك» بعد عودتهم إلى إيران، لذا طلبوا مني أن أرتب لقاء خاصاً مع الإمام في منزله، وأخيراً قمت بالترتيبات اللازمة بواسطة السيد مصطفى الخميني، وحضر السادة في الموعد المحدد، وتشرفوا بلقاء الإمام بعد أن عرّفتهم على مقامه العظيم، استهل الإمام حديثه معهم بما يلي:

طبيعة هؤلاء (الشاه وعماله) مثل الكلب المذعور فإذا وقفت أمامه ورفعت يديك يبقى مكانه وإذا هاجمته يهرب من أمامك، أما إذا أخلّيت المكان من أمامه، وهربتم وتراجعتم إلى الخلف فإنه سيهجم عليكم ولا يترككم طالما أن أرجلكم لم تثبت وتتوقف عن الجري لا يريدون منكم في البداية أن تتحدثوا عن المطالب الفلانية، وإذا سلمتم واعترفتم يطلبون منكم التحدث عن تلك المسألة الفلانية أيضاً، وإذا عملتم يقولون لكن ادعوا لفلان وبعد ذلك نريد منكم أن تؤيدوا وتدعموا لوائح كذا، ونهاية المطاف يريدون منكم أن تعملوا في خدمة جهاز الأمن «السافاك» وتقدموا لهم التقارير وأخيراً يجب أن نعرف أنه ينبغي الوقوف بوجههم، وأفضل لنا أن نباشر ذلك عبر أول خطوة نقوم بها، وفي هذه الحالة سيضطرون عندها للتراجع وتكونوا أنتم المنتصرون والمؤيدين.

- في زمن القصف والغارات -

كانت الطائرات العراقية بمناسبة وغير مناسبة تقصف طيلة الوقت مدينة طهران وكان ذلك في أوائل شهر حزيران سنة 1985م الموافق لشهر رمضان المبارك، سنة 1405هـ وكانت المضادات الأرضية وخاصة تلك المتمركزة في الجبال شمالي طهران تسلب بدويها وصدى صوتها النوم والراحة لدى السكان. وعند إشراق الصباح، كان الجميع يشعر بالنعاس والكسل على أثر سهره طيلة الليل لعدم تمكنه من النوم، كما أن جميع الأعمال اختل تنظيمها وترتيبها، وبالرغم من كل ذلك كنا ملزمين بأن ننظم وقتنا لتنسجم مع وقت الإمام، فالإمام لم يكن ملزماً بأن يتبع أحداً في تنظيم وقته وله كامل الحرية في اختيار الأوقات وتنظيمها حسب ما ينسجم مع وضعه، وفي هذه الحالة وضمن الظروف الموضوعية، حيث الجميع أسرى النعاس ويشكون من قلة النوم، وحالة الكسل قائمة وكانت الرغبة التي نسعى لتحقيقها أن ننام في الساعات الأولى من الصباح حيث الهدوء يكون مخيماً.

ولكن الإمام وطبقاً لعاداته وطريقته الدائمة وبرنامج اليوم الذي يحتم عليه أن يكون في الساعة الثامنة صباحاً حاضراً في غرفة العمل واللقاءات، وفي أحد الأيام سأل الدكتور عارفي بعد معانيته للإمام الذي كان مكلفاً بالإشراف على وضعه الصحي: ألم تتغير أوقات نومكم واستراحتكم في هذه الأيام، أيام شهر رمضان المبارك؟ ألم يخف عملكم؟

فتفضل الإمام بالكلام: كلا.

وفي أواخر الحرب، هوجمت طهران بالصواريخ لفترة محددة وكان معدل سقوط الصواريخ يومياً عشرة صواريخ إضافة إلى عدد آخر كان يقع ضمن دائرة قريبة من جماران، مما اضطر سكان منطقة طهران للذهاب إلى الأماكن الآمنة والاختباء في الملاجئ، إلا أن الإمام رفض تغيير مكان إقامته، ومحل إنحاز أعماله وبرامجه اليومية حتى أنه كان يرفض الذهاب إلى الملجأ على الأقل رغم الإصرار الشديد من الجميع، وقد بلغ الأمر أنه رفض تغيير مكان جلوسه الذي يصادف خلف زجاج الغرفة، العمل الوحيد الذي أنجزه في محل إقامته هو إخفاء النور ومنع شعاعه من الامتداد إلى الخارج بواسطة تغطية الزجاج بالأوراق اللاصقة، كما أن الإمام رفض الذهاب إلى الملجأ الصغير الذي أنشئ بالقرب من منزله خصيصاً له وأكثر من ذلك أمرهم بالغائه، وكان قد حصل أكثر من مرة، عندما تشرف بحضوره في ذلك المكان نسمع دائماً صدى المضادات أو الانفجارات التي كانت تهتز لها الأرض.

و ذات مرة وبينما كانت الساعة تشير إلى الثامنة وعشر دقائق صباحاً وإذ بصوت انفجار هز المنطقة بأكملها حتى أن أبواب الغرفة انفتحت واصطدمت بظهري لأنني أجلس بالقرب منها، في هذا الوقت كان جل اهتمامي متوجهاً إلى الإمام فلم أر أي تغير أو رد فعل بدا على وجهه الشريف، وبما أن قلب الإمام في حالة رقابة صحية مستمرة بواسطة أجهزة خاصة، لم ينعكس على شاشة الجهاز أدنى تغير في نبضات قلبه المبارك، وتحققت من الأمر فيما بعد من أحد الأطباء الذين يشرفون على مراقبة قلب الإمام، فعلمت منه ان هذه الأحداث وصدى أصوات الانفجارات المرعبة والتي اهتز لها قلوب الجميع في لحظة واحدة، إلا قلب الإمام فكان كالجبل الراسخ لا تحركه العواصف، ليس فقط ملامح صورته المعبرة عن الصمود والصلابة لم يحصل لها أدنى تغير، بل حتى جهازه العصبي وقلبه المليء بالإيمان والتوكل على الله لم يرتعش أو يهتز لأن الإمام قد وصل إلى حقيقة واضحة (لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا).

وكان يحمل زاد الآخرة بضمير هادئ وقلب مطمئن لأنها وحدها إرادة الله هي الحاكمة على الوجود ولم يخشى إلا الله لذا لم يكن ليجد في أعماقه مكاناً للخوف من غير الله.

ه: العفو

- لا عداوة شخصية -

لقد انتهج الإمام في سيره وسلوكه العبادي الصراط المستقيم وتحرر من ذاته ليتوحد في طريق الله، فقد هجر سجن النفس وقفص الطبيعة المادية المظلمة ليهاجر إلى الله ورسوله، لم يحل في قلبه الذي هدّبه وأفرغه من كل شيء إلا الله. ولم تعد سعة الدنيا بأفاقها ولا نسب ومقادير الوجود تعني له شيئاً في خلواته مع الذات المقدسة، أفرغ الإمام قلبه وخلق روحه من كل شيء وحلولهما إلى صاحبهما ليتصرف بهما وفي أثناء سيره للوصول إلى هذا المقام العلوي أصبحت كل حركاته وسكناته، سكونه وكلامه. مرارة الحياة، وحلاوتها، الحب، والبغض وأخيراً مماته وحياته مبدأوها الله وغايتها الله.

إن الحب والبغض في بداية الأمر يستمدان اتصافهما الغريزي من الذات الإنسانية وينتهيان بها، ولكن الإنسان أثناء سيره التكاملي عندما يخلي ذاته لله، تصبح المحبة والبغض من الصفات المكتسبة التي ترتفع بالإنسان لأنهما تستمدان ذاتهما من ينبوع الذات الإلهية وتسير في اتجاهها إلى الله تعالى، إن المحبة الحقيقية هي تلك التي تنجذب بقلب متيم إلى الكمال والجمال. حينها تكون قد تعلق بالمركز الأساسي وبمبدأ الكمال والجمال لتصل إلى أقصى درجات سموها.

(وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) ليحبط اشعاع مثل هذه المحبة عالم الوجود بما فيه ويغلقه بها:

أنا سعيد بالعالم لأن العالم منه

وعاشق لجميع العالم لأن العالم منه

على هذا الأساس نظر الإمام بعين الرحمة والمحبة والحنو، إلى كل ظواهر الوجود وخاصة الإنسان على أساس أنها آيات وتجليات ومخلوقات من الله المحبوب الرحيم، وذلك على عكس ما روجته وسائل إعلام العالم الاستكباري حيث سعوا جاهدين لتشويه صورة الإمام الحقيقية من خلال نظرتهم الشيطانية والمادية بأن شخصية الإمام قاسية جداً لا تعرف الرحمة والعطف والشفقة.

إن تعاطي الإمام الملهم من ابعاد تلك الرؤية والتربية الإلهية ومن منطلق دوافع الرؤية السابقة الذكر جعله يشعر بنوع من الشفقة حتى تجاه ألد أعدائه وأشد منائيه أمثال نصيري، الشاه، صدام، ريغان، إذ أن مشاعر العداوة والبغضاء التي بادل بها هؤلاء الأشخاص، لم تكن ذات دوافع شخصية كما حاول الأعداء تصويرها، بل بسبب العصيان الذي أبدوه تجاه الحق، وعندما كان سماحته يدعو الله عز وجل بأن يعجل في موت احدهم وقبل ان يتلقى الآخرون هذا الدعاء بنوع من الحقد والكراهية كان الإمام يعتبر هذا من أنواع الدعاء بالخير والرحمة، الخير الذي يتمثل بتخلص شعبه من ظلمه وجوره من جهة، ومن جهة أخرى يحد من تزايد الإثم والعدوان ويخفف من ثقل سجله في الآخرة، وإذا كان سماحته، قد انبرى لمجاهدة حكم الشاه والقضاء عليه فلم يكن ذلك نابغاً من عداوة شخصية أو انتقام أو للقضاء عليه والجلوس مكانه في السلطة، فلو افترضنا أن الشاه قد تغير وتبدل مئة في المئة قبل ارتكابه تلك الجرائم، والتزم بإجراء وتنفيذ أحكام الله وبدأ بتطبيق الأوامر والنواهي التي أمره بها سماحته في المجتمع كما تفضل بذلك في بدايات الثورة، حتما لانبرى الإمام إلى دعمه وتأييده وبذل ما في وسعه لأجل تقوية نفوذه وبسط سيطرته وبهذا كانت مباني ومعايير الإمام في الحب والبغض والعداوة هي الله وليست ذاته أبداً لم يعاد شخصاً واحداً لأجل ذاته وفي الحقيقة أنه لم تطأ قدماه مكاناً للعمل وبدون استثناء إلا احاطها بعطفه وظلها بحنانه، ليس فقط أنه سامح أولئك الأشخاص الذين أخطئوا معه وظلموه بشكل عام أكثر من ذلك فقد تعاطى مع البعض منهم بنحو من العطف وتفقد أحوالهم ودعى لهم بالخير.

ولعل الكثيرين من المغرضين والجاهلين في قم ومن بعدها في النجف الأشرف، حيث وجهوا الكثير من الإهانات والتهم، والحرب النفسية والافتراءات، ونموذج ذلك كان واضحاً من خلال الخطاب الذي وجهه إلى الحوزات العلمية والعلماء والذي أشار فيه إلى موضوع إبريق الماء الذي ملأه ابنه المرحوم السيد مصطفى الخميني من الحوض في المدرسة الفيزية، ولكن الإمام سواء قل انتصار الثورة التي تربع فيها على عرش المرجعية وهيمن فيها على الحوزة العلمية بشكل مطلق، أو بعد انتصار الثورة التي وصل فيها إلى قمة العظمة وشيوع الصيت، وأمسك بكل مقدرات الزعامة، لم يفكر ولو لمرة واحدة أو يتصور ذلك في باله بأن ينتقم من أحد من هؤلاء.

بل على العكس من ذلك، نرى الإمام في موارد متعددة وكيف تعاطى مع هؤلاء الجماعات الذين كانت تربطهم به علاقة وطيدة ولكن نتيجة أعمالهم وسوابقهم المخجلة التي قاموا بها تمنوا الموت وعدم البقاء على وجه هذه الأرض، نرى الإمام يبادر بنفسه لزيارتهم ويساعدهم وإذا مرض أحدهم كان يرسل موفداً شخصياً لعيادته، ويحاول أن يحل مشاكلهم قدر المستطاع.

- لا ينبغي طرد هؤلاء -

أحد النواب المعروفين في مجلس الشورى الذين يحترمهم الإمام، وبعد أن تشرف بقائه ناولني رسالة منه، وقال:

بشكل عام مضمون هذه الرسالة تحدثت به مع الإمام وطلب مني أن أكتب ما قلته له وأقدمها لجنابه بواسطتكم كان موضوع الرسالة يتعلق بأحد رجال الدين المؤمنين وهو من المبلغين ذات مستوى علمي رفيع خلع زيه بناء على أنه دعا بطول العمر للشاه المقبور، واعتبر ذلك جزماً ارتكبه، علماً أن هذا الشخص من المؤمنين بالثورة والإمام ومن دعاة الإسلام، ويطلب إعادة النظر في الحكم، بعد يوم عرضنا مضمون الرسالة على الإمام فتفضل قائلاً:

قولوا للسيد أردبيلي إذا لم يكن هذا الشخص قد عمل في خدمة النظام وقد وقع في اشتباهه وخطئه نتيجة للضغط الذي كان موجوداً آنذاك، وإذا كان من الأشخاص الجيدين وبما أن ضميرهم ما زال يؤنبهم حتى الآن فينبغي التعاطي مع هؤلاء بغير هذا الأسلوب، كما لا ينبغي طردهم بسبب ذلك الاشتباه، وأبلغت السيد الأردبيلي بالموضوع حيث قام بالإجراء اللازم.

- المسامحة -

لقد حدث في بعض الموارد أن أشخاصاً أخطئوا بحق مقام الإمام، وحدثوا عنه بأمور لا يعقلها أحد، لكن، سرعان ما أثار الله قلوب أولئك المخطئين، فأبصروا درب الهدى، وتحسسوا الندم على جرأتهم وفعلهم بحق الإمام فكتبوا إليه رسائل يطلبون فيها المسامحة والاعتذار، وعندما تصل إلى الإمام كان مباشرة دون استثناء يقول: «سامحته» وأحياناً كان يدعو لهم، ويجيب على رسائلهم من خلال مكتبه ومن جملة الرسائل التي وصلت إلى الإمام رسالة من قبل زوجة أحد المعتقلين السياسيين في بلاد فارس جاء فيها: «انطلاقاً من وقوع الإنسان في الخطأ الدائم، فإن زوجي قد تجرأ على مقامكم القيادي المقدس، وأساء الأدب وإني اتقدم من مقامكم العالي نيابة عنه وأنا أشعر بالخل بطلب العفو والمسامحة له مع رجائي قبول ذلك».

الرسالة المذكورة وصلت إلى حضرة الإمام وقد أجاب عنها من خلال عالم الدين المعروف في تلك المنطقة جاء فيها.

بسمه تعالى

جناب حجة الإسلام: بالنسبة إلى الرسالة التي وصلت إلى حضرة الإمام دام ظله، فإن الإمام تفضل بقوله، فليحقق في وضع هذا الشخص فإذا كان جرمه بإهانة الإمام والتعرض له فقط فإن الإمام قد سامحه وأعطى قراراً بالعفو عنه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مكتب الإمام الخميني

قسم الرسائل والأمور المالية

64/3/25 هـ ش

ونموذج آخر لأحد المسلمين من القوميين العرب كان قد كتب إلى الإمام شارحاً له فيه وضعه السابق فكتب: انني أعتبر نفسي مرتكباً لذنوب كبير من خلال تعرضي لمقامك الشريف: وهذا الذنب يلاحقني وأعيشه في كل أيامي، وكأنه كابوس ملقى على صدري. لقد طلب العفو من الإمام، مُلتمساً المسامحة من حضرته، وعندما قرأ الإمام الرسالة، وبلهجة ملؤها العاطفة والحنان والمحبة قال «سامحته».

وهناك نموذج آخر من طالب مدرسة في مسجد سليمان كان قد كتب قائلاً:

حضرة زعيم الثورة الإسلامية الإمام الخميني المحترم:

أتقدم من سماحتكم بمسامحتي لأنني قد تعرضت لاستغابتكم في أكثر من مرة، لذلك نطلب الاعتذار والعفو وفي حال عفوتم عني، ففضلوا بكتابة ذلك بخطكم الشريف.

وكان الجواب الذي أرسله له:

لقد وصلت رسالتكم إلى الإمام دام ظله العالي، وقد تفضل عليكم بالمسامحة.

مكتب الإمام الخميني للرسائل

والأمور المالية

- خطبة الشقشقية -

من المعروف عن الإمام أنه في اليوم الأخير من أيام التحصيل قبل التعطيل لشهر رمضان المبارك أو شهر محرم الحرام كان يتعرض لبعض الملاحظات الأخلاقية والعرفانية فقط، وفي أحد الأيام التي مرت بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك في النجف الأشرف، وبناءً على القاعدة التي ذكرناها، ألقى خطبة رائعة بحسب تعبير أحد الأصدقاء الذين كانوا يشاركون في هذه الجلسات الأخلاقية للإمام وكان مشاركاً لحلقات درسه منذ أيام ثم أي قبل نفي الإمام من إيران، فعبر عن ذلك قائلاً: إنها أفضل درس أسمعته من الإمام ولا مثيل له على الإطلاق، كان لوقع خطبة الإمام في ذلك اليوم صدئ كبيراً في نفوس الحاضرين، حيث علا البكاء في مسجد الشيخ الأنصاري الذي كان ممتلاً رغم مساحته الواسعة، وعاش الطلاب حالة من الشفافية والروحانية نتيجة لكلام سيد العارفين المعطاء، حيث كان كلام الروح ينبعث من روحه الطاهرة، لتستقر في القلوب، ولينطلق من الذات ليخلق في الفضاء اللامتناهي، إن لحسن كلمته وقعاً شديداً بحيث سخر أرواح الحاضرين، وارتقى بها في العالم المادي لتحلق في آفاق عشق المعبود لقد وصل بكلامه إلى الذروة، ومما وردني مضمونها!

«ما دمت شاباً فاعملوا على إصلاح أنفسكم فإذا ما أصبحتم شيوخاً...؟؟ وفجأة انطلق صوت من زاوية المجلس ليؤثر على جو الحضور ويكسر الصمت والهدوء اللذان كانا يلفان المجلس، ويبعث أفكار السالكين والحاضرين. لقد كان شيخاً معروفاً بالفضل، وينظر إليه بعين الرضا وقف يتكلم بصوت متهدج ويقوم بحركات ملفتة للنظر».

نزعت عمامته عن رأسه وبدأ لمعان رأسه الخالي من الشعر وهو يقف بين الجموع على هذه الحالة وهو يلطم رأسه بكفيه أسفاً وتحسراً يقول! وأنا.. كيف استطيع أن أصلح نفسي؟؟

لا شك أنه لم يكن لهذا الشيخ أي غرض، ولم يكن مريضاً ولم يعرف المزاح في مواطن الجد والعمل، ولكن مع هذا كله، كان لحركته المتهورة أثراً في المقام، مما دعا الإمام إلى الاختصار وإنهاء المطالب مع تخفيف لصوته ثم ختم حديثه بالدعاء، وفي تلك اللحظة خطر ببال أكثر الحاضرين جو خطبة الشقشقية والتي كان لحركة الإعرابي الغير متوقعة أثراً لإيقاف كلام حضرة أمير المؤمنين (عليه السلام) مما دعا بالجميع إلى التأثر بشكل أقوى مع شعور بعدم الراحة والانزعاج مما حصل، ولو لم يكن الجو ملكوتياً تصحبه أجواء إيمانية روحانية، لحصل للشيخ ما لا تحمد عقباه لما سببه من حرمان الآخرين لذاك الجو الروحي الذي كان سائداً أثناء الدرس.

و: التواضع

- السبق في التحية -

كان الإمام يبادر بالسلام إذا ما دخل إلى مكان ما، حيث من المستحيل أن يسبقه أحد إليه، وفي أحد الأيام صادف أننا سبقنا الإمام في الدخول إلى الغرفة التي كنا نلتقي بها، وبينما العيون محدقة بالباب تنتظر دخوله المبارك مع استعدادنا الكامل للسلام، ومع ذلك غفلنا عن السلام عليه، وما إن سمعنا فتح الباب حتى رنَّ صوت سلام الإمام في أسماعنا، وبقينا حيارى في أمرنا ترى! هل أنه سلم بعد دخوله علينا أم سلم أولاً ثم دخل علينا، وفي يوم آخر من أيام النجف الأشرف وفي الزقاق الفاصل بين مسجد المرحوم الشيخ الأنصاري وبين منزل الإمام، حيث كنت امشي مطأطئ الرأس، وأنا على هذه الحال، وإذ بي فجأة أحس بوجود شخص يسلم علي، وعندما رفعت رأسي فوجئت بشخص الإمام المبارك، وفي تلك اللحظة أحسست بضغط ثقيل وانتابتنى حالة غير عادية، ولم أعد قادراً على النطق وجال في خاطري ما الأمر؟! إنه مرجع التقليد وزعيم الثورة المحبوب، وما أنا أمامه سوى طالب علم صغير أبلغ السبعة عشر عاماً، ثم التفت إلى أنه لا بد من رد السلام حيث أن رد السلام واجب، لقد شخصت أمام عيني شمائل الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) خير أسوة وقدوة للمؤمنين.

وكما ورد في الآية المباركة: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ).

- لا تضيعوا وقت العلماء -

لقد كان سماحة الإمام يكن احتراماً خاصاً للناس المسنين وخصوصاً لمن سبقه بتحصيل العلوم، حتى لو كان البعض منهم يخالف توجهات الإمام السياسية. ولقد عرف الإمام بدقته في تنظيم الوقت ووضع البرامج لعمله اليومي في المكتب، وبعد الانتهاء من عمله كان يتوجه تَوَّأً لاستقبال الزائرين، وفي أحد الأيام كنا في خدمته، منهمكين بالعمل وإذ بصوت الإمام يقول: «انتظروا» هل أتى السادة العلماء أم لا؟

كان في انتظار أربعة من العلماء القدامى في طهران حيث كان الإمام قد أعطاهم موعداً للقاء بهم، بينما كان يسأل عنهم وإذ بهم قد وصلوا إلى باب الحسينية وخاطبنا الإمام:

«اتركوا عملكم لوقت آخر ولا تعطلوا أوقات العلماء».

جمعنا الإيصالات، وقمنا بإيصال العلماء إلى بيت الإمام، وبدل أن يتشرفوا بزيارة المكتب أولاً ومن ثم يتم استقبالهم في البيت، أدخلناهم إلى البيت مباشرة وقيل أن يصلوا إلى غرفة الإمام، نهض سماحته بلباسه الكامل حتى مع العباءة والجبّة والعمامة، ووقف مقابل المرأة يسرح شعره وجهز نفسه لاستقبالهم، في الوقت الذي

عرف عن الإمام في السنوات الأخيرة أنه لا يتعاطى بهذا الشكل حتى مع الرؤساء والكثير من الشخصيات الداخلية والخارجية حيث أنه يجلس معهم من دون جبة أو عباءة، واضعاً غطاءً على رجليه لابساً القلنسوة على رأسه، ومع هذا كله دخل العلماء الأفاضل واستقبلهم استقبالاً عظيماً وعانقهم واحداً واحداً، ولم يجلس على مقعده الذي كان يجلس عليه مع زانريه، بل جلس معهم أرضاً ثم بدأ معهم الحديث، وخرجنا نحن من الغرفة، ولم ندر ماذا جرى بينهم من أحاديث، ولكن من خلال الانشراح الذي بدا على محياهم حيث كان الاحترام المتبادل يترجم عملياً من خلال جلستهم. وفي الحقيقة أن هذه الأخلاق الكريمة، وطريقته المثلى في التعاطي، النابعة من المحبة والعظمة والتواضع في نفس الوقت الذي كان الإمام يتمتع بالقدرة السياسية والاجتماعية حيث كان لها الأثر الكبير في خضوع العلماء الكبار والمسنيين حتى الرجعيين منهم لقد تبلورت شخصياتهم حتى بات حديث الإمام عادة يجري على ألسنتهم في الوقت الذي كان الإمام قد عانى الكثير من هؤلاء أيام محنته وغربته وابتعاده عن الوطن من توجيه الكلام اللاذع والتهمة الكاذبة والدسائس الشيطانية والمكر، الشيء الكثير الذي أدمى قلبه الشريف، ولكن سماحته كان يتناسى ذلك كله، ويرفع عن كل هذه الأمور السلبية ليجذبهم إلى الإسلام المحمدي الأصيل أو على الأقل ليقفل من أذاهم للثورة في أيامها الأولى بحيث تكون في أمان شرهم. وفي الوقت الذي كان يعمل الإمام على تحطيم حالة التجحر والتخلف وطريقة تفكير المتصلين بأرائهم بطرق متعددة وفي خلال مناسبات عدة بالنطق والاستدلال الصحيحين، لكنه كان يحاول الحفاظ على شخصية أولئك الناس وإمكاناتهم العلمية ما دام ذلك لا يضر مصالح الإسلام والمسلمين. وأحياناً كان يسأل عن مسكنهم ويأمر بإعطائهم مساعدات مالية وفي بعض الأوقات عندما يصله خبر مرض أحدهم كان يبادر بإرسال شخص من مكتبه يمثل سماحته لزيارته والسؤال عن طبابته وصحته وتحمل نفقات ذلك لا بل كان يرى في بعض الأحيان أن طبابة البعض تستدعي السفر إلى الخارج فيتحمل النفقات، ويأمر بالسعي لمساعدتهم على ذلك.

- العلاقة مع الأصدقاء -

في مقام العلاقة الودية ومعاشرة الإخوة والأصدقاء، كان سماحته يغمرهم بعطفه ولطافته ومحبته ويصل معه الأمر إلى نكران ذاته.. لقد كان في نظر المجتمع البشري، الشمس التي تذيب بحرارتها القلوب المتحجرة، والبحر الذي غرقت في أمواجه المعنوية الآف القلوب.

أما في مقام العمل والقيام بالواجب الشرعي فقد كان جبلاً ثابتاً لا يتزعزع، فهو مع صلابته وبنائه المرصوص وقدمه الثابت يتحول في مقابل عواطفه وبعض الحوادث إلى نسيم رقيق يلامس الآخرين بنعومته، كان يسلم رفعة المعنوية للملكوت الأعلى وفي هذا المقام عرف عن سماحته بأنه كان منقطعاً كمال الانقطاع إلى الحي القيوم، بكل عواطفه وعلاقته بالكامل المطلق، وهكذا كانت حياته لله، فلا يتوقف عنده أحد أو يرى أحداً إلا على أساس رضا الله تعالى.

وبشكل عام. كان الإمام يراعي مقامات الأفراد الذي يلتقي بهم بشكل دقيق، في الوقت الذي كان معروفاً بالجدية عند البدء بالوظيفة وكان في ذات الوقت معروفاً بالمزاح واللطافة والظرافة الأدبية حيث كان في جلساته مع أصدقائه أو مع أفراد عائلته يمثل أروع نموذج في التعاطي المملوء بالمحبة مع زوجته وأحفاده وأولاده وأخوته.

لقد قمت برفقته مرات عديدة عندما كان يزور أخاه آية الله «بسنديده» الذي كان بالنسبة إليه إضافة إلى كونه الأخ الأكبر، لقد كان أستاذه في طفولته وشبابه، كان له بمثابة الأب والأستاذ ومن هنا نشأ موقعه المهم عند الإمام، ففي مجالس السمر والأنس كان يسأله عن أحواله التفصيلية بعيداً عن المسائل السياسية وقيادة العالم الإسلامي، حتى أنه يصل باهتماماته إلى السؤال عن حنفية الماء في بيته وعن خراب شيء ما داخله، لقد بنى الإمام في قلبه المحبة للعاملين والوفاء لهم فيبدأ بالسؤال عن مشاكلهم، ويتفقدهم من حين لآخر بحيث كان عندما يتفقد البعض من أصحابه يبادر بالسؤال عنهم، وإذا مرض أحدهم يذهب لعيادته أو يرسل أحداً في طلبهم

و ذات يوم بدا على أحد أصحابه علامات القلق والاضطراب بسبب مشكلة بسيطة حصلت له مع أحد الأشخاص الذين التحقوا بركب الإمام جديداً، فعند دخولنا إلى بيت الإمام سأل عنه وعندما عرضت له حادثة ذلك الشخص تبسم متأثراً وأجاب بمحبة متناهية «إذا أقدم أحد على إزعاجه فلماذا ينتقم منا؟!»

وعندما علم بما يكنه له الإمام من محبة وعطف، عاد إلى عمله كالعادة في هذا المجال، ليس أهل الإمام والعاملين عنده في المكتب هم المعنيون فقط بل جميع أصحابه، لكل منهم حادثة لطيفة من هذا القبيل حيث كانوا يتعاطون مع الإمام بمحبة كالتي يبادرهم بها.

ز: الاستقامة والمتابعة

- الثبات -

اعتقل نجل الإمام السيد الحاج مصطفى الخميني بعد نفي والده إلى تركيا عام 1965م بأشهر قليلة، ثم نفى مع والده بعد مرور سنة على اعتقاله وأبعداً من تركيا إلى العراق، وفي هذا المجال ينقل المرحوم السيد مصطفى (قدس سرّه): «انه عند وصولنا إلى مطار بغداد وترجلنا من الطائرة لم نكن نعرف أحداً ولم نلتق بأحد من معارفنا، ولم يكن في حوزتنا أموالاً حتى أجرة التاكسي كي ننقل من المطار إلى الكاظمية».

واقعاً في حياة هذا الإمام العظيم والذي يعتبر مرجع التقليد الذي يقلده عشرات الملايين من الشيعة لأمر ملفت وعظيم فالإمام الذي كان حلم الشعب وباعث أمل الأمة بكاملها.. يصل به الأمر إلى مرحلة يعيش فيها الغربية والحيرة والاضطراب في كيفية الوصول إلى الكاظمين، وكيفية دفع المال، ماذا يفعل؟ هل يقترض مالاً؟ وممن يقترضه، أم يستقل التاكسي ويقول لصاحبها ليس عندي مالاً كي أعطيك. وبينما هم على هذه الحال من تشتت الأفكار، خطى الإمام بضع خطوات وفجأة توقفت سيارة إلى جانبهم، لقد كان من أحد المحبين للإمام قد زاره منذ فترة وصادف أن مرّ من تلك المنطقة حتى وقع نظره على سيدين معتمين يمشيان فخفض سرعة سيارته وتأملها ملياً. وجهان اعرفهما، وقفت بالقرب منهما أخذتني الدهشة. هل صحيح ما أرى؟! تسارعت الأفكار ضاغطة علي في قم! طهران! 5 حزيران!... الأبعاد... تركية... ولكن!... إني هنا في بغداد... هنا المطار... هل هذه حقيقة... أم أنني في المنام... نعم يرى الإمام ويقف إلى جانبه ابنه السيد مصطفى: ففقر من سيارته بسرعة البرق الخاطف وتوجه نحوهما وقال: السلام عليكما، أنتما هنا؟ متى وصلتما؟ ماذا تفعلان هنا؟ هل تنتظران أحداً؟ تفضلاً لأوصلكما بسيارتي إلى حيث تريدان؟ ركبا معه وذهبوا إلى حرم الإمام الكاظم والإمام الجواد (عليهما السلام) وهناك التقيا بالعلماء والناس.

أربعة عشر عاماً انقضت على هذه الحادثة، لتتكرر صورتها بشكل آخر لكن هذه المرة على الحدود الكويتية عام 1979م عندما هاجر من العراق، ولم تمضي أشهر على الحدث الثاني حتى استقبل في طهران بتاريخ 11 شباط 1979م في مطار مهر آباد الدولي، استقبال القادة العظام الفاتحين، أنها نتيجة السير في خط الله والهجرة إليه، لقد رأينا جميعاً عبر شاشات التلفزة، وسمعنا من الإذاعات، عندما توجهت طائرة الإمام من باريس باتجاه طهران كيف سألته أحد الصحافيين «ما هو إحساسك في هذه اللحظات».

وكان جواب الإمام «لا شيء» لقد ذهب المحللون المغرضون والغربيون والصهاينة إلى الإساءة لشخص الإمام، حينما أشاعوا أن الخميني لا يهتم بأحاسيس شعبه الذي ضحى بإخلاص لأجله ولكن الشعب الواعي لقضيته لم تنطلي عليه الأعياب المستعمرة الدنيئة، فالأمة الإسلامية تتطلع إلى أقوال الإمام من منظار يختلف عن منظارهم، من منظار قائم على الإيمان المتين بالإمامة والولاية، كانت الأمة تعلم أن كل ما قاساه الإمام من عذاب وتهجير وإبعاد ونفي لم يكن إلا في سبيل الإسلام وجسد الإمام بتفانيه وحيه وإخلاصه، المبادئ والقيم والمفاهيم من أجل نجاة الأمة والشعب وهذا الشعور كان متبادلاً فيما بينهم حين لم يعط الإمام جواباً لذلك

الصحفي الذي سألته كان بناء على تصور الصحافي الذي يعتقد بالأسس المادية ويعتبرها منطلقاً له ولأمثاله ولا يعقل لذلك الصحافي أن يفهم مراد الإمام فكان يتصور أن هم الإمام محصور في كيفية استقطاب هذا الشعب حتى يصل إلى سدة الزعامة والرئاسة، هذا السؤال الذي صور من ذلك الصحافي في الوقت الذي كان فيه طاقم الطائرة وكل من كان فيها يعيشون الخوف من عدم السماح لهم بالهبوط، والعمل على تفجير الطائرة في الجو قبل هبوطها «لو سنل أحداً من الركاب في ذلك الوقت لما استطاعا إخفاء خوفه على مستقبله فيما لو أراد الحديث بصدق، فجواب الإمام بقوله «لا شيء» كان يعني أنه لا يهاب الموت حيث أن الموت بالنسبة إليه بداية الحياة الأبدية والشعور بالسعادة الكاملة للوصول إلى عالم الرحمة والقدرة الإلهية وجواب «لا شيء» عند هؤلاء الذين يحسبون حساب كل شيء مادي كان بالنسبة للإمام القيام بالتكليف الذي يراه واجباً من قبل المولى عز وجل ولا ينبغي شيئاً آخر، غربته في مطار بغداد الدولي، وعدم توفر عشرة فلوس ليدفع أجرة التاكسي وهو الذي اشتهر في أنحاء الدنيا وعرفته الملايين من الشعوب لم يغير في نفسه من شيء، ولم يحس أو يشعر بشيء لغير الله وفي سبيل مرضاته سار في خطوته يريد وجه الله غير عابئ بمصيره وأحواله الذاتية.

- العمر الواقعي والعمر بحسب الهوية -

لقد سمعنا عن قناعة الإمام، وقلة مصاريفه الشيء الكثير وكان ذلك واضحاً جلياً لأي شخص أقترب من سماحته وأقام معه علاقة ودية أو ارتبط به ولو ارتباطاً خفيفاً. لم نعهد منه إسرافاً، أو تبذيراً بل كان مصداقاً لحديث الإمام الصادق (عليه السلام) «المؤمن قليل المؤونة كثير المعونة» لقد كانت اهتماماته الدنيوية وما جاء منها أدنى ما يمكن أن يحصل عليه إنسان يوفر طاقته وجهده لبيئتها في طريق الارتقاء المعنوي. والتحليق باتجاه عام الملكوت. لقد قيل الكثير عن اقتصاد الإمام في صرف الماء والكهرباء في حياته كما يوجد مسائل كثيرة بالنسبة لسانر شؤون الحياة وهنا نريد التحدث عن كيفية صرف الوقت وتنظيمه بشكل نلاحظ فيه استثمار عمر الإنسان بما يتناسب مع نظر حكيم إلهي استنفذ ما أمكنه من الوقت في سبيل مرضاة الله، في الحقيقة أن العمر الحقيقي وحياة الإنسان يقيمان في إطارهما الطبيعي الصحيح على امتثال السير في اتجاه الهدف وعلى ضوء فلسفة خلق الإنسان فيمكن أن يكون عمر الإنسان بحسب الهوية مئة عام لكن عمره المفيد والمثمر صفر أو تحت الصفر ويكون قد قضى عمره على صورة جسد يتحرك في الحياة دون هدف وأحياناً قد نجد إنساناً عمره مئة سنة بحسب الهوية فيما عمره المفيد والواقعي 5 سنوات، 10 سنوات 20 سنة... فانطباع العمر الواقعي مع العمر بحسب الهوية إنما يكون في الإنسان الذي لم يضيع لحظة من عمره في اللهو يغنيك عن إضاعته في ارتكاب الذنوب لقد كانت حياة سماحته من ناحية المحتوى والكيفية مصداقاً لـ (إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

حتى أن أوقات نومه وراحته ورياضته وطعامه وشرابه كل هذا كان على أساس السير إلى الله وفي حذو صعوده المعنوي، ومن الناحية الكمية والظاهرية لذلك، لم نجد في حياة الإمام وقتاً ضائعاً بل يمكن القول: أنه حتى في السنوات الأخيرة وعلى رغم المرض والتعب والضعف والشيخوخة، كان يظهر عليه أنه أكثر الناس اشتغالاً وعملاً.

- الأكثر انشغالاً....-

من الأمور المسلم بها، أن الإنسان عندما يريد كتابة مطلب معين أو رسالة ما يحتاج إلى وقت من الراحة الروحية والبدنية، وعادة المرض والتعب والإعياء بمثابة حاجز يمنع الإنسان من التفكير الجيد أو الكتابة الفعالة، وكنا شاهدين على ذلك، ففي الفترة التي أعقبت القبول بالقرار المشؤوم، وشرب سمومه وتجرع آلامه التي عصفت بقلب الإمام وأدمته ومع تلك الحالة لم يتوانى الإمام عن متابعة الأمور والكتابة والتوجيه والاهتمام بالمسائل الكبيرة والصغيرة لإلقاء الحجة على الجميع، ويمكن القول أنه كان في آخر مطاف حياته الشريفة حيث كان عليه واجب إكمال الرسالة دون توان وتوقف فعلى هذا الأساس وبخصوص ما يتعلق بكتابة

البيانات، وبغض النظر عن مضامينها المثيرة للإعجاب والدهشة، فإنها قد بلغت من حيث الكمية حداً، لم يسبق له مثيل، وفاق التصور، وخاصة في آخر سنة من حياته الشريفة وما هذا إلا جزء يسير من الأعمال العظيمة والمتعددة التي أنجزها سماحته.

- خمسة أعمال في وقت واحد -

إن سماحته كان يمارس بشكل دائم في وقت واحد أكثر من عمل وعلى سبيل المثال، في أوائل شهر نيسان سنة 1984م استدعاني الإمام حدود الساعة السابعة مساءً لانجاز عمل معين، وعندما تشرفت بخدمته كان قد انقضى عن وقت أذان المغرب حدود الساعة والإمام مازال مشغولاً بتعقيبات صلاتي المغرب والعشاء وفي الإثناء يمارس الأعمال التالية:

1- يحمل المسبحة في يديه ويسبح الله.

2- وهو مستلقي على ظهره يحرك رجليه من الأسفل إلى الأعلى وبالعكس بناء على نصائح وإرشادات طبيبه الخاص.

3- يشاهد التلفزيون من دون صوت.

4- يستمع إلى الراديو.

5- إضافة إلى ذلك كان حفيده الصغير «علي» يجلس إلى جانبه ويسعى جاهداً ليقلد حركات الإمام، ولم تمنع جميع الأمور المذكورة الإمام من إبراز حنانه وعطفه الأبوي على هذا الطفل الصغير، وهكذا نرى أن الإمام كان يقوم بخمس وظائف في آن واحد، وبشكل دائم. ودائماً كنا نشاهد الإمام يمارس رياضة المشي عصر كل يوم، بناءً على أنها من الأعمال الضرورية واللازمة لسلامته وصحته وانطلاقاً من (قوّ على خدمتك جوارحي) لأجل خدمة دين الله، وهو يقوم بهذا العمل كان يحمل المسبحة ويشغل بذكر الله وفي البلد الأخرى جهاز راديو يستمع إليه ويطلع من خلاله على كلّ مجريات الأحداث في الداخل والخارج بناءً على ما تقدم يمكننا القول أن عمر الإمام الواقعي ليس سبعة وثمانين عاماً من الناحية الكمية للبذل والعطاء التي انحصرت في هذه الفترة الزمنية، إنما هو العمر من الناحية النوعية والمضمون والمحتوى ونظراً لاتصاله بمبدأ الوجود اللامتناهي، باقى إلى ما لا نهاية وخالد بخلود الحق والحقيقة.

[1] من اللائق هنا الإشارة إلى الأخ العزيز حجة الإسلام السيد محمد هادي المدرسي الذي ساهم وساعد في توفير الإمكانيات لطباعة الكتاب المذكور أعلاه إضافة إلى كتاب مناسك الحج للإمام (قدّس سرّه) ومجموعة «في ظلال الشمس» واشكره من كلّ قلبي على تعاونه الصادق.

الفصل الخامس: احترام القرآن ومجالس العزاء

إن قوة اطمئنان قلب الإمام، وهدوء نفسه، مستمدان من نبع الإيمان المطلق بالغيب، حيث ارتدت جميع الأزمات والأحداث خاسئة أن تنال من مقامه الشريف، وبهذا الدليل لم يفقد سماحته سيطرته على نفسه في أي وقت كان ومهما بلغت الظروف الصعبة ذروتها، ولم تفقد

أعماله حالة الانتظام والانضباط الدقيقين، لم تتعلق الدقة والجدية عند الإمام فقط في المسائل الكلية الأساسية وحسب بل كانت في أدق المسائل وأصغرها حتى أن الآداب والقيم كانت مورد اهتمامه ورعايته، في الوقت الذي غفل عنها الكثير من المؤمنين. في إحدى المناسبات، أحضر أحد الأشخاص عدداً من القرائين المجزأة من الحجم الصغير تحتوي على بعض السور وذلك لإمضاها من الإمام، كي ترسل هدايا إلى المجاهدين المرابطين في الجبهة. وبما أن عددهم كبير جداً قلنا بأن هذا الأمر يأخذ من وقت سماحته، ويشغله عن بقية أعماله، ولكن الشخص المذكور اكتفى بأن تصل إلى يدي الإمام ويباركها فقط، يكفي أن تلاقي لمسة من الإمام، وهذا المقدار فقط يكون باعثاً لسرور وفرح المجاهدين، واقتنعنا نحن بالفكرة، ووضعنا القرائين في صندوق وجعلناها إلى الإمام.

وبعد أن أنهينا وانجزنا أعمالنا المعهودة عند الإمام، وهمنا بالخروج رفع أحد الأخوة الصندوق وقدمه إلى سماحته، وكما جرت العادة ظن الإمام أنها من الأشياء المتعارفة التي يريدون أن يباركها، تأهب لهذه الغاية ولكن عندما وقعت عيناه على ما بداخل الصندوق تفضل قائلاً: ما هذا؟

عرضنا القصة عليه، وقلنا أن هذا الصندوق يحتوي على عدد من أجزاء القرآن أرادوا مباركتها ليتم إرسالها إلى المجاهدين في الجبهة. وفجأة. وبشكل لم يسبق له مثيل، وعلى غير عادته المتعارفة من الهدوء الكامل والاعتدال سحب يديه بسرعة وهو بحالة اضطراب غير عادية خاطبنا بلهجة حادة ممزوجة بالعتاب. مثلي يبارك القرآن؟؟ ما هذه الأعمال التي تقومون بها؟

كنا نقوم بجلب بعض القرائين المحفوظة في الحقيبة، وفي أحد المرات. أخرجنا القرآن من المحفظة من غير انتباه، ووضعناه على الأرض، والإمام يراقب حركاتنا تفضل قائلاً: «لا تضعوا القرآن على الأرض».

وانتبهنا فيما بعد أن الإمام رفض وضع القرآن على الأرض، لأنه يجلس على مقعده وبالتالي يصبح القرآن في مكان أدنى منه.

وأثناء لقاء الفائزين في مسابقات القرآن الكريم، حيث كان من المفترض أن تقرأ بعض الآيات من القرآن الكريم في هذا المجلس، رأيناه على غير عادته يتخذ الأرض مكاناً لجلوسه بدل الجلوس على الكرسي المخصص له والتي اعتاد الجلوس عليها أثناء لقاءاته في حسينية جماران، هذا بالإضافة إلى مناسبات أخرى كان يجلس فيها على الأرض وبالأخص في أيام عاشوراء وذلك احتراماً للمجالس عزاء أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) قبل أيام من شهر رمضان المبارك من كلّ سنة كان الإمام يحث الذين هم تحت رعايته وإشرافه بختم القرآن الكريم عدة مرات، وعندما أمر بهذا الموضوع في آخر شهر رمضان من حياته المباركة، تذكرت أنني لم أوفق لختم القرآن خلال شهر رمضان ولعدة سنوات خلت، فصممت حينها أن أنال توفيق ختم القرآن بشكل إلزامي، حيث وفقت لذلك أنا وعائلتي بحمد الله.

ولا تجدني أعبر على هذه النقطة لأبين مدى اهتمامي وعملي الحسن، بل الغاية من ذلك التذكير بمدى إخلاص الإمام وتحليل الحالة المعنوية والعبادية التي اعتزتنا، بغض النظر عن مدى عظمتها وصغرها لقد أيقنت الآن أن كلّ هذه الأعمال إنما كانت قيس من إشعاعات عنايات الإمام وتوجيهاته التي بواسطتها من الله علي بختم القرآن الكريم.

لطم الرأس

كان الإمام يُسأل عن ضرب الرأس في أيام عاشوراء تحت عنوان إقامة العزاء للإمام الحسين، فيجيب الإمام: أنتم تريدون العمل في سبيل الله؟ فإذا كانت بعض الأعمال التي تقام في ظروف معينة، ضمن شروط محددة تضر بمصلحة الإسلام، فالأفضل عدم القيام بمثل هذه الأعمال، فمثلاً ضرب الرأس بالسيف إذا كان يؤدي إلى وهن وتضعيف الإسلام، فاسعوا قدر الإمكان لإحياء اللطميات ... وقد أجاب الإمام بنفس المضمون كتباً على الاستفتاءات المتعددة مثال:

بسمه تعالى

بحسب الواقع، لا تقوموا بضرب الرأس بالسيف وإذا كانت اللطميات الليلية لا تشتمل على المحرمات ولا يوجب تضعيف المذهب فلا مانع، وعقد مجالس العزاء الحسينية لسيد المظلومين من أفضل الأعمال التي يقترّب بها إلى الله سبحانه وتعالى. وفي صدد هذا السؤال:

ما هو حكم ضرب الصدر بالشفرة، أو بسلاسل محماة على النار أو بالسلاسل الحديدية الحادة التي تؤدي إلى الجرح وجريان الدم، وعلى ما يبدو أنها لا تشكل خطراً على الحياة؟

يجيب سماحته

إن العزاء، ولطم الصدر حزناً على سيد المظلومين لهي من أفضل الأعمال إذا كان ذلك لا يؤدي إلى جرح الجسم وسيلان الدم أما إذا كانت هذه الأعمال تؤدي إلى وهن وتضعيف المذهب فلا يجوز، وفي جميع الحالات ينبغي الاجتناب عن مثل هذه الأعمال.

والملفت للنظر أن مجلس استفتاء الإمام قد كتب السطرين الأولين وأضاف الإمام السطر الثالث بخطه الشريف قبل أن يمهر جواب الاستفتاء بتوقيعه الشريف حيث أنه بين من خلال إضافته الملاك العام للمسألة وهو:

لا يجوز القيام بأي عمل يكون موجباً وسبباً لتوهين وتضعيف المذهب كما يأمر بالاجتناب عن مثل هذه الأعمال كمصاديق لهذه الأحكام وأيضاً، ضمن إجابته على استفتاء آخر، أضاف سطرين بخطه المبارك قائلاً:

أن عقد مجالس العزاء عن روح الإمام الحسين (عليه السلام) يعتبر أهم وسيلة للتعليم والتربية إذا كانت تتضمن وتحتوي المواعظ والأحكام الإسلامية.

- النظر الثاقب -

أثناء زيارة الإمام لحرَم أمير المؤمنين المطهر، وحين عبوره الممر الشريف الذي يؤدي إلى الضريح، أثار انتباهه وجود شخص قد خرّ ساجداً يُقبل عتبة الحرم الشريف، وأثار هذا المشهد سماحته، فتصرف إزائه برد فعل سريع وقال لأحد الأشخاص المرافقين له.

«قل لهذا الشخص أن ينهض ولا يقوم بمثل هذا العمل».

وهذا الفعل الصادر من الإمام يعتبر عملاً استثنائياً بالنسبة لسائر الحوادث وفي حدود فهمنا وإدراكنا للأمر يوجد ملاحظتين مهمتين هما:

أولاً: إن القيام بهذا العمل في نفسه قد اتخذ حالة وهيئة السجود، ولا يجوز السجود لغير الله.

ثانياً: إن هذا العمل وأمثاله من الأعمال الأخرى قد يستفيد منها أعداء الإسلام ويتهمون الشيعة بالكفر والشرك، علماً أن هؤلاء الأنس ليس بنيتهم السجود لغير الله، وإنما تعظيم المقامات الشريفة للأئمة (عليهم السلام) ولكن الأعداء والمغرضين المتربصين يجيرون مثل هذه الأعمال لاتهام الشيعة وتسديد السهام لعقائدهم، لذلك نهى الإمام عن هذا العمل.

- دعم المسلمين -

لقد كان الإمام يتعاطى بجدية تامة مقابل خطر نفوذ وتأثير الثقافة الغربية والمادية المنحطة، على أفكار وعقول المسلمين وبناء على هذا الفهم وضع الإمام الضوابط الشرعية والشروط الخاصة للاستفادة من علوم وفنون الشرق والغرب.

وعلى سبيل المثال، اتصل بي مركز التربية والتعليم للأطفال والشباب وأشار بالسؤال التالي:

ما هو الحكم والتكليف بخصوص شراء الكتب المفيدة للأطفال والشباب فيما لو كان المؤلف أو المترجم أو الناشر من غير المسلمين وبعد طرح السؤال على الإمام، أجاب:

ينبغي الاستفادة من الكتب التي ألفها المسلمون مع الإمكان ولا إشكال فيما لو كان الكتاب جيداً بشرط أن لا يكون مؤيداً وداعماً لغير المسلمين.

- لقاء وزير الخارجية -

في صبيحة اليوم الذي كان مقرراً فيه مجيء السيد شيفارندزه ليتشرف بقاء الإمام ويقدم له جواب السيد غورباتشوف. ذهبت كعادتي للقاء الإمام في الساعة الثامنة صباحاً ولكنني فوجئت بعدم حضوره في غرفة اللقاءات ووجدت وزير الاتحاد السوفيتي مع المسؤولين في الجمهورية الإسلامية ينتظرون قدوم الإمام. حصل أمران لا سابق لهما في موضوع الضيافة:

الأول: أنه تم استعارة بعض الكراسي التي وضعت بشكل منظم ومرتب كي يجلس عليها الوفد.

والثاني: أن الحاج عيسى المستخدم، قدم الشاي للوفد فتناولوه وقوفاً ولم يدخل مع وزير خارجية الاتحاد السوفيتي السابق سوى المترجم وسفير السوفيت في إيران، وأما باقي الوفد المرافق له فبقي خارجاً ينتظر في حياط الدار. كان الانتظار الثقيل مخيماً على فضاء الغرفة، وفي نهاية الأمر دخل الإمام بتلك الهيئة التي شاهدناه فيها عبر شاشات التلفزة في تمام الساعة الثامنة والنصف، وشق طريقه بين الحضور دون توقف أو تأمل حتى دون أن يلقي نظرة أو يلتفت لأحد، وجلس في المكان المخصص له دائماً، في هذه الأثناء جلس وزير الخارجية السوفيتية الأسبق، عادة في مثل هذه الجلسات الاستثنائية عندما يجلس الحضور يبدو عليهم الاضطراب المؤقت وبعد لحظات وأثناء استعادة هدوئهم واستقرارهم النفسي يقومون بحركات بسيطة تساعد في الظاهر على استعادة وضعهم الطبيعي والمستقر.

أما شيفارندزه الذي يعتبر رئيس دبلوماسية الشرق وممثلاً لأعظم قوة في العالم حيث شاهدناه مراراً عبر شاشات التلفزة وتقارير الصحافيين كيف يتنقل بين المحافل الدولية والقصور الفخمة لقوى الاستكبار الغربي ويتعاطى معهم بصلاية بادية على وجهه، ومن خلال حركاته الهادئة والثابتة أما مع الإمام، فقد رأيناه بحالة مختلفة تماماً، حيث جسد مظهره الاضطراب والخوف من شخصية الإمام، وفي تلك الغرفة المتواضعة جداً. ولعله لأول مرة في تاريخه يجلس في جلسة رسمية حافي القدمين «على سجادة» بالية غير الزمن الوانها

ووجهاً لوجه في مركز بسيط ليس فيه شيء يذكر مع أكبر زعيم إلهي استطاع بشخصيته، ومقامه المعنوي أن يزلزل عروش المستكبرين ويدك حصونهم، ولا أدري تلك الارتعاشة الخفيفة الواضحة التي تملكت وزير الخارجية أثناء قراءته لجواب غورباتشوف أهي بسبب كبر سنه أم لشيء آخر؟

لقد بدا واضحاً عدم استقراره في أول لحظة جلس فيها على الكرسي من خلال حركة قدميه حيث لم يتمكن من اتخاذ الوضعية الملائمة. وبقي على هذه الحالة حتى آخر لحظة من قراءة الرسالة الطويلة نسبياً واستمر كذلك حتى أنهى الإمام كلامه، رأسه ويده ترتعشان، أما جميع أجزاء بدنه فكانت كالصنم الجامد لا يعرف الحراك.

وقد رأينا جميعاً حالة المترجم الذي يعتبر من أفضل المترجمين، وتشهد له الأماكن التي ترجم فيها حيث يتمتع بالمقدرة الكاملة على ترجمة اللغة الروسية حتى شبه «بلبل اللغة» كيف حاول جاهداً إخفاء اللكنة وعدم إظهارها ولو بجملته واحدة، وفي جميع الأحوال، فقد انتهى جواب غورباتشوف وترجمته والجميع ينتظر لحظة جواب الإمام ورد فعله على ما سمع ولم يخطر ببال أحد كيف سيكون وماذا سيقول الجميع مشدودون بأبصارهم وأسماعهم، شاخصين نحو الإمام، ومرة ثانية يجد ممثل أكبر قوة في الشرق نفسه، أمام تعامل لا يقبل الوصف والتصور، والذي حصل أن الإمام ودون تأمل تحدث لدقيقة واحدة قال فيها جملاً ثلاث صريحة للغاية وبعيدة عن أي مجاملة:

للأسف إن السيد غورباتشوف لم يفهم جيداً الموضوع الأساسي للرسالة - موضوع رسالة الإمام التي بعثها للسيد غورباتشوف - وقبل أن ينتهي المترجم من إكمال الجملة الأخيرة لكلام الإمام نهض من مكانه وتحرك إلى داخل المنزل وبالرغم من أن الجميع محبي الإمام يجذبون إليه عندما يحضرون في مجلسه لا إرادياً يتحركون باتجاهه لتقريب يديه ولكن هذه المرة تسمر الجميع في أماكنهم مذهولين ولم يحركوا ساكناً سواء أثناء دخوله أو أثناء خروجه لوقاره الشريف وهيبته المباركة وسرعة حركته التي قيل أنها من الحالات الاستثنائية للإمام التي لم يسبق لها مثيل حيث لم يترك مجالاً لأحد ليقبل يديه، فكيف يمكن أن تكون مناسبة لمصافحته.

- أهمية الوحدة الإسلامية -

بعث أحد العلماء المجاهدين في إحدى المدن التي يقطنها الشيعة والسنة برسالة إلى الإمام ضمن طلبه الذي يريد من خلاله بناء مدرسة علمية، يذكر أن أهل السنة يقطنون في مدينة متوسطة الحجم عمدوا إلى بناء حوزة علمية، وبناء المدرسة ليس ضرورة ملحة في ذاتها، بل الدافع لإنشائها هو امتلاك السنة مدرسة، ظناً منه أن الإمام بهذا الدافع يوافق قطعاً على بناء المدرسة ولكن عندما عرضت الرسالة على سماحته أجاب بلهجة صارمة:

«لا ينبغي العمل بالضدية مع الأخوة السنة، كلا هذا الدليل ليس كافياً لأن يكون عندنا مدرسة علمية بسبب أنهم يملكون هم مدرسة».

وبين سماحته بهذا الكلام نكتتين هما:

الأولى: لأجل بناء مدرسة علمية في مدينة صغيرة ينبغي توفير الأرضية والإمكانات اللازمة لذلك.

والثانية: لا ينبغي القيام بأعمال في حال تواجد أتباع مذاهب أخرى تتخذ طابع الضدية.

- الصمت إجابة -

عرض على سماحة الإمام بأن الشخص الفلاني من المعروفين جداً بعلاقته مع الإمام، قد اتصل به تليفونياً وقال: أنه لا يوجد مصلحة في إقامة المسيرة المقررة هذا اليوم تحت عنوان الاعتراض على الكويت والسعودية، فسكت سماحة الإمام بدا وكأنه لم يسمع.

- الغاية من الدرس -

وصلت بتاريخ 1986/8/11م رسالة من أحد أئمة الجمعة المحترمين ومن تلامذة الإمام المعروفين لديه، وكان مضمون الرسالة: أعمل يومياً 14 ساعة، وأنا إمام جمعة منذ سبع سنوات مما سبب لي تأخراً في الدراسة العلمية، ونسيت معلوماتي، لذا أرجو منكم أن تسمحوا لي بالاستقالة من منصبتي كي أعود ثانية إلى الحوزة لفترة محدودة وعندما عرضت الرسالة على الإمام أجاب:

إن الدرس لأجل خدمة الإسلام والمسلمين، والآن أنتم مشغولون بهذا العمل، وإذا كانت مشكلتكم أنكم تريدون الدرس واصلوا عملكم ولكن عليكم بالمطالعة إضافة لذلك.

- كونوا طلبة علم أيها السادة -

كتب أحد أئمة الجمعة لأحدى المحافظات رسالة مبنية على أن المبلغ الذي يعطى لهم كراتب شهري لا قيمة له، ولا يسد حاجة إيجار المكتب أو راتب خادم هذا المكتب ويطلب فيها زيادة المبلغ: فاجاب الإمام:

«كونوا طلبة علم أيها السادة».

- السكوت -

طلب أحد العلماء برسالة بعثها إلى الإمام أن يجيز له أخذ مبلغ 70 ألف تومان من الحقوق الشرعية ليشتري بها سيارة «بيكان» فسكت الإمام ولم يقل شيئاً وكان السكوت بمعنى عدم الرضا بالإجازة.

- ماذا جرى -

طلب أحد المعروفين ممن كان يريد بناء مدرسة علمية عبر رسالة إلى الإمام أن يجيز له أخذ الحقوق الشرعية من أجل صرفها لإكمال بناء المدرسة أو أن يساعده الإمام بالمال اللازم لإكمال البناء، فأجاب الإمام دون أن يتكلم شيئاً بصدد طلبه قائلاً:

«لا أدري ما الذي يجري، كلّ السادة يريدون بناء مدارس لهم».

- السيارة -

أحد العلماء المحترمين من طلاب الإمام القدامى كتب رسالة يقول فيها:

إنني حصلت على سيارة من الحصة المخصصة لمنظمة العلماء ولكنني لا أملك مالاً، وأريد من جانب مقامكم العالي...؟

أبدى الإمام تعجبه المزدوج وعدم ارتياحه من أن منظمة العلماء تخصص لها حصة من السيارات التي تنتجها الدولة بالسعر الرسمي، وبخصوص طلب الشخص المذكور أجاب:

«ما هي الضرورة في أن يمتلك السادة سيارات».

- لا إشكال -

بتاريخ 25/شباط/1985م عرضت على الإمام مسألة وهي: هل يجوز أن يدفع من الأموال المخصصة للجبهة لأجل عوائل قادة الحرس الموجودون هناك والتي لم تصل إليهم رواتبهم ويواجهون مشاكل مالية صعبة فأجاب الإمام: «لا مانع في ذلك لأن الحرب تتوقف ما لم يذهبوا إلى الجبهة».

- من ارتكب هذا الفعل -

بعث أحد الكتاب إلى الإمام كتاباً تحت عنوان «البيعة الواجبة على المسلمين» لكاظم عربي غير معروف وعلى ما يبدو أنه من أهل سنة الحجاز، وقد ظن من خلال بحثه واستناده إلى الروايات العامة أن يثبت بأن الإمام الخميني هو المهدي الموعود. عرض على الإمام توضيحاً مختصراً لمحتوى هذا الكتاب، فانتفض الإمام مضطرباً بشدة وبشكل لم يسبق له مثيل وأجاب بلهجة حادة وقاسية «عجيب!!» «من قام بهذا العمل»؟.

- الحكم الشرعي -

حصل أحد العلماء على إجازة من الإمام بأخذ وإيصال الحقوق الشرعية والأمور الحسبية، وكان مورد اهتمام الإمام، وقدم تقريراً إلى الإمام يتعلق بزيادة النسبة التي يحق له أن يأخذها من الحقوق الشرعية وبهذه المناسبة كان قد أرسل عدة مرات حقوقاً شرعية إلى المكتب بواسطته وسألني عن ذلك، وأنا بدوري استخرجت النسبة وأرسلتها إليه.

وعقب ذلك، وبعد عدة أيام قال لي بلهجة جدية وصارمة

«قولوا له بأنه ينبغي أن يقدم فاتورة مصاريفه الحياتية خلال عشرة أيام.. من أين اشتراه؟...»

تابع بلهجة منزعة وقاطعة:

«أنا أسير الحكم الشرعي يجب أن يوضح خلال عشرة أيام عن كل شيء وإلا فإنني مضطر للقيام بعمل مضاد وسيسقط حتماً».

- فتاة جيدة جداً -

في شتاء سنة 1984م رزقني الله فتاة، وبعد عدة أيام من ولادتها حملتها والدتها إلى بيت سماحته، وبعد انجاز الأعمال مع الإمام خرجت وجلبت المولود الجديد وتشرفت بحضور الإمام، وأنا أصعد الدرج التفت الإمام وأذن لي بالدخول والبسمة ترتسم على شفثيه وقبل أن انطق بكلمة تفضل علي قائلاً: «هل هذا ولدكم؟»

فقلت: نعم.

ومباشرة مد ذراعه وأخذ المولود وبنفس الوقت يسأل.

«ذكر أم أنثى».

فقلت: «أنثى».

فأخذها بحضنه، ودنا منها حتى التصق بوجهها وقبلها والحال كذلك، تفضل قائلاً:

«فتاة جيدة جداً، فتاة جيدة جداً، فتاة جيدة جداً».

ودعا لها في أذنها، ومن ثم سأل عن اسمها.

فقلت: مولانا لم انتخب اسماً لها، وتركنا الأمر لجنابكم وفوراً دون تأمل تفضل قائلاً:

«فاطمة اسم جميل جداً، فاطمة اسم جميل جداً، فاطمة اسم جميل جداً».

ولا حاجة لي أن أذكر أن إحدى خصائص وخصال الإمام في الحكمة والاستقامة قائمة على أساس الصمت والسكوت، والكلام إنما يكون في حده الأدنى المبني على أداء التكليف، والشواهد كثيرة من هذه الناحية فمثلاً كان الإمام في النجف الأشرف يخصص من وقته نصف ساعة يومياً وذلك بعد غروب الشمس بساعتين ونصف لاستقبال عامة الناس في الديوان الخارجي في المنزل، وكان ديدنه في هذا المجلس وحتى نهايته السكوت، ولم ينطق إلا بكلمة «مساكم الله بالخير ورد السلام».

وطوال السنين التي قضيناها معه في جماران، وأثناء وجودنا عند الإمام في صباح كل يوم حيث كنا نأخذ من وقته ما بين 20-50 دقيقة، لا أذكر أنه نطق بكلمة غير ضرورية في مجالات العمل بمعنى أن كل القريبين منه والذين كانوا على اتصال مباشر معه يعرفون ألمه ولا ينبغي طرح أي سؤال لا علاقة له في مجال العمل، ولكن في نفس الوقت كانت الإجابة عن الكثير من الأسئلة عبارة عن السكوت، أو نظرة منه، أو إشارة معينة وأحياناً كلمة واحدة أو جملة فقط. وفي بعض الأحيان كان الجواب مزيجاً من الأسلوبين أو أكثر مقروناً ببسمة تعلو شفثيه أو عبوس يخيم على وجهه، محدداً بذلك خطأ بيانياً، يبين ويوضح المعاني المحسوسة بدقة، والتي انطلقت من ينبوع الصافي لسعة الحكمة لديه والحسابات الدقيقة لهذا الإنسان الإلهي الذي جمعت بين يديه الخير الكثير والحكمة، والعلم الإلهيين (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا).

ولنعبر على الأمور الأخرى أمثال لهجة الكلام والصوت الذي يتحدث به وكان بمثابة الميزان يدلنا على مدى الاهتمام وعدمه، وكذلك إذا ما انتقلنا إلى موارد نظراته التي يوزعها على الآخرين وعلى كل حال بالاتفات والاهتمام بسيرة الإمام الخميني في أمور تعاطيه وكلامه ومصرفه وحديثه واكتفائه بالحد الأدنى لهذه الأمور، إننا نفهم من جملة «فتاة جيدة جداً» وفاطمة اسم جميل جداً مفهوماً كلياً وإن كان المورد الذي تحدث فيه الإمام خاصاً، وأن تكرار كل جملة من هذه الجمل على ما اعتقد داخله ضمن الحسابات الدقيقة، ومنطلقة من الأصول العقائدية والثقافية المتجذرة. وما تأكده على احترام الفتاة أو البنت إلا ضمن سياق تعميق وانتشار ثقافة الإسلام وعقائده في المجتمع الإسلامي، وتأكيداً على محاربة ترسبات المجتمعات الجاهلية والعادات القديمة البالية، وأما تأكده على اسم فاطمة فإنما كان لأجل التأكيد على ضرورة إحياء التراث والتمسك بأفضل نموذج للمرأة المسلمة.

- لا يوجد اسم أفضل من علي -

أرى من المناسب ذكر قصة المولود الآخر لإيضاح تعاطي الإمام الحكيم في الموضوع السابق.

في يوم الخميس 1985/2/6 رزقت صبيّاً وذلك بعد عام تقريباً من المولود الأول، وحملته إلى الإمام ولكن هذه المرة لم يكن تعاطي الإمام معه كالمولود السابق حيث إنني ركعت على ركبتني هذه المرة، وقدمت له المولود الجديد والإمام واضعاً يده على رأسه قلت له:

هذا رابع ولد لي وأتمنى علي سماحتكم أن تختاروا اسماً له علماً أنني لم اسم علي وفي هذه الأثناء تبسم الإمام وأجاب قائلاً: «ماذا أفضل من علي؟»

ليكن اسمه علياً ومن ثم مسح على رأسه وبهذا نلاحظ التفاوت الكبير بين الوردين.

- لست مسروراً -

لقد كان أحد السادة الأفاضل المحترمين جداً ومن المسؤولين الأساسيين في مكتب الإمام حيث قام قبل النوروز سنة 1983م بفترة طويلة بتهيئة مقدمات السفر إلى الخارج في أيام عطلة النوروز وفي الوقت الذي كان قد آمن سيل السفر «من فيزا وتكت طائرة» له ولعائلته صبيحة يوم الحادي والعشرين من شهر آذار الموافق للأول من رأس السنة الجديدة في إيران تحدث مع الإمام وقال: «إذا تفضلتم بالسماح لي في السفر غداً صباحاً لأداء فريضة العمرة مع عائلتي».

فأجاب الإمام بعد التأمل بلهجة خاصة جداً «ألتمسك الدعاء». أحس بعدم رضا الإمام من خلال طريقة جوابه وتقاسيم وجهه ولهجته في الكلام فعرض له: إذا لم تسمحوا لي لعزفت عن السفر».

فأجابه الإمام بعد قليل من التفكير بوجه وصوت بدا اللطف فيهما قائلاً:

«كما يقال... لا ارتاح كثيراً من كثرة سفركم أما الآن... فألتمسك الدعاء...» استأذنا من الإمام وانصرفنا وبعد ساعات من الحيرة والتردد وفي آخر المطاف صمم على إلغاء سفره علماً أن الإمام لم يطلب منه عدم السفر وعبر له بقوله بأنني غير مرتاح مبدئياً عدم سروره علماً أنه كان عازماً على السفر مع عائلته وأولاده وقراره بعدم السفر سيسبب له إزعاجاً ومشكلة للأطفال. فتصورت أن صباح الغد وبمجرد أن تقع عينا الإمام عليه سيبدو عليه الانزعاج لإلغاء سفره، وعلى أي حال تصورت أن الإمام على الأقل يبدي عدم ممانعته من السفر نظراً للظروف الموضوعية التي أحاطت بالموضوع وعندما تشرفا بحضور الإمام في صباح اليوم التالي بدا الجو وكأننا لم نتحدث البارحة بأي موضوع يذكر ولم يبرز منه أي رد فعل على فكرة إلغائه للسفر والآن يجب علينا أن نفكر كيف يتألم ذلك القلب الطاهر وتتكدر نفسه عندما نقوم بعمل قد نهى عنه بشكل صريح ومؤكد وكرر نهيه له.

- بسم الله بدل تفضلوا -

لم يقتصر الإمام في حياته المعيشية على الالتزام بأداء التكليف والواجبات وتجنب المحرمات في الشؤون الجزئية والأمور الصغيرة بل كان ملتزماً بالأداب والمستحبات أيضاً، وأكثر من ذلك فإنه عمد إلى اختيار الأفضل والأحسن عندما يدور الأمر بين المباحات والمستحبات، ليقوم بالأمور المستحبة، وبالعوم يمكن القول أن حياة الإمام الحياتية هي تجسيد حي وكامل للثقافة والفكر الإسلاميين ومن باب المثال: خلال تردنا الكامل على سماحة الإمام لعدة مرات خلت، كنا نستأذن بقد الباب للدخول، وكان الإمام بدل أن يسمح لنا بالدخول من خلال قوله الكلمة المتعارفة «تفضل» كان يتفضل علينا باسم الله كناية جميلة عن السماح لنا بالدخول بها السلوك والطريق الإلهي، سار الإمام وأخذ بيد المجتمع باتجاه القيم والتعاليم الإلهية بأدق الأمور وأكبرها، حتى عمل على انتشار الثقافة الإسلامية، فبدل أن يصفق أتباعه ومريدوه في مقام الترغيب والتأييد استبدلوا بالصلاة على محمد وآل محمد، وبدل النطق بكلمة «مرسي» الأجنبية في مقام الشكر استبدلت بكلمة الحمد لله - وذكر الله وحمده والصلاة على محمد وآل محمد حلت مكان المصطلحات والثقافة الغربية التي كانت حاكمة على المجتمع.

الفصل السادس: العشق المتبادل

- قافية العاشقين -

كانت علاقة الحب القائمة بين الإمام والأمة منطلقاً من شعاع العشق الإلهي المتوهج في ذاته المقدسة، هذه المحبة كانت متفاوتة من فرد لآخر، فمقدار إيمانه والتزامه وإخلاصه وعبادته لله سبحانه وتعالى، بمقدار ما تكون علاقة الإمام به وطيدة وقوية، قصة العشق المتبادل بين الإمام والأمة واللذان استمداه من ذوبانهما في عشق المحبوب والحق المطلق حتى حل كل واحد منهما في الآخر، ليسلكوا درب الله المستقيم، ولا تتسع الآف من الدفاتر والدواوين لكتابة قصة العشق المتوهجة في القلوب، على امتداد عشر سنين من عمر الثورة، وبعد الانتصار المبارك، أرسلت إلى مكتب الإمام مئات الآلاف من الرسائل من الأمة إلى الإمام تحمل في طياتها أسمى معاني الشوق، وأنبل آيات الحب فمن غزل العاشقين إلى ديوان في المعرفة، وبإجابات الإمام الخاصة والعامة على تلك الرسائل توحدت قافية العشق بين الإمام والأمة. ولا يستطيع سبعون شخصاً مثلي بل ولا سبعون ألفاً أيضاً من درك وبيان حالة العاشقين الوالهي.

فاشرب منه بمقدار العطش

إذا لم تستطع جر ماء البحر

وهذه بعض القطرات من البحر المتصل باللامحدود.

وبعض رسائل الأمة وأجوبة الإمام:

- رسالة أم شهيد -

جناب مقام الإمام المبارك: السلام عليكم.

تحية وسلاماً لزعيم الثورة الإسلامية في إيران، وتحية وسلاماً لشهداء الثورة الإسلامية الإيرانية الأعزاء، أنا كلابي پور حسين والدة شهيد وامرأة قروية منذ زمن وكلني أمل بأن التقى عن قرب بالإمام العظيم، ولم أوفق لذلك، ولكنني أمل في زيارتكم، ضمناً يوجد هدية متواضعة عبارة عن بساط حبكته بنفسي أقدمه لجنابكم العالي لتستفيدوا منه.

أيها الإمام العظيم، إن لم تسمح لي الظروف بزيارتكم، فإذا رأيتم مصلحة أن تكتبوا لي بعض السطور بخط يديكم الشريفتين، فأكون قد حققت أمني برؤية خطكم الكريم، أسأل الله عز وجل أن يديم ظلكم الوارف على رؤوسنا وجميع المسلمين في العالم.

وعلى أمل انتصار المجاهدين، وفناء صدام وأعوانه إن شاء الله.

كلابي پور حسين

1984/9/9م

- جواب الإمام -

بسمه تعالى

السيدة المحترمة. وصلتني رسالتك والهدية القيمة أسأل الله سبحانه أن يحشر شهيدك العزيز والذي كان هدية للإسلام مع شهداء كربلاء وأن يلهمك وجميع أهله الصبر والسلوان.

روح الله الموسوي الخميني

17/ ذي الحجة/ 1404

- رسالة عائلة شهيد -

بسمه تعالى

جانب مقام الإمام المبارك. زعيم الثورة الإسلامية العظيم الشأن آية الله العظمى الإمام الخميني حفظه الله تعالى.

بعد التحية، أرسل سلام عائلة شهيد فقدت عزيزاً غالياً، إلى المرجع الحنون والعارف، وصاحب القلب الطاهر، يا عزيز قلوب عوائل الشهداء، يا من أسمه مسكناً لقلوب الأمهات والآباء المحترقة التي أقعدها الحزن والأسى اعلم أن الغبطة لم تنل من جوارحنا فقط بل لعل أفضل لحظات حياتنا كانت عندما سمعنا خبر شهادة أولادنا وأصبحنا في قافلة عوائل الشهداء، والآن نتمنى أن تلطف بنا وتخط بقلمك الشريف إمضاءك ليبقى ذكرى لنا نتبرك به، وترسله لنا نحن بانتظار جوابك في ذيل هذه الرسالة.

- جواب الإمام -

إنني افتخر بأمثالكم مربيات الشهداء الشجاعات المؤمنات الملتزمات، أسأل الله أن يرحم شهيدك العزيز وأن يلهمك وذويه الصبر والسلوان.

روح الله الموسوي الخميني

- رسالة والد أسير إضافة إلى رسالة رمزية من ولدها -

بسمه تعالى

جناب المسؤول عن مكتب الإمام

السلام عليكم.

بعد عرض التحية والسلام أتمنى لك دوام التوفيق، وبما أن ولدي قد مضى عليه أكثر من ثمانية أشهر في سجون الصداميين الكافرين، وقد كتب أخيراً في رسالته أنه لم يعد يتحمل الفراق، واشتقاق قلبه لوالده العظيم الحاج «سيد موسوي» وبما أننا لا نستطيع إرسال بوستر أو صورة للإمام، بسبب صعوبة ذلك، لذا نرجوكم أن تتفضلوا بتحويل الرسالة إلى الإمام عندما تصلكم حتى يكتب عدة أسطر بقلمه المبارك لتكون سلوة وبركة لولدي الذي يعيش في زنانات العراق المظلمة والموحشة.

وعذراً أن تختموا آخر الرسالة، بإمضاء يد والدك الكبير حاج السيد موسوي «الهي الهي، حتى ظهور المهدي، إحفظ لنا الخميني، وانقص من عمرنا وزد في طول عمره أمين يا رب العالمين».

والدة أسير

جزء من رسالة المجاهد الأسير:

قلبي مشتاق لكم فرداً فرداً، وقلبي أشد اشتياقاً لشخص آخر، ولا تعلمون كم هو مدى اشتياقي وحبّي له.

أنه والدي الكبير العزيز الحاج السيد موسوي.

والى شخص آخر أوصيه بأن يشترك في مراسم أسبوع الجامعة.

- جواب الإمام -

ولدي العزيز، وصلتني رسالتك، أسأل الله أن يفرج عنك بسرعة إن شاء الله ولكنني قلق لأجلك، والله خير مستعان، إن شاء الله تكون موفقاً وأصبر فإن الله مع الصابرين.

والسلام .. والدك

- رسالة من ابن شهيد -

السلام على القائد العزيز العظيم

إن شاء الله تكون بخير وعافية لأن سرورنا وعافيتنا هما من صحتك وعافيتك وفرحك وسرورك. منذ سنتين قامت مؤسسة الشهيد بمخيم مركزي لأجلنا نحن أبناء الشهداء والأسرى والمفقودين، وكل سنة نأمل أن نزورك، ولكننا لا نستطيع ذلك للمرة الثالثة في هذه السنة نذهب إلى المخيم وبما أن جنابكم حللتم محل آباءنا نطلب أن تكتب لنا رسالة تنصحننا فيها بأهم الأعمال التي يجب أن نقوم بها بناء لرغبة والدنا والأعمال المتوجبة عملها في المجتمع استودعكم الله إني انتظر ذلك اليوم الذي سأراك فيه.

إلهي، إلهي، حتى ظهور المهدي، أحفظ لنا الخميني.

أحد أبناء الشهداء الذين يعيشون هذا الأمل والذي يعيشه جميع المشاركين في المخيم.

- جواب الإمام -

ولدي العزيز

سررت كثيراً برسالة المحبة التي أرسلتموها من طرفكم ونيابة عن أولاد الشهداء والمفقودين والأسرى، آمل منكم أيها البراعم العزيزة أن تهينوا أنفسكم وتربوها للدفاع عن الإسلام العظيم والوطن العزيز كما دافع عنه آباؤكم العظماء، وبقيتم أنتم الشاهدون على المجاهدين في سبيل الله والإسلام العزيز، ومع تعلمكم العلم والأدب، وسعيكم لتحصيل الكمالات الإنسانية والأخلاق الإسلامية فأنتم أبناء لانقون لأجل بلدكم وإسلامكم، أنتم بفقدكم أعز الناس عليكم أصبحتم أبناء الإسلام، وأبناء النبي الأكرم وأن توفقوا لرحمة رب العالمين، ليكن سلوككم جيداً مع الأقارب وخاصة مع أمهاتكم. أسأل الله العلي المنان، الرحمة للشهداء والسلامة لكم وأدعو الله أن يمن على الأسرى والمفقودين بالحرية والسلام عليكم.

شوال سنة 1405 هـ

روح الله الموسوي الخميني

- رسالة معاق -

بسم الله الرحمن الرحيم

جناب الزعيم عالي المقام والقائد الكبير للثورة الإسلامية ومنقذ المحرومين حضرة الإمام الخميني دام ظله المبارك.

أيها الإمام العزيز.

اسمي «سعيد بور سراج بن كاظم» من مقيمي مدينة شوشتر.

أريد أن أطرح مسألة، وآمل منكم جواباً عليها، ومع تقديم الاعتذار عن أخذ شيء من وقتكم الثمين.

أيها الإمام العزيز، أعيش ضمن أجواء عائلة متدينة منذ حوالي تسعة عشر عاماً ومنذ بداية الحرب، أسأل الله القبول، ذهبت عدة مرات للمشاركة في جبهة الحق، وآخر مرة اشتركت فيها كانت عمليات «والفجر» حيث بترت رجلي اليسرى من الركبة، ولكنني لم أشعر بالراحة طيلة زمن الحرب لعشقي في الذهاب إلى الجبهة، ولفقدتي الكثير من الأحبة والأصدقاء. ومنذ فترة وأنا أدعو الله بفنون الدعاء ليوفقني في الذهاب إلى الجبهة وتوسلت إلى الأخوة في الخطوط الأمامية كثيراً ليسمحوا لي بالذهاب، ولكنهم لم يوافقوا على ذلك، وأنا الآن في حالة لم أعد أحملها وأتمنى من جنابكم بصفتكم القائد الأعلى للقوات المسلحة أن تحل لي هذه المسألة، وقتلي الوحيد هو أنني أرى في كل يوم شهادة أحد أصدقائي، ومع فقدي لهؤلاء الأصدقاء أخشى أن يأتي اليوم الذي أبقى في بيتي وأموت على فراشي وأنا أعشق الشهادة وأسعى للحاق بهم، أتمنى أن تتفضلوا على ضوء تشخيصكم للمصلحة. ضمناً أيها الإمام يمكنني أن أشارك في الخطوط الأمامية في مجال إطار المضادات الأرضية وإذا صممت على الاشتراك في هذا العمل وقتلت فهل أكون شهيداً أم لا؟ وأخيراً أتمنى أن تكتبوا بقلمكم الشريف خلاصة الجواب وإن شاء الله تتفضلوا علي بالنصيحة لن أنساك وأعشقك طالما يجري دم في عرقي.

ولأجلك ينبض قلبي.

سعيد بور سراج

- جواب الإمام -

ولدي العزيز، أطلب من المولى المنان أن يحشرك مع شهداء الإسلام، وأنت الذي قد قدمت شيئاً من جسدك في سبيل الإسلام، فأنت من عداد زمرة الشهداء وقد أديت واجباً تجاه الرسالة العزيزة، ولا تأسف لعدم إمكانية ذهابك إلى الجبهة، وأسأل الله أن يحفظك والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأول من أيار 1984م

روح الله الموسوي الخميني

- تكريم أحد أبناء الشهداء -

إن عاطفة الإمام ومحبهته للمؤمنين وللمستضعفين هي بنفس النسبة العميقة والمدهشة التي يقف فيها بوجه المستكبرين والظالمين والتي لا يزعزعها شيء وغير قابلة للمساومة ويكمن تقييم ذلك من خلال عواطفه وحنوه على المحرومين والمستضعفين مقابل حقه وعدائه للمستكبرين والظالمين. في أحد الأيام، كانت امرأة

إيطالية تعتنق المسيحية ديناً وتعمل معلمة قد بعثت إلى الإمام رسالة تبرز فيها عواطفها ومحبتها له، ولنهجه مرفقة بعقد من الذهب وهي تذكر أن هذا العقد هو من أول أيام زواجي وأحافظ عليه وهو عزيز علي ونظراً لحبي وعشقي لشخصكم وطريقة عملكم أقدمه لكم.

احتفظنا به فترة من الزمن وبعد تردد وحيرة بأن الإمام هل سيقبل هذه الهدية أم يردها، قمنا بترجمة الرسالة وقدمناها لسماحته، وحين قرأها وضع العقد على الطاولة إلى جانبه، وبعد يومين أو ثلاثة جيء بطفلة صغيرة تبلغ من العمر ثلاث سنوات فقد والدها في الجبهة. وعندما التفت الإمام لذلك قال:

«الآن أتوني بها إلى الداخل».

ومن ثم أجلسها على ركبتيه وضمها إلى صدره ووضع يده على رأسها ولم تُر هذه الحالة من الحنو والعطف حتى على أولاده، وبقي فترة على هذه الحالة وهو يحدث الطفلة، كنا نسمع بصعوبة فائقة كلامه رغم أننا لا نبتعد عنه أكثر من 1.5م، والطفلة التي اعترتها الكآبة سرت جداً وهي جالسة في حضن الإمام وضحكت وأحست بدفع الإمام وشعرت بالراحة والطمأنينة وانبساط خاطر بعد ذلك رأيت أن العقد الذي أهدته إياه المرأة الإيطالية، تناوله بيده المباركة ووضع في جيب الطفلة. فسرت به إلى حد أن الدنيا لم تتسع لها، وكادت أن تخرج من جلدها من شدة الفرح، ومن ثم خرجت من عند الإمام.

- التأثير الشديد -

سافر أحد الأشخاص إلى مدينة «مسجد سليمان» لموضوع يتعلق بالقصف الصاروخي وعند عودته وأثناء تشريفه عد حضرة الإمام، والظاهر أنه كان يحمل وينقل كلام إمام الجمعة هناك، فعندما أصاب أحد الصواريخ العراقية مدينة «مسجد سليمان» حيث استشهد عدد وجرح عدد آخر وبعد ساعات من عملية الإنقاذ والبحث عن الشهداء والمجروحين انتشلوا منه طفلاً بطريقة غير اعتيادية كان ما زال به رقماً من الحياة.

وما أن رأت الجموع الطفل الذي انتشل ملوثاً بالتراب وتسيل الدماء من رأسه، حتى اخترقت الآذان هتافات عالية أرسلتها روحه الثائرة «حرباً حرباً حتى النصر» إلهي، إلهي حتى ظهور المهدي احفظ لنا الخميني.

وبينما الإمام مشدود إلى سماع التقرير والقصة إلى يسرها، وما أن وصل إلى الجملة الأخيرة وبالرغم من صلابة الإمام وقدرته في محو جميع آثار الانفعالات والتأثيرات التي كاد يخفيها عادة في قلبه يقال أن هذا الطفل المعصوم غير مجريات الأمور وأوجد حالة عظيمة من التأثير الشديد، ظهرت على ملامح وجه الإمام الملوكوتي حيث جبس الدموع في عينيه وطأ رأسه وأغمض عينيه.

الدعاء للمجاهدين

1983/1/16م أحضروا كمية من القماش على أساس أن تطبع عليها عبارات «الله أكبر» «عشاق كربلاء» و«زوار القدس» وليرسلوا إلى المجاهدين في مقر كربلاء، حملتهم بخدمة الإمام وطلبت منه أن يباركهم فوضع يديه داخل القماش وبدأ بقراءة الدعاء وحتى خروجي من الغرفة كان الإمام ما يزال مشغولاً بقراءة الدعاء.

- رسالة من طلاب صف الخامس ابتدائي من مدرسة الفاطمية للبنات -

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام على إمامنا العظيم الخميني روح الله.

أيها الإمام العزيز. نحن طلاب الصف الخامس ابتدائي في مدرسة الفاطمية، قد قرأنا في كتاب الدعاء أن الإمام محمد التقي قد كتب رسالة إلى عامله بسيستان ينصحه فيها، ونحن أيضاً جميعنا أحببنا أن نكتب لكم رسالة على أساس أن توجهوا لنا النصح بها، لكن أيها الإمام نحن لا نستطيع إهداء النصح إليك لأنك أنت العظيم والعبد عن كل الذنوب، أنت أيها الإمام محطم الأصنام، ولم تترك صلاة الليل طيلة أربعين عاماً.

أيها الإمام العظيم، خذ بيدنا من قعر الفساد والعيوب إلى ساحل النجاة نحن في هذه الأشهر، أشهر العزاء محرم وصفر، نقيم مجالس العزاء لا نضحك كثيراً، ونلطم صدورنا، ونردد اللطميات الحسينية لأن جنابكم قد أكرمنا على ذلك.

أيها الإمام إذا كنا نستطيع أن نرى وجهك الطاهر النوراني عن قرب فهذا جيد وحسن.

ونشكر الله على أن اللياقة موجودة فينا لنكتب لك رسالة.

أيها الإمام العزيز، يا روحنا.

أنت والد جميع الأطفال، أيها الوالد العظيم حبنا لك بعدد حصي الأرض وغيوم السماء ومياه البحار.

إماماه: كم ننتظر فرصة كي يؤمن مسؤولوا المدرسة وسائل الانتقال إليكم كي نراكم عن قرب. نحن جميعاً نتمنى أن نراك ولو لمرة واحدة في عمرنا، وقد عجز البشر عن وصف الصفات الملكوتية التي اجتمعت في ذاتك يا إمامنا العزيز: ثقتنا بك كبيرة، وكلنا أمل بأنك غير منزعج منا لأننا نتحدث عنك، نقسم بالله أن القلم يسرى وحده عندما يصفك ولا نستطيع أن نوقفه. إماماه! إعلم بأننا لسنا كأهل الكوفة لنتركك وحيداً.

إماماه! من طفولتنا هذه ونحن نصلي ونضع الحجاب.

إننا لا نوفر جهداً من أجل قتال أمريكا المجرمة وروسيا الخبيثة، ومن أجل إطفاء عيون الأعداء.

يا إمامنا العزيز: اسمح لنا في آخر الكلام أن نقول بأن قلوبنا لا تريد إنهاء الرسالة أيها الإمام العزيز، أنت تبقى كالقلم الذي يسعى دائماً، وتسعى لتكتب وتحفر على صفحات القلوب اسم الله.

إماماه: نحن أطفالك الصغار، نرجو من أعماق قلوبنا أمور ثلاث، ونأمل أن نكون لائقين لذلك.

الأول: أيها الأب العظيم، يا شيخ جماران، يا روح الله.

أكتب لنا جواباً بخط قلمكم الجميل وانصحنا فيه وانصح معلمينا.

الثاني: أرسل لنا صورة لكم ممضاة بتوقيعكم الشريف.

الثالث: يا روحنا أعمارنا فداء للحظة من عمرك، أيها القائد العزيز. نحن المسلمون حتى الآن لم نعرف قدرك.

السيد الخميني العزيز، بعيون مشتاقة ننتظر جواباً منكم.

وأنت يا صدام القرم، ويا ريغان الخائن، ويا بيغن الفاجر، نعم لقد قالها الإمام الخميني العظيم.

«اعلموا بأن الدم وحده ينتصر على السيف».

إلهي إلهي، حتى ظهور المهدي احفظ لنا الخميني، انقص من عمرنا وزد في عمره، امح من ساحة الآخرة المنافقين، لأن النجوم ذهبت فاحفظ لنا الشمس.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

- جواب الإمام -

بسمه تعالى

أولادي الأعزاء، قرأت رسالة المحبة، وللأسف أنكم لم تنصحنوني بها وأنا بحاجة لذلك، أتمنى ان تحصلوا دروسكم بنشاط وحيوية، وفي نفس الوقت عليكم أن تقوموا بواجباتكم الإسلامية التي تصنع الإنسان وان تحسنوا أخلاقكم وتطيعوا آباءكم وأمهاتكم وتعتبروها غنيمة لكم كي يكونوا راضين عنكم دوماً واحترموا معلمكم كثيراً، اسعوا لأن تكونوا عناصر مفيدة للإسلام وللجمهورية الإسلامية ووطنكم، أسأل الله تعالى أن يديم عليكم السعادة والسلامة، وأتمنى لكم يا نور العيون أن ترتقوا في مقام العلم والعمل.

والسلام عليكم جميعاً.

29 شهر صفر 1403

روح الله الموسوي الخميني

- رسالة من طفلة صغيرة -

جانب مقام الإمام المبارك حضرة آية الله العظمى الإمام الخميني زعيم الثورة الإسلامية الكبيرة دام ظله الوارف.

بعد التحية والسلام، السلام عليكم

إن قلبي قاصر ولا استطيع أن اكتب لكم يا ابن رسول الله ولكن سامحني إنني تجرأت عليكم بالكتابة.

أيها الإمام العزيز: اسمحوا لي أن أقدم لكم هذه الهدية المتواضعة وأتمنى قبولها وأسأل الله أن يطيل في عمركم حتى ظهور الإمام المهدي أرواحنا له الفداء، وأسأل الله أن لا تنسانا من شفاعتكم في الآخرة.

إمامنا العزيز، أكتب لي جواب رسالتي بخط قلمكم المبارك على أن تصل الهدية ليدكم ولا أريد أن أكون مزاحمة لأوقاتكم الشريفة، والغالية أكثر من ذلك، أطلب منكم أن تدعوا لي بأن يوفقني الله لخدمة الإسلام.

والسلام، أسألك الدعاء

طفلتك الصغيرة - عاملي -

- جواب الإمام -

بسمه تعالى

ابنتي، وصلت هديتك وأشكرك عليها، إن شاء الله تكوني سعيدة وموفقة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

روح الله الموسوي الخميني

- رسالة من طالة في المتوسطة عمرها 12 سنة -

اسمي محبتي سلمان خاكا من مدينة دزفول، أبلغ من العمر 12 سنة، كنت أتمنى دائماً أن أصل بخدمتكم لأراك عن قرب محققة اعتزازي وافتخاري بذلك ولكن، ولسوء حظي حتى الآن لم أتمكن من رؤية وجهك الكريم وتشرفي بزيارتي لكم، ولكني، أتمنى الآن أن تكتب جواب رسالتي بخط قلمكم الشريف حتى انظر فيه ليكون مورد افتخاري كما أحب أن تدعو لي والسلام عليكم.

جواب الإمام

إن شاء الله تكوني موفقة ومورد عناية وبركة العلي القدير.

روح الله الموسوي الخميني

- رسالة سيدة ربة منزل -

بسم الله الرحمن الرحيم

جناب زعيم الثور الكبير وتحية لنائب صاحب الزمان بالحق، أتمنى أن تقبل سلامي وتحياتي الحارة التي أرسلها إليكم عبر الرسالة، سلام ملؤه المحبة، سلام ينبع من أعماق قلبي، سلام يخترق كل شيء، يطوي المنعطفات والمسافات ويحمل في طياته آلاف الخواطر المختلفة، سلام من كل وجودي أرسله إليكم أيها الإمام العزيز أسأل الله سبحانه وتعالى أن تكون على أحسن ما يرام من الصحة والعافية وتنعم برحمة من الله بسعادة وسرور وفي ظل صاحب العصر والزمان أنا امرأة أبلغ من العمر ثلاثة وثلاثون عاماً وعندي ست بنات أرسل إليكم عقداً من الذهب اشتريته من مالي الذي أدخره وأتمنى قبوله.

أيها الإمام العزيز: نحن نحبك كثيراً، ونتمنى من أعماق قلوبنا زيارتكم وبما أننا لا نستطيع رؤيتكم فنتمنى منكم شيئاً يعوض عن ذلك، لذا أرجوك أن تكتب لي جواباً على رسالتي بخط قلمكم الشريف وترسله مقروناً بدعاء وليس عندي شيء غير ذلك.

إلهي، إلهي حتى ظهور المهدي احفظ لنا الخميني إلهي خذ من عمرنا وأطل في عمر الإمام، وعلى أمل انتصار الإسلام.

«زهرا جفري»

- جواب الإمام -

أختي، وصلنتي هديتك، ورسالة المحبة التي أرسلتها أشكرك على ذلك وأسأل الله أن يحفظك ويرعاك أنت وأولادك ويعطيك سعادة الدين والدنيا، وبما أنني لدي رغبة لأن تستفيدي من الهدية التي فأرسلتها لي وقبلتها فأسلها مجدداً لك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

روح الله الموسوي الخميني

يجب البشر بلا حدود

إن المستضعفين وكل أحرار العالم بفطرتهم الصادقة النقية، حتى غير المسلمين وقعوا تحت دائرة الجذب المعنوي للإمام، وتحت تأثير شعاع الاستقامة والإنسانية حتى أن شعاع هذا الجذب امتد إلى كل أعماق المعتقلين والمسجونين السود في أمريكا وجنوب أفريقيا، إلى أن اعترفت أخيراً إحدى المجلات الأمريكية بهذا الواقع من خلال تقرير مع صور أن أحد المسجونين الأمريكيين السود كان يعلق صورة الإمام في زنزانته الانفرادية، ولقد وصل إلى مكتب الإمام آلاف الرسائل طوال السنين التي تلت الانتصار من مواطنين غير مسلمين من جميع أنحاء العالم وخصوصاً من السود والهنود الحمر والشعوب المأسورة مرسلّة لحضرة الإمام. وكل واحدة من هذه الرسائل تعبر عن مدى العلاقة والحب والعشق التي تكنه للإمام، وتارة يطلبون فيها الكتب وصور الإمام أو كتباً إسلامية أو قرآن كريم، وبعضهم الآخر يطلب صورة الإمام موقعة بيده المباركة أو نصيحة يسديها لهم أو قطعة قماش من ثيابه أو أي شيء يمت له بصلة، وفي المقابل كان الإمام يبادلهم بنفس الشعور والعلاقة والمحبة حتى أن بعض هؤلاء كان يكتب لهم الجواب بشكل شخصي ولكنه أجاز في باقي الموارد وحسب الطريقة المناسبة سواء عن طريق وزارة الخارجية أو وزارة الإرشاد الإسلامي أو عن طريق مكتب الإمام كتابة الجواب المناسب مع هدية قرآن كريم مترجم ترجمة يطمئن لها. وسأذكر نموذجين من الموارد التي كان الإمام يجيب عنها بنفسه وهي التالية:

رسالة طلاب متوسطة (اسيرينك من أمريكا)

النموذج الأول: رسالة من طلاب متوسطة (اسيرينكو. دال) الواقعة في أركانزاس أمريكا، مع زوج من الجوراب للإمام، وطلبوا ضمن الرسالة أنه يرسل الإمام لهم في المقابل زوج جوراب مستعمل وقديم غيره أو أي شيء مستعمل من لباسه، أوصلت الرسالة بعد ترجمتها مع زوج الجوراب بخدمة الإمام ولكن الإمام المعظم وبدل أن يرسل لهم جوراباً أو شيئاً من لباسه أمر بتأمين بعض الكتب بواسطة المركز التربوي للأطفال والشباب، تحتوي على أحاديث شريفة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وله علاقة بالأطفال، وأن يترجم ويرسل مع هذه الرسالة المذكورة متنها أدناه!

أولادي الأعزاء طلاب مدرسة (اسيرينك دال اركانزس أمريكا)

وصلتني هديتكم الغالية ورسالة المحبة أعلم أن الهنود الحمر والزنوج يعيشون في ظروف قاسية لأجل الإسلام، لا يوجد فرق في الشريعة الإسلامية بين الأبيض والأسود والأحمر ويمتاز الإنسان على الآخر بالتقوى والأعمال الحسنة والأخلاق الجيدة أسأل الله العليّ القدير أن يوفقكم أيها الأعزاء ويهديكم الصراط المستقيم. أرسل لكم كراساً عن نصائح النبي الأعظم قدّم للأطفال الإيرانيين كما أدعو لكم بالخير، وأتمنى لكم التوفيق بتحقيق القيم الإنسانية.

روح الله الموسوي الخميني

وفي مورد آخر طلبت فتاة ألمانية صورة للإمام موقعة بيده المباركة عبر رسالة أرسلتها للإمام، فاستجاب الإمام لطلبها وياشر بكتابة بعض الجمل على الوجه الآخر للرسالة ومن العبارات التي اختارها الإمام وأرسلها لها:

بسمه تعالى

اسعي أن تكوني فتاة صالحة ومؤثرة في المجتمع، واسعي كي لا تخضعي لتأثير القوى الشيطانية وحاولي أن تكوني إنسانة ملتزمة بالمبادئ الإسلامية وأسأل الله السلامة لك والتوفيق.

روح الله الموسوي الخميني

كيف تحرم الأصدقاء وأنت تشمل الأعداء برعايتك.

إن جميع المسائل التي تتعلق بالإمام الخميني شخصياً، والتي كانت في متناول يده وإمكاناته لم تكن لتخرج أبداً عن ظواهر العقل والشرع، لم يرد طلباً لأي شخص كان يأتيه يومياً، ولم يبد أي انزعاج أو ملامة، وكان ينجز العديد من الأعمال التي قد تعتبر في الظاهر أنها جزئيات صغيرة ضمن برنامج اليومي حتى آخر يوم قبل انتقاله إلى المستشفى في حزيران سنة 1989م وعلى الرغم من الشيخوخة التي ألمت به، والوهن المتزايد الذي أضعفه ورغم المشاغل الكثيرة على امتداد سنين الثورة.

الإمضاء

كنا نضع بين سماحة الإمام في المكتب يومياً عدة نسخ من القرآن الكريم والصور لإمضائها، وأغلبها تخصّ عوائل الشهداء وأبطال الجبهة، فكان يقوم بإمضائها إضافة إلى الإستخارة التي تطلب منه بناء على طلب بعض

المؤمنين. وقبل ارتحاله بفترة بسيطة، وصل إلى المكتب عدد من صور الشهداء بواسطة ذويهم لإمضائها فكان الإمام يضيف إلى جانب توقيع كتابه بعض الجمل فأحياناً يكتب:

«اللهم ارحم شهيدنا السعيد».

أحياناً أخرى:

«اللهم ارحم هذا الشهيد السعيد».

وفي كثير من الأحيان عندما يمضي صور الشهداء ترتسم على وجهه المبارك آثار الحزن والهم لتأثره الشديد بهم، وأحياناً يسأل عن اسم صاحب الصورة، وفي أحد الأيام تشرفت بخدمة الإمام وقدمت إليه صورة الشهيد غلام رضا رضاي حيث لم يكن قد بلغ سن الرشد أثناء استشهاد

انبهر الإمام للحظات بصورة الشهيد وسأل:

صورة من هذه؟

فقال السيد رسولي: أخ زوجة فلان السيد...

عندما تنهد الإمام بحزن وألم وترددت عبارات لا إله إلا الله وكتب بعض العبارات ووقع على الصورة، على كل حال لم يتوقف إمضاء صورة الشهداء إلا عندما تجددت بوادر الألم وعوارض القلب عند الإمام عندها منع من رؤية صور الشهداء بناء على نصيحة الأطباء الذي احتملوا أن يتأثر الإمام بصورهم فتترك أثراً سلبياً على قلبه الشريف، وبناءً على هذا فقد تم إلغاء هذا النظام الذي كان معمولاً به، إلا أن بعض الأشخاص عمدوا من حين لآخر إلى جلب بعض الصور، وكان يوقعها الإمام بلهفة وشوق كبيرين وفي أحد الأيام أرسل للإمام خبر منقول عن الجرائد الأمريكية أن تقريراً صحفياً يتحدث عن أن إمضاء سماحة الإمام أغلى إمضاء في العالم يمكن أن يباع في أسواق البورصة، ولما عرضنا على الإمام لم يهتم أبداً بالمقالة.

إجراء عقد زواج

ومن الأعمال الأخرى التي كان ينجزها الإمام بشكل يومي وتكثر عادة في الأيام المحددة للقاءات الناس وتقبيل الأيدي، إجراء عقود الزواج والتي كانت تصل في بعض الأيام إلى حد الأربعة عقود وكان برنامج عقد الزواج يتم في أيام البرد حيث المكان الذي يجلس فيه الإمام عادة رطباً وغير مجهز بوسائل التدفئة، وبخصوص إجراء العقد يلتزم بشدة، كغيره مراعاة الضوابط والأحكام الشرعية، فكان الذين يريدون التشرف بلقاء سماحته ملتزمون بانجاز كافة المعاملات القانونية المطلوبة وقبل إجراء العقد يحضر العروسين ووالد الفتاة فيأخذ الإمام وكالة الفتاة وبعد إنهاء صيغة العقد يبارك للزوجين ومن ثم يوصيهاما بالالتزام ورعاية الأخلاق الإسلامية. والتعامل مع بعضهما بتفاهم وانسجام ويدعو لهما بالتوفيق.

تقبيل اليد

كان تقبيل اليد برنامجاً يومياً - ما عدا أيام الجمعة والأيام التي تطرأ فيها طوارئ جسيمة - حدود الساعة الثامنة والنصف صباحاً وبعد إجراء العقود والحال أن الإمام جالساً على كرسي المدخل وكان يوفق عادة يومياً ما يقرب من ثلاثين شخصاً ويتشرفون بتقبيل اليد ويحصل في هذه اللحظات من كل يوم روائع لا مثيل لها من العشق وبكاء المشتاقين التي لا يمكن وصفها بأي قلم أو بيان في فناء صغير من ساحة المنزل حيث يوجد عالم

غير محدود من العشق والمحبة المتبادلة بين الإمام والأمة كان صوت بكاء العاشقين في هذه اللحظات الاستثنائية من كل يوم ومن مصدر العشق يصل إلى بعض البيوت البعيدة.

اللقاءات العامة

قسم آخر من لقاءات الإمام كان في حسينية جماران التي تتوافر فيها بشكل واسع إمكانية تلاقي بحرين متلاطمين من عشق الإمام والأمة. ورغم أن جو المكان الذي يجلس فيه الإمام عند ازدحام الناس في الحسينية غير صحي وطبيعي لم يكن يتأبى عن أداء برنامج الملاقاة حسب القدرة والمجال الممكن وما يقرب من 90 بالمئة من اللقاءات في الحسينية مختصة بعوائل الشهداء والمعوقين، والأحرار من السجون وهذه النسبة هي أيضاً كانت في برنامج تقبيل اليد وكان هذا الصنف معززاً مكرماً ولو لم تكن هناك رعاية لبعض الأوليات ووصايا الأطباء رعاية لحال الإمام بنفسه مانع من اللقاءات اليومية بل في أكثر في اليوم الواحد في الحسينية للقاء الأمة التي كان يعشق الجلوس فيها.

ونموذجاً على ذلك كنت قد عدت من الجبهة فعرضت عليه طلب المجاهدين للقائه فمن هذا الاقتراح جعل كل يوم في الأسبوع استقبال للمجاهدين في الحسينية.

وعلى هذا النحو كان يوفق كل عدة مرات الآلاف من المجاهدين للقاء الإمام إلا أن الموانع الصحية منعت من الاستمرار بهذا البرنامج ويجدر الالتفات إلى أن الإمام مع لقاءاته في الحسينية كان يخطب حسب الظروف المناسبة لكن بعد القبول بالقرار 598 وحتى آخر عمره المبارك رغم الاستمرار باللقاءات لم يتحدث بأي حديث. وعلى كل حال فإن ما حصل في الحسينية وعرض على شاشة تلفزيون الجمهورية الإسلامية فإن الجميع شاهدوا الساحات المهيبة عن قريب ومن خلال شاشة التلفزيون. وكان الكثير من أبعادها لا يقبل الرؤية بالعين الظاهرية، ولا يقبل الوصف لا بالقلم ولا باللسان.

وأخيراً. ما كان مهماً وملفتاً للنظر في العلاقة مع الناس وتفقدتهم ومحبتهم وإسعادهم هو عدم الاستسلام للتعب والإقبال والانشراح لكل فرد فرد من أمة حزب الله الأمة التي كان إمامها يبدي لها العشق ويمدحها ويمجدها حتى أنه لم يذكر في حقهم أية شكوى.

التبرك والدعاء

وأخيراً، نذكر نموذجاً آخر من طلبات المؤمنين وهو أنه كان يومياً يأتون إلى دفتر الإمام ويرسلون له ليباركها بين مقدار من أشياء السكريات والأقمشة والليرة الذهبية، والمال أمثال ذلك، وأحياناً يطلبون أن يدعو لهم بشفاء المرضى ورفع البلائيا والبركة ونحن كنا نرسلها كلها بلا استثناء وكان معظم له يباركها مع صفاء خاص. ويدعو إن طلبوا دعاء وفي من هذا المجال حصلت قضايا عجيبة ومعجزات بالمشيئة واللفظ الإلهي وخلوص عبده الحر واعتقاد المراجعين الطاهر ليتها سجلت مع خصوصياتها ومن الموارد التي أذكرها في هذا المجال أذكر نموذجاً:

عندما يصير غير المعتقدين معتقدين

يوماً اتصل السيد خليلي وهو من المتدينين المشتغلين في الهلال الأحمر وهو مضطرب أن أحد الأخوان الممتازين أسمه أكبر جرح في الجبهة وقد أصابت الشظية دماغه وحالته عويصة وقد رده الأطباء وينسوا من شفائه فلا أمل إلا بالله ودعاء الإمام وعلى هذا أصر علي أن أقدم للإمام عدة حبات من السكر ليباركها بيده ويدعو له بالشفاء أخذت مقداراً من هذه الحبات وعرضت الأمر عليه فأخذها الإمام وباركها ثم دعا لسلامته عندما عدت إلى المكتب كان قد جاء الخليلي بنفسه إلى الدفتر وأخذ قطع السكر وعاد بسرعة وبعد عدة أيام

اتصل وهو يبكي ويشكر لأن صديقه قد زال عنه الخطر والأطباء مندهشون من شفائه، بعد عدة أشهر اتصل مرة أخرى ومع أبداء شكر جديد طلب للمجروح المعافى 50 ورقة دخول للتشرف بتقبيل يد الإمام فجاء نشيط معافى وقد نقل لي أن الطبيب الفلاني المتخصص المعروف كان مشرفاً على معالجته وكان يظهر اليأس الحازم من شفائي وبعد ما جرى قال بصراحة: نحن الدكاترة لا اعتقاد لنا بالمعجزة لكن عندما أرى مثلك بعد تلك الحالة يتبدل كل شيء وبعد عدو أيام تسير على قدميك فلم يكن مفر من الاعتقاد بالمعجزة.

جواب إيجابي بطالبي الهدايا

نموذج آخر على طلب مسائل شخصية من الإمام، فكثيرون أولئك الذين طلبوا هدايا خاصة من الإمام عبر الرسائل وغيرها.

وعلى سبيل المثال يطلبون محرمة، قميص داخلي، قطعة من عمامته أو لباسه، أو سجادة وغيرها مما يستعمله الإمام تحت عنوان البركة وكل هذه الأشياء موجودة عند الإمام وبمجرد عرض هذه الأمور على سماحته كان ينهض مباشرة ويجلب المطلوب ويعطينا إياه لنرسله إلى صاحب الرسالة ونلاحظ نموذجاً من هذه الموارد في طي الرسالة أدناه والجواب عليه.

رسالة طلب من أخ شهيد

بسمه تعالى

جناب الوالد العزيز والكبير والمحب، بعد عرض السلام والمحبة والإخلاص، جرت العادة أن الكبير هو الذي يقدم الهدايا للصغير، كما أن العادة جرت أيضاً، بأن نقدم هدية في المقابل رداً على تقديم الهدية. والآن، هذا ولدكم الصغير وطمعاً في الحصول على هدية من أبيه العظيم يرسل هدية متواضعة جداً إلى الوالد العزيز وإن شاء الله تكون مورد قبول منكم وإذا كان الوالد الحنون يميل ويرغب في التحنن والترحم على ابنه الصغير فليتفضل عليه بعبادة قديمة كان قد صلى بها لسنوات طويلة خلت حتى يتابع صلاة ما بقي من عمره بها لعلّ صلاتي تقبل عند الذات الأحذية المقدسة بحرمة هذه العبادة الطاهرة.

ولدك الصغير - أخ الشهيد أمير حسين اغا خاني

علي رضا اغا خاني

زاهدان 23/شباط/1985م

جواب الإمام

ولدي العزيز، أسأل الله أن أوفق لمعرفة قدر أمثالك.

أيها الأعزاء، واطلب من الله التوفيق والسعادة لكن وأسأله أن يمن بالسعادة على الشعب الإيراني العظيم الذي لم يبخل بشيء في طريق الإسلام وأن يوفق المجاهدين الأعزاء بالنصر النهائي، كما أنني أدعو للجميع ولا أنساكم والسلام.

كتبت زوجة أحد الشهداء اللبنانيين رسالة إلى الإمام فيها الكثير من العبارات الأدبية والبلاغية، أنها رسالة الأمواج المتلاطمة شوقاً وعشقاً وحباً للإمام وبعد إظهار هذا القدر من المحبة قالت:

طلبي الوحيد من وجودكم المقدس أن تتكرموا عليّ بسجدة كربلائية أسجد عليها طيلة حياتي لرب العالمين واضعها في قبري وكفني بعد مماتي.

كنت على يقين أن الإمام بعد اطلاعه على هذه الرسالة سيقدم سجدة كربلائية لها، لكنني احتملت أن لا يكون عنده سجدة إضافية أو أنه سيلاقي مشقة فيما لو أراد تأمينها، لذا كنت محتاطاً للأمر فوضعت في جيبتي سجدة كربلائية وصلنتني منذ مدة طويلة ولم أستعملها مطلقاً، وعندما ناولت الرسالة للإمام وبدأ بقراءة مضمونها وقبل الانتهاء منها، نهض من مكانه ليجلب طلب السيدة، فما كان مني إلا أن عرضت عليه السجدة التي في داخل جيبتي وقدمتها له فجلس الإمام وأخذها ومن ثم أعادها لي كي أرسلها إلى زوجة الشهيد، عدت إلى المكتب بعد الانتهاء من جميع الأعمال ولم يكن قد حان موعد الظهر، جاءني صديق مؤمن من سكان قد وأخرج من جيبه سجدة كربلائية وقال: هذه السجدة موجودة عندي منذ حوالي الأربعين سنة كانت قد أهدتني إياها والدة زوجتي كعربون محبة ووفاء احتفظ بها، فتولد في قلبي شعور بإهدائها إليك لقد ارتجفت في مكاني وتعجبت من هذا الموقف، وسرح خيالي في التفكير وانعكست حالتي على حالته وأخذته الحيرة والدهشة وتغير لونه حين أخبرته بالقصة التي حصلت معي صباحاً.

وعصراً غادرت منزلي متوجهاً إلى المكتب وفكري ما يزال مشغولاً بهذه الصدفة العجيبة، أثار انتباهي صندوقاً وضع إلى جانب مكتبي كان قد وصل عن طريق وزارة الخارجية مرفقاً برسالة لي، فتحت الصندوق فرأيت مملوءاً بالسجديات. الرسالة كانت مرسله من أحد السفراء المعروفين للجمهورية الإسلامية في أحد بلدان الخليج الفارسي كتب فيها!

أحد مقلدي الإمام ومحبيه كان قد أحضر هذه السجديات وجلبها منذ فترة طويلة من كربلاء وطلب منّا أن نرسلها لسماحته، كانت السجديات متعددة الأشكال والأحجام وفي اليوم التالي أخذنا نموذجاً من كل نوع ووضعناه في خدمة الإمام وقلنا: صندوق مليء بالسجديات الكربلائية أرسلت من المكان الفلاني لجنايبكم. فبادرنا بالكلام:

يكفيني هذا المقدار، والباقي يتم توزيعه على الآخرين، وبعد تقسيمنا للكمية كانت حصتي 10 سجديات وكانت في الحقيقة مصداقة للآية الكريمة:

(مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) .

وأحمد الله أنني رأيت جزاء الإحسان في أقصر وقت ممكن.

بعد التحية والسلام..

أنا العبد الحقير لساني عاجز وقلمي ينكسر أمام شخص كأنه إبراهيم (عليه السلام) الذي حطم الأصنام وقضى على النماريد، وكأنه عيسى الذي قد أحيا الشعب الإيراني بدم أتباعه المسيحيين... وجدّه النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي أباد عبدة الأوثان، وشيد مكانهم أعمدة الإسلام أيها الإمام العزيز! إن عمري وحياتي وحياة أولادي فداء للحظة واحدة من عمرك، يا منقذ الشعوب المضطهدة، إليك أيها العظيم الذي تعلق بك المحبون، وتطلعت إليك عيون المحرومين والمظلومين في العالم، أنا العبد الحقير لي رجاء بسيط أطلبه من بحر وجودكم المبارك، أيها الوالد العظيم في حين أنني لم أرَ أمام زماني، أطلب من نائبه أن يتكرم عليّ بقطعة من ثيابه أو شيء مما لمست أيديه المباركة حتى تؤنسني في قبري.

إلهي، إلهي، حتى ظهور المهدي احفظ لنا الخميني...

- فداك - ز. ر

العنوان - أصفهان - شارع الزراعة.

عندما عرضت الرسالة على الإمام، نهض في الحال وجلب محرمة نظيفة مثل الثلج وناصعة البياض لأجل إرسالها وتوجه بلطف لكتابة الرسالة وإرسالها بواسطة البريد.

للإمام

في أحد الأيام راجعت المكتب أحد النساء العربيات وهي تحمل في يدها كيساً يحتوي على عشرات القطع من الذهب المصنع والمتنوع ووضعت على الطاولة. وبما أن الإمام لا يقبل أي شيء ما لم يعرف الجهة التي ينبغي صرفها فيه ومن صاحب العلاقة مباشرة ونحن أيضاً اعتدنا أن نسأل صاحب العلاقة عن أي شيء يقدم للإمام بشكل دقيق، ما هو عنوان هذا الشيء، أو ما هي الجهة والوجهة التي ينبغي صرفه فيها.

لذا سألنا الأخت المحترمة هو عنوان هذا الذهب؟

أجابت: للإمام.

أيضاً كررنا السؤال على ماذا يصرف؟

أجابت: للإمام.

عادة مثل هذه الأشياء كانت تحول لدعم جبهة الحرب، ولذلك سألتها أمانتك ستحول للإمام ولكنه يريد أن يعرف في أي سبيل تصرف؟

كررت الجواب السابق: للإمام

أيضاً أحسست أن الأمر ما زال مبهماً وكررت السؤال في أي شيء تصرف في عمل الخير أم لمساعدة المساكين، أم لمساعدة في بناء مسجد أو حسينية أو... الخ... وأجابت أيضاً على تلك الأسئلة قائلة! للإمام!

أصبحت المسألة واضحة جداً فكتبت قائمة بالذهب ولأجل إعطائها إيصال قبض ممضى من الإمام سألتها ما أسمك؟ أجابت... عثمان، وعادة عند العرب يجيبون عن الاسم مقروناً باسم الأب علمت حينها أن الأخت الكريمة من أهل السنة وبعد أن دقت في الأمر علمت أنها من أهل إحدى الدول التي يعيش أهلها حالة تحت رحمة التشويه الإعلامي المسموم ضد الجمهورية الإسلامية أشد بكثير مما يعيشه أهل العراق وتحفظ الذاكرة أن مجيئها إلى إيران لتقديم هذه الهدايا قد تم بمشقة ومصاعب جمة حيث أنها اضطرت للسفر إلى بلد ثالث ومن هناك حصلت على فيزا إيرانية على ورقة منفصلة حتى لا تطبعها إلى الجواز لتصل بعدها إلى إيران ومن ثم جماران وطول هذه السنين يوجد عشرات بل مئات الحوادث من هذا القبيل حيث أن بعضها يثير الدهشة أكثر يوجد كثيرون في العالم ومن بلدان مختلفة يقدمون الهدايا القيمة والمتنوعة للإمام سواء بالحضور شخصياً أو بمراجعة ممثلي الجمهورية الإسلامية من خلال مكاتب حفظ المنافع أو بوسيلة شخص ثالث وهذا كله دليل على عمق وسعة نفوذ حب الإمام في القلوب الطاهرة في كل أرجاء العالم. رغم كل الحجب والغيوم السوداء والموانع النفسية والدعاية المسمومة التي أوجدتها الأبواق الإعلامية للاستكبار العالمي نموذج آخر عشرات الأقلام الذهبية والمجوهرات العتيقة أرسلت إلى الإمام أمن أحد المؤمنين العراقيين الساكنين في أمريكا عبر مكتب حفظ منافع للجمهورية الإسلامية وقدمت جميعاً للإمام مرفقة بقائمة تحدد جهة صدور الإيصال. وتفضل سماحته دون أدنى تأمل على غرار سائر الموارد المشابهة قائلاً:

«قدموها للجبهة».

وهنا يجب أن أذكر أن جميع الأشياء المتعلقة بالجبهة كانت تحول طبق أوامر الإمام من وإلى سماحة آية الله خامنئي أو جناب الشيخ هاشمي رفسنجاني.

وفاء ومحبة بلا إدعاء

في النجف الأشرف وفي مقطع زماني خاص قرر نظام البعث العراقي لأسباب متعددة أن يضغط على المقربين من الإمام، وفي هذا الصدد وصل الدور لي ووضعت تحت المراقبة الشديدة، واضطرت حينها للاختفاء في بيت الإمام لمدة ثلاثة أيام، ولكن جهاز الأمن العراقي لم يترك الأمر وفي ديار الغربية لا توجد إمكانية لاستمرار الحياة بشكل سري، كما أن التسليم في جو من الاضطهاد والتعذيب والقتل في زنانات البعث ليس بالأمر السهل لذا طلبت من الإمام تحديد تكليفي فتفضل سماحته:

(ماذا أستطيع أن أقول).

وأخيراً بعد ترغيب الشهيد محمد منتظري قررت أن أعرف عن نفسي، وفي صبيحة اليوم التالي ذهبت إلى دائرة أمن النجف ونقلوني مباشرة إلى كربلاء حيث كانت مركز المحافظة ومن هناك إلى بغداد وأخيراً بعد أن قضيت فترة في سجون متعددة انتقلت إلى مدينة بعقوبة في العراق ومن ثم إلى سجن خانقين، هذه التحركات وأمثالها ربما كانت لأجل إضعاف الإمام وكسر صلابته (بتصور عملاء البعث) وإجباره على التراجع أمامهم، وإيجاد جو من الرعب والقهر للمقربين والمرتبطين بالإمام في الحوزة وطالت مسألتي عدة أيام وبعد أيام وبينما كنت مشغولاً بتعقيبات صلاة العشاء نادوني من خلف نافذة السجن عرفت عن نفسي، وأعادوني ليلاً إلى بغداد التي وصلتها في الصباح بطريقة وحشية لم تخلو من الإهانات والألفاظ النابية وبمقتضى قرائن الحال التي رافقت ذلك وحسب أحد زملائي في الزنزانة لم يكن مصيري بأقل من الإعدام. أحضروني أول الصباح، ولكنني لم أصدق وأنا أتعجب مما أرى كل شيء تغير حتى تصرفات الحرس تغيرت وأحضروني إلى غرفة الرئيس، وقال بكل احترام أوصل سلامي الحار إلى الإمام وأرجوه أن يقبل اعتذاري عن سوء التفاهم الذي حصل. حتى الآن لم أفهم ماذا جرى إلا حين أعلنوا الإفراج عني وسيأتي فلان ليأخذك إلى النجف.

وليس قليلون أبداً أولئك الذي يدعون محبة الإمام في ظروف الرفاه والراحة ولكن عندما تشتد الأمور عليهم نراهم لا يباليون ويتعدون عنه وحتى أنهم يسعون لأن يرموا كل شيء في بوتقة النسيان ولا تتكرر خواطرهم، ولكن هذه الحوادث التي وقعت كانت نموذجاً للصفاء والمحبة المقرونين بالوفاء والإخلاص اللذان وجدتهما في الإمام.

وعندما عدت إلى النجف الأشرف علمت أن الإمام كان قد كلف المرحوم آية الله مصطفى الخميني ليعمل على إنقاذي من السجن عن طريق غير مباشر وبهذا أصبح معلوماً أنه عندما كنت قد اختفيت في منزل الإمام لم يرغبوني في البقاء ولم يأمروني بالمغادرة، ولكن في آخر المطاف عندما لم يتمكنوا من الوصول إلى أهدافهم، أرادوا أن لا يشعروا الأصدقاء والمشتاقين بالأمان والطمأنينة، في هذا الوقت وللمرة الثانية فقدت الأمل بالبقاء إلى جانبه، ووجدت قمة هدوء خاطر لسماحته في اللحظة التي طلبت فيها معرفة تكلفي بالبقاء أو الذهاب.

كانت سبابة الإمام تؤلمه قليلاً، تم استدعاء الدكتور عارفي المتخصص بذلك الطب المذكور ضمن أسئلته للإمام قدم يديه إلى الإمام وطلب منه قائلاً:

«اضغط على يدي».

إلا أن الإمام أجابه بلهجة خاصة ممزوجة بالمزاح وحلاوة الكلام الطيب

«أخشى أن أوجعك».

عقب ذلك ارتسم على شفاهه المباركة ابتسامة الحنان والجمال بيد أن الطبيب الاختصاصي الذي يتشرف بحضور الإمام لأول مرة، وقع تحت تأثير دائرة الجذب المعنوي، وتغيرت ملامحه وشعر بالاضطراب، وبعد فترة استعاد هدوءه الكامل وأنهى عمله.

1985/10/1

الفصل السابع: الانتظام والترتيب في الأعمال

مثال النظافة والتنظيم

بالرغم من حياة الإمام المثالية القائمة على الانضباط والنظام الصارم، الذي تحكم في جميع شؤونته وأعماله حيث أعطى كل عمل الوقت الذي يحتاجه دون أن يكون على حساب عمل آخر، لذا كان يهتم بتأدية جميع الأعمال والواجبات كالعبادات، وقراءة الأدعية وتلاوة القرآن الكريم، والمطالعة بالإضافة إلى استماع الأخبار الرياضية، المشي، الحركات الجسدية الرياضية.

(وقد ألزم الأطباء سماحته برنامج الرياضة من أجل حفظ صحته وسلامته) الإجابة عن المسائل الشرعية والاهتمام بالإجازات والاستجازات وقبض الحقوق الشرعية، الاجتماعات، اللقاءات والاهتمام بشؤون العائلة في جلسات حميمة، تناول الطعام، الخلود للراحة والسكون وغيرها من الأعمال التي كان سماحته مواظباً عليها ويقوم بها في الأوقات المخصصة لها بالضبط.

وقد تجلّى هذا النجاح الدقيق الباهر في برنامج أعماله الأسبوعي الدقيق أيضاً فعلى سبيل المثال كان يتوجه صباح كل يوم جمعة، بعد الاستماع إلى موجز أخبار الساعة الثامنة. إلى الحمام للاغتسال، وبالرغم من أني

كنت أحمل لسماحته عدداً من الأوراق والتقارير في أيام الجمعة أيضاً إلا أننا قد تعودنا أنه لا مجال في مثل هذا الوقت للاستماع أو التوقيع على أي شيء، لأنه يتوجه مباشرة إلى الحمام بعد موجز الأخبار وكان الاستحمام يستغرق منه عادة ساعة كاملة، حيث كان ينتهي في الساعة التاسعة وبضع دقائق وتجدر الإشارة إلى أن الحمام المذكور عادي جداً بمساحته الصغيرة وتجهيزاته المتواضعة حتى أن محتوياته كانت عبارة عن دوش قديم، وطشت وظرف من البلاستيك وبما أن غرفة الملابس في الحمام كانت صغيرة جداً فكان يضطر الإمام أن يلبس ثيابه في مدخل الحمام بالقرب من الطاولة التي يضع عليها حقيبته. ولم يتخلف سماحته عن هذا البرنامج، إلا في حالات المرض، حيث كان يشير عليه الأطباء بعدم الاستحمام لأن ذلك يضر بصحته، وفي إحدى المرات، مضت عليه فترة ناهزت الأسبوعين دون أن يذهب إلى المكان المذكور، فسأل الطبيب المختص سؤال من فرغ صبره عن الموعد الذي يسمح له فيه بالذهاب ولكنه واظب في هذه الحالة على تبديل ملابسه بانتظام وبالرغم من البساطة التي طبعت حياته وتميزت بلباسه. فقد كان سماحته مثلاً للطهارة والنظافة والإناقة فثيابه كانت دوماً نظيفة براقية، وحتى جواربه لم يلاحظ عليها أدنى أثر للبقع، وذلك لأنه حرص دائماً على السير داخل البيت متعللاً حذاءً خفيفاً، إن السجادات المفروشة كانت نظيفة تماماً هذا النعل الذي يرى الزمن أسفله من كثرة الاستعمال وتكرار إصلاحه وترقيعه.

الفضاء المعطر

إن المحيط الذي كان يعيش فيه الإمام الخميني من غرفة عمله إلى مكان عبادته إلى غرفة نومه واستراحته، اتسم بالنظافة والطهارة التامتين، حيث كانت الروائح الزكية التي تنشرها العطور، تملأ الفضاء بأريجها الأخاذ، وتضفي جواً من الارتياح النفسي. وبعبارة أوضح، فإن الإمام الذي يعتبر نموذجاً لمنهج البساطة والقناعة والزهدي في حياته. وفي مجال الإمكانيات المتاحة له، إلا أنه حرص على استعمال أفضل العطور وأجودها، عملاً بالآداب والسنن الأخلاقية التي تحت على النظافة الظاهرية وتعتبرها مقدمة مناسبة لبلوغ الطهارة المعنوية والتهذيب النفسي، فالإنسان الذي يشتم من أعماق روحه عطر الإيمان ورائحة الجنة، أذكرى أن يعبق جسده بأريج العطور، فالعطور الأجنبية والوطنية التي كانت تتدفق على سماحته، مهداة له من قبل الأصدقاء والمحبين ليختار بذوقه الخلاق والرفيع الرائع الأفضل من بينها حتى أن بعض العاملين في مكتبه صار حريصاً على استعمال نفس العطر الذي يستعمله الإمام حين يريد التشرف بلبقائه المبارك.

عدم التأخير في انجاز الأعمال

لم يؤجل الإمام أي عمل من أعماله اليومية إلى اليوم التالي أبداً، فجميع أموره وشؤونه مرتبة ومنظمة، كل شيء في مكانه المناسب وكل عمل مقرر يتم إنجازه دون عجلة أو استهتار أو تأخير عن الموعد المحدد له، وعلى الرغم من كثرة الأعمال وتشعب الأمور وتعدد التقارير وأشياء أخرى، لم نشاهد في حياة الإمام وجود أي فوضى أو تراكم أعمال غير منجزة، ولم نلاحظ فقدان أي شيء فالكتاب والقلم والراديو والثياب وسائر الأمور الخاصة كل شيء في مكانه المخصص له، وفي هذا الصدد، إذا كانت هناك أمانة لأحد أو شيء ينبغي تحويله إلى مسؤوله، كان يبادر بأقصى سرعة ودون إضاعة الوقت إلى تأدية العمل وإتمامه، لقد كان الإمام في كثير من الأحيان يحتاج إلى كتاب فقهي أو غيره حين كنا نقوم بتأمينه وتقديمه إلى سماحته وحين الانتهاء منه في صباح اليوم التالي يعيده مباشرة لمن جلبه، علماً أن صاحب الكتاب سواء كان واحداً منا أو أي شخص آخر يفتخر بأن يقدم الكتاب لسماحته.

وفي كثير من الأحيان يأتي لزيارته الكثير من الأشخاص - أمثال السيد لواساني - لتقديم الحقوق الشرعية بواسطة شيك بنكي بشكل مباشر، وكان الإمام بدوره يقدم لنا الشيكات في أول فرصة لضبطها وتسجيل استحصالتها. وينسى بعض الأحيان إعطاءنا الشيكات المصرفية رغم ترددنا الزائد عليه لانجاز الأعمال المتعددة والكثيرة للمكتب، وما أن نترخص من محضره المبارك ونخرج حتى يدق الجرس ثانية ويطلبنا ويعطينا

الشيكات، علماً أن غرفة الإمام في غاية الترتيب والتنظيم لا يفقد فيها أي شيء، ولم يؤخر الإمام في أي وقت من الأوقات وبدون أي دليل أو عذر شيكاً واحداً أو أمانة واحدة ولو ليوم واحد.

الأموال المالية والوجوه الشرعية

استدعاني الإمام مع حجة الإسلام السيد رسولي والشيخ صانعي في أواسط سنة 1982 وبعد أن بدأ كلامه بمقدمة أصدر القرار التالي:

«يجب انجاز جميع الأعمال والمسائل المتعلقة بالحقوق والوجوه الشرعية والحسابات المالية من خلالكم وبموجب هذا القرار، فإن المسؤولية تقع على عاتقكم أنتم الثلاثة» وبعد ذلك قام الإمام بتحويل جميع الأموال النقدية والشيكات المتعلقة بالحقوق والوجوه الشرعية الموجودة لديه، ومباشرة فتحنا حساباً خارجياً بأسماء الثلاثة في شعبة بنك صادرات في جماران، وحولنا كل الأموال المذكورة إلى ذلك الحساب، وبقي هذا النهج قائماً حتى رحيل الإمام حيث حولنا جميع موجودات الحساب المذكور إلى مديرية الحوزة العلمية في قم، كما أنه تم افتتاح حساب آخر بالعملة الصعبة باسم الإمام في أحد فروع المصارف، وذلك في السنوات الأخيرة من حياة الإمام وبأمر منه، وكان يحق لي إمضاء الشيكات مع أحد الأصدقاء الآخرين في المكتب بعد أن يصدر الإمام أوامره، حيث كنا نودع فيه جميع الأموال والحقوق والوجوه الشرعية التي تصل إلى الإمام بالعملة الصعبة بعد ضبطها الدقيق وثبتها في المكتب. وأما ما تبقى من الحساب المذكور فقد تحول إلى مديرية الحوزة العلمية في قم حسب ما جاء في وصية الإمام.

وكما أشرنا أكثر من مرة، فإن انجاز المعاملات والأعمال المتعلقة بالأموال المالية والوجوه الشرعية الأخرى، ومهر إيصالات القبض كان يبدأ في الساعة الثامنة صباحاً من كل يوم ما عدا أيام الجمعة وبمرور الزمن تم إلغاء أيام الخميس والسبت والأربعاء من هذا البرنامج.

ومع أن الأعمال ازدادت في الأيام الأخيرة وازداد عدد إيصالات القبض التي تحتاج إلى توقيعه الشريف إلا أن برنامج انجازها كان يتم في الأيام الثلاثة المتبقية وكانت الطريقة المتبعة في انجاز الأعمال كما يلي:

في البداية يطرح السيد رسولي الاستفتاءات والإجازات في نفس الوقت الذي يخرج الإمام من جيب سترته ختم التوقيع ويناولني إياه، فأبدأ بمهر إيصالات القبض التي يكون السيد صانعي قد كتبها وهياها من قبل وبعد دقائق من نهاية أسئلة السيد رسولي يستلم هو عملية تهيئة إيصالات القبض وأثناء تسريعه العمل وتحضيره لي أتابع بدوري مهر الإيصالات، وكان أساس الوقت الذي نشغله في حضور الإمام هو توقيع إيصالات القبض، وعلى الرغم من ازديادها كما ننجز أكبر عدد ممكن حيث أن ممارسة هذا العمل بشكل دائم اكتسبنا خبرة وسرعة غير عادية وكان هذا سبباً لاختصار الإمام أيام الأسبوع وساعات العمل في محضر الإمام، وفي هذه الأثناء كان الإمام يشغل نفسه بمطالعة التقارير ومراقبة توقيع الإيصالات التي وصلت إلى درجة أنها لفتت انتباه الإمام للسرعة الفائقة في إنجازها، وكنا بدورنا نشعر بمدى اهتمام الإمام ومراقبته لنا، وقد نقل الحاج أحد الخميني أن الإمام قد حدثني مرتين عن هذه الملاحظة الملفتة.

الاهتمام الخاص بأية الله السيد علي الخامنئي

على ضوء تقيد الإمام، والتزامه الكامل بالنظام الصارم في أعماله كما أشرنا سابقاً، كانت الأمور تسير دائماً بشكل منتظم فبعد الاستماع لموجز أخبار الساعة الثامنة صباحاً يكون الإمام حاضراً لأجل انجاز المعاملات والأعمال المتعلقة بالمكتب وإمضاء إيصالات القبض للوجوه الشرعية وغيرها، ولم يتغير هذا البرنامج حتى في الأيام التي لم يحضر فيها الإمام نتيجة شعوره بالتعب أو الطقس القارس وتراكم الثلوج أمام غرفته حيث

كان مسموحاً لنا بالدخول إلى غرفة عمله فنحضر رغم كل الظروف ونقوم بانجاز الأعمال المتعلقة بالمكتب حتى لا تتعطل أو تتأخر أعمال المراجعين للإمام ويستمر النظام المتبع دون أي خلل فيه، وكما عرضت في مناسبة سابقة عندما يضطر الإمام لعدم المجيء لأسباب خاصة جداً يعلمنا بالأمر قبل يوم من الموعد، وبعد انتهاء هذا القسم من الأعمال يبدأ برنامج عقد الزواج وتقبيل اليد. وبعد الانتهاء منه يقوم بانجاز المواعيد المقررة سابقاً لبعض المسؤولين والشخصيات المختلفة في البلاد. كانت تطراً بعض المواعيد الاستثنائية فيأمر حينها بتأخير المواعيد المقررة سابقاً، وذكرت أحد هذه الموارد في الفصل الرابع وأذكر هنا مورداً آخر له علاقة بآية الله خامنئي، عندما علم الإمام في أول الوقت يعني الثامنة صباحاً أن آية الله خامنئي قد شرف إلى المكتب للقاءه، أمر بتأخير وتعليق جميع الأعمال المقررة سابقاً إلى ما بعد اللقاء وعلى خلاف العادة بدأ برنامج اليوم بلقاء آية الله السيد علي خامنئي، بعده مباشرة بدأنا بأعمالنا المتعارفة آنذاك لم ننتبه إلى أن هذا التعاطي مع آية الله خامنئي مقصود من الإمام ودليل على العناية الخاصة والاهتمام به ولكن بمرور الزمن وما آلت إليه الأمور اتضح لنا أن هذا التعاطي من الإمام يعتبر نموذجاً آخر لعمق رؤيته وبعد نظره في الأمور.

مذياع الإمام

لفترة زمنية كنت مسؤولاً عن تنظيم شؤون المذياع للإمام ويوجد عند سماعته ثلاثة أجهزة من الحجم الصغير، وحسن هذا النوع من الأحجام أنه يحمل في اليد أينما كان وقبحه أنه سريع العطب ويخرب دائماً. ومع مرور الزمن يصبح غير صالح للاستعمال وفي أحد الأيام ناولني الإمام أحد الأجهزة وقال لي أنه معطل والحديث عن مشاكل هذه الأنواع من الراديوهات شائك لنمضي عنه، تساءلت في نفسي هل يوجد في الدنيا زعيم أو رئيس أو مسؤول يمتلك راديو بهذا الحجم لا يجلب إلّا وجع الرأس مع حاجة الإمام الماسة إليه نظراً لكثرة الاستفادة منه. فقررت دون علمه أن اشتري مذياعاً كبيراً ومناسباً وكيف ما كان أحصل إجازة واحضره لسماعته وعندما انتهيت من انجاز الأعمال والأمور المعتادة يومياً فيما بيننا قلت له: هل تسمحون بأن أحضر لكم مذياعاً قوياً وكبيراً مع أنئين هوائي لتتخلصوا من مشاكل هذه الراديوهات الصغيرة التي تتعرض دائماً للخراب وهي بطبيعتها ضعيفة ولا تلتقط الموجات بشكل جيد أجابني الإمام: (في السابق كان لدي جهاز من هذا النوع الذي تشير إليه لكنني أفضل الأجهزة الصغيرة منها).

ذلك أن سماعته اعتاد على استعمال جهاز الراديو في الكثير من الحالات.. أثناء ممارسته لرياضة المشي في فناء المنزل، في غرفة الجلوس، في غرفة المكتب وقاعة الاجتماعات، لذا كان يفضل حمل جهاز صغير يمكن نقله إلى أي مكان وبينما كان يتمشى ما بين الغرف ذهب إلى غرفة نومه وأحضر الجهازين الصغيرين الآخرين وأعطاني إياهما وقال:

(هذين الجهازين معطلين أيضاً) أعدت الكرة في محاولتي لإقناع سماعته وقلت: اسمحوا لي الآن بأن أحضر الجهاز الجديد الذي حدثكم عنه مؤقتاً كي تستفيدوا منه ليوم أو يومين فإذا أعجبكم كان به وإلا أعيده رأساً إلى مكانه، وافق الإمام بعد أن لمس هذا الإصرار مني وأخذ الجهاز وفي الصباح اليوم التالي وبالرغم من تساقط الثلوج بكثافة حضر بعض الأخوة ونصبوا الهوائي على غصن أحد الأشجار المناسبة.

لا تضعه في متناول علي

حدود الساعة الثانية عشر وخمس وعشرين دقيقة وفي اعتقادي أن الإمام قد فرغ من صلاة الظهر فطرفت الباب ومقتضى السنة التي يسير عليها دائماً فبدل كلمة تفضل قال: «بسم الله».

تشرفت بالدخول وانتهت حينها إلى أن الإمام لم يفرغ بعد من الصلاة وما زال جالساً على سجادة الصلاة فقلت:

إذا سمحتم أريد أن أضع هذا الراديو في مكانه وتحركت بهذا الهدف وبعد لحظات ناداني الإمام من على السجادة في الممر «السيد رحيميان».

تقدمت نحوه، فقال: «أين ستضعه».

قلت: على الطاولة في متناول يدك.

فقال: «ينبغي أن تضعه في مكان لا تصله يد علي».

وأشار إلى مكان مرتفع فوق سريره، وتابع قائلاً:

انزل الكتب الموجودة على الرف لا إشكال في ذلك.

علي حفيد الإمام وابن السيد أحمد يأنس به كثيراً يقضي معه الكثير من الوقت أحياناً، لهذا أمر الإمام بعدم وضع الراديو في مكان يستطيع الوصول إليه حتى لا يعيث به من جهة ومن ناحية أخرى لا يريد أن يسلب الطفل حركته وحرية وهو لا يدرك معنى الأوامر والنواهي بعد وبعبارة أخرى أمر بإبعاد الراديو حتى يزيل العقبات أمام الطفل الذي يحدد له المكان ويمنع أسباب عدم التفاهم وهذا الدرس الحكيم موجه لجميع الآباء والأمهات أن طريقة إزالة السبب أنجع من الدواء في جميع الأمور.

«وخاصة بالنسبة للأطفال الذين لم يدركوا بعد الخير والشر والحسن والقبح وبهذا نزيل السبب الموجب لضرب الطفل أو تأنيبه وما شاكل وهو لا يفهم معنى ذلك».

صلاة الظهر

بينما كان جناب الإمام مشغولاً بالصلاة والدعاء، وأنا منهمك بانجاز بعض الأعمال رفع الإمام رأسه من السجود باتجاهي متفضلاً بالكلام:

أنا لست راضياً لمزاحمتكم، أنتم تبذلون جهوداً كبيرة في هذين اليومين زاحمتكم أنفسكم كثيراً، بعد نصف ساعة تقدم ثانية وبلهجة ملؤها الحنان والمحبة، وبصوت نابع من القلب ردد ما يشبه تلك العبارات: وفي الحقيقة ذبت في هذه المحبة العظيمة من الإمام واهتز قلبي من مكانه لهذا التعامل، واعتراني الخجل والحياء وقدمت له شكري.

قاربت الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر أكملت وأنجزت أعمالي والإمام ما زال مشغولاً بالصلاة علماً أنه من أول وقت الصلاة هيأ نفسه رغم الضعف الذي يعانيه ويحتاج إلى النقاهة والراحة، فترخصت منه وودعته.

لطف كريم

بعد يومين كان الثلج يتساقط بغزارة دق جرس البيت أحد الأخوة الذين حصلوا على افتخار خدمة الإمام وناولني ظرفاً وذهب، قرأت غلاف الظرف أنه مرسل لي شخصياً من الإمام، اندهشت من هذه العظمة والجلال وكاد قلبي أن يقتلع من مكانه، وتراخت ركبتني وفقدت نفسي وانهمرت عينايا بالدموع.

ولأكثر من أسبوع صباح كل يوم وأثناء تشرفي بحضور الإمام أردت أن أشكر الإمام على عمله ولكني أحسست بالعجز الدائم، وفي نهاية الأمر اهتديت لأن أقدم الرسالة التالية وأضعها مع التقارير التي قدمتها لسماحته وهذا نصها.

سلام الله عليك، وروحي لك الفداء، إن حيائي ومهابتك منعني من الكلام فالتمسست قلبي المكسور لأعبر لك عن شكري الجزيل والخجل يعتريني في مقابل تفضلكم عليّ، أقسم بالله أن لحظة واحدة أكون فيها في خدمتكم أفضلها على كل الدنيا بما فيها، وأعتبر وجودي كله في ساحة وجودكم الذي هو في سبيل الله أدنى وظيفة لي، ماذا أفعل وفي هذه الحال التي أعيش فيها الرحمة أثناء خدمتكم وتعتبرونها زحمة عليّ، وأنا الذي أقضي الحياة ممزوجة ببسمة تُغرك تلاطفني بآداب الإطراء.

وا نفساء.. أنا الفقير الخادم لهذه الروضة المزهرة، والأرض القاحلة إلى جانب نبع الهداية، وأنه لمن مفاخر العظمة المتلازمة باليمن والبركة أن أكون خادماً دونياً في بيت عبد الله امتزجت روحه به، ولكن أخشى أن أكون شر الناس، ولكن أقسم عليك بجدتك الزهراء الطاهرة أن تدعولي وخذ بيدي لأسير في طريقك الصعبة الآمنة والمحتاجون لها، وسامحني على كل زلل بدر مني.

رحيمان

67/10/26

درس حكيم

تشرفت بحضور الإمام يوم الخميس 67/11/20 لأجل تقديم التقارير فتفضل الإمام بهدية جديدة لي. فقلت له: (عم تخجلنا مولانا).

فقال: هذا مالكم وتابع: هذا الراديو (أشار إلى الراديو سابق الذكر) جيد جداً، تلك الراديوهات لا تنفع شيء، هذا الراديو جيد جداً.

فقلت: الحمد لله.

وأحسست أنني ملكت الدنيا، واعتراني الفرح والسرور من رأسي إلى أخمص قدمي حيث أنني استطعت أن أنجز عملاً بسيطاً جداً في خدمة الإمام، بعد ذلك وقع الإمام إمضائه الشريف على قرآن وطلبت منه استخارتين لبعض المؤمنين، وأثناء خروجي أشار ثانية وتفضل قائلاً: «خذها».

وهنا أرى من الضروري أن أذكر هاتين النقطةتين:

الأول: صحيح أننا نعمل في مكتب الإمام، ولكن يمكن أن يقال أن هذا النوع من الأعمال يخرج عن حدود وضوابط الوظيفة «قد يقال أن هذا العمل يمكن أن يتخذ طابعاً شخصياً للإمام، على الرغم من أنني على يقين أن الإمام يعلم بأننا نفتخر بأن تدوس أقدامه أرواحنا وتكون فداءً له، وأيضاً أن سماحة الإمام لم يبخل بعطائي من ماله الشخصي بما يتناسب مع مقام وعظمة شخصيته جزاء على الأعمال الجيدة. وكان هذا درساً بليغاً وحكيماً أنه لا يمكن أبداً وبأي وجه أن يستفيد شخصاً ويتوقع الاستفادة بأعمال خاصة خارجة عن حدود الوظيفة التي يعمل بها من خلال موقعه مهما بلغت درجة حبه وإخلاصه».

ثانياً: الالتفات إلى أن اهتمام الإمام المادي والمعنوي قد بلغ حداً غير متوقع، وفي حدود اطلاعي في السنة الأخيرة أن الإمام قد اهتم وتفقد أحوال جميع الأخوة الذين كان لهم شرف العمل والخدمة في بيته ومكتبه بطريقة ملؤها المحبة والحنان أن يسبق لها مثيل وكل هذا يمكن أن يكون خطأ بيانياً لتكن عميقة جداً وهو أنه قد تحرر من سحب هذه الدنيا وأنشد أغنية الحرية ليتصل بالكمال المطلق. ونحن الذين عشنا معه لسنوات كنا كالعُميان والصم بالقرب من نبع الحياة، وكنا في سبات غافلين ولم نشرب قطرة واحدة من بحر علمه ومعرفته.

راجعوا توضيح المسائل

بعد انتهاء درس الإمام في مسجد الشيخ الأنصاري في النجف الأشرف وأثناء عودته إلى منزله انتهزت فرصة مرافقته وسألته عن مسألة شرعية كانت تشغل بالي، فأجابني:

«راجع فتاوى الرسالة العملية توضيح المسائل».

جمدت في مكاني من معاملة الإمام لي ولكن بعد قليل من التأمل والتفكير عرفت أن الإمام يريد أن يعلمني درساً مهماً لأن طالب العلم أو أي شخص يمتلك قدرة المطالعة والتحقيق والبحث عليه أن يبذل الجهد ويبحث ويفتش في المصادر المعتبرة ويراجع الكتب التي يجد فيها ضالته وجوابه حتى يتمكن من خلال البحث والتحقيق والمطالعة أن يقف على قدميه ثابتاً ويبني أسس معرفته على هذا الأساس، حتى لا يعتاد على سؤال من هو أعلى رتبة علمية منه بمجرد أن يصادف معضلة أمامه عليه أن يعتاد تتبع مسألته فإن لم يجدها في توضيح المسائل يعود إلى التحرير وإن لم يجدها فيستعين بمكتب الاستفتاء لأنه بدون طي هذه المراحل لا يستطيع الوصول إلى آخر الشوط هذا الأسلوب تكرر في موارد مختلفة وأماكن متعددة، فشهدنا ذلك خلال فترة إقامتنا في جماران، وبشكل عام ومن باب المثال نقلاً عن السيد كمال الموسوي شيرازي حيث سأل:

«من عليه قضاء شهر رمضان، والوقت موسع للقضاء هل يستطيع الصوم إجارة؟»

أجاب الإمام: «انظر الرسالة العملية».

يقول السيد كمال إنني قلت أنها لا توجد في الرسالة فتفضل الإمام:

«ليسأل مكتب الاستفتاء».

وعلمنا الإمام من خلال نماذج أخرى أنه ينبغي مراعاة سلسلة المراتب لنظم الأمور والمحافظة على نظم العمل وعلى هذا الأساس نراعي هذه المسألة المهمة، فلو عرضت مسألة على مكتب الاستفتاء ولم يستطع الإجابة عليها ووصل إلى طريق مسدود حينها يجيب الإمام على المسألة بناءً على سؤال أحد أعضاء مكتب الاستفتاء. وراعى الإمام السلسلة الطولية في سائر الأمور وخصوصاً في المسائل الإدارية ما عدا بعض الموارد الخاصة التي كان يطلع عليها مباشرة بخصوص مسؤول لم يقم بواجبه أو ارتكب مخالفة فكان يتصرف بما يتناسب مع المشكلة وفي بعض الأحيان يتدخل مباشرة كما في بعض المسائل القضائية كالمسؤول الذي يكون مورد اعتماد في منصبه وعموماً فإنه يعمل بمقتضى الأصل الأولي كان الإمام يقول بصراحة إذا ما راجعه أحد بمسألة أو موضوع خارج إطار التسلسل التنظيمي.

«لماذا أرسلتم هذا إلى هنا، هذا العمل ليس مرتبطاً بي».

وأحياناً كان يصمت وأحياناً يقول:

«راجعوا المسؤول المختص بالموضوع».

الصمت جواب

وبهذا الخصوص أورد عدة نماذج إحدى الشخصيات المعروفة في مدينة إيرانية على علاقة بالإمام تقرر أن يعين قائم مقاماً لتلك المدينة، فأرسل إلى الإمام برقية مستعجلة يطالب بإصرار عدم الموافقة على تعيينه نظراً للسبب الفلاني (طبعاً لا يوجد أي سبب فعلاً).

عرض الموضوع على الإمام ولما لم يكن الإمام يعرف شيئاً عن الموضوع ولم يسمع شيئاً عنه لم يبد أي رد فعل وأثر السكوت التام فكان بمثابة الجواب حسب وجهة نظره.

لماذا أرسل إلى هنا؟

أحد مسؤولي دائرة التوجيه السياسية - العقائدية لإحدى مؤسسات الدولة أرسل رسالة يطلب فيها مساعدة من الإمام بشأن تأسيس صندوق القرض الحسن وبعد أن عدد مزاياه فأجاب الإمام!

«لماذا قد أرسلها إلى هنا؟ هذا الموضوع مرتبط بالدولة».

ما علاقتي بذلك

زعيم إحدى المجموعات السياسية يطلب من سماحة الإمام بواسطة برقية أرسلها له الإفراج عن بعض زملائه في التنظيم بعد اعتقالهم لأسباب معينة عرضنا مضمون الرسالة على الإمام فأجاب:

ما علاقتي بذلك؟ هل أنا الذي اعتقلتهم؟؟

لا معنى لإرسالها إلى هنا

وصلت رسالة من محكمة الجنايات الأولى في إحدى المدن الإيرانية إلى سماحته تطالب بإلغاء حكم الإعدام على أحد الأشخاص بسبب عدم اكتمال الدليل عليه فأجاب:

«هل تعرفون شيئاً عن موضوع الرسالة».

قلت: نعم.

قال: يجب إرسالها إلى المجلس الأعلى للقضاء وأكمل بلهجة حادة لا معنى لإرسالها إلى هنا لا اعلم من هم هؤلاء...

إرجاع الأمور إلى المسؤولين

سعى الإمام الخميني دائماً إلى انجاز كافة الأعمال عن طريق مسؤولي الدولة، للحفاظ على شأنهم ومكانتهم وموافقهم، ورغم تربعه في أعلى هرم السلطة وتمتعه بالكلمة الأقوى، كان يرجع الأمور إلى المسؤولين المعنيين بالأمر مع العلم أنه بنفسه يرسم الخطوط العامة والأساسية لكافة المسؤوليات في النظام الإسلامي، وكان يراقب بشكل دائم المسؤولين ضمن دائرة مسؤوليته، ولم يكن يتدخل في أي أمر يكون من اختصاص عملهم ودوائرهم، وفي بعض الأحيان التي يقرر فيها متابعة أمر بخصوص شكوى أو مطلب يتعلق بأحد

المسؤولين أو احدى الإدارات كان يتم عبر السلطات العليا المختصة بعد أن يبين الحكم للموضوع، تاركاً للمسؤول المعني تشخيص المصاديق والمواضيع الجزئية، ومن باب المثال اذكر أن سماحته قد أجاب عن مسائل تتعلق بالحرب على النحو التالي:

«اسألوا الشيخ رفسنجاني».

على أساس أن الشيخ رفسنجاني كان قد عين نائباً للقائد العام للقوات المسلحة بقرار صادر عن الإمام نفسه، ومثال آخر أنه في إحدى الفترات الزمنية نقلت لسماحته عدة أسئلة لمجموعة من الطلاب الجامعيين، وطلبة العلوم الدينية تدور حول كيفية التحاقهم بالجبهة وإمكانية الجمع بين الدرس والجهاد وتحديد أولوية أحدهما، فأجابني قائلاً:

«قل لهم يسألوا الشيخ رفسنجاني».

حفظ التراتبية في التعامل

على الرغم من تميز الإمام العجيب والملفت في موارد معرفة وتقييم الأشخاص، كان يتعاطى مع أي شخص تربطه صلة به بطريقة تتناسب مع شأنه ومكانته، لذا التزم في رعاية مراتب الأفراد وحفظ شأنهم، على أساس المعايير الإلهية التي قيد نفسه فيها، طبعاً هناك بعض الموارد التي تعاطى فيها مع بعض الأشخاص سلباً أو إيجاباً لم تكن متوقعة وبقيت سرّاً، حيث أن بعض هذه الموارد كشفت بمرور الزمن أن رؤية الإمام العميقة ونظرته لهؤلاء الأشخاص بقيت لغزاً غير قابل للفهم، ذات يوم تقرر أن تقوم إحدى الشخصيات الثورية والقصة قديمة جداً بزيارة الإمام في كربلاء لأول مرة، وتجمع بعض الأصدقاء في منزل الإمام في الوقت المحدد للزيارة وقياساً على لهفتهم لرؤية تلك الشخصية، فقد توقعوا أن يسود اللقاء جواً من الإثارة بينهما ولكن الأمر كان عكس ذلك فعندما دخل الضيف الكريم، ونحن ننتظر بهشة، تقدم نحو سماحته بطريقة ملؤها الاحترام والتواضع. وانحنى أمام مقبلاً يده الطاهرة إلا أن الإمام عامله كأي زائر عادي يتشرف بزيارته في الوقت الذي هب المجتمعون في الغرفة واقفين بمجرد دخوله إلى المجلس تكريماً له، لم تصدر عن سماحته أدنى حركة تدل على تأثره بالموقف، هذا المشهد فاجأ الجميع وخيم عليهم جو من الدهشة الممزوجة بالغموض، ولكن تبين لنا فيما بعد أن هذا الشخص كان قد أطلق سراحه، وترك إيران طوعاً، حينها أدركنا مدى تعمق ودقة نظر الإمام، أما أولئك الذين جال في خاطرهم السؤال وانكشف له ذلك اللغز الذي كان عالقاً في ذهنهم بمرور الزمن، كغيره من الموارد الأخرى. أما بعد نظر الإمام ورويته العجيبة للأمور بقيت لغزاً لم نستطع حله وإدراكه وفهمه.

الشيخ المسيّب نفسنا

أحاط الإمام ببعض الأشخاص الذين لم يلقوا التقدير المطلوب لدى الآخرين برعاية خاصة، ومن ضمن هؤلاء الأشخاص الشيخ المسيّب، الذي كان من محبي الإمام وعلى علاقة جيدة به في النجف الأشرف. لقد انتقل إلى دار البقاء قبل رحيل الإمام بمدة قصيرة على أثر مرض عضال بداء السرطان ورغم أن ما حصل له كان متصوراً ومتوقعاً إلا أن الإمام أبدى عاطفة كريمة تجاه الشيخ حتى آخر حياته، حتى أنه في إحدى المرات عندما ذكر اسم الشيخ في مجلسه تفضل قائلاً:

«الشيخ المسيّب هو نفسنا».

إحدى المشاهد التي كانت تبين بوضوح تام درجات الاحترام والتقدير التي يكتبها الإمام لمختلف الأفراد والشخصيات هي الجلسات التي كانت تعقد مساء كل يوم في الديوان الخارجي بمنزله في النجف الأشرف. بعد ساعتين ونصف الساعة خلال المغرب، جرت العادة أن يجلس المرحوم آية الله الحاج مصطفى الخميني إلى جانب باب الدخول، وكان سماحته يجلس إلى جانب باب آخر يؤدي إلى الغرف الخاصة، في الجهة المقابلة، وجرت العادة أن تخصص الجلسات لطلبة العلوم الدينية، والفضلاء، وعلماء النجف وأحياناً بعض الأشخاص الآخرين الذي يرغبون في زيارة الإمام وكان المرحوم آية الله السيد مصطفى يقف بقامته عندما يدخل المجلس أي فرد كان، دون استثناء أما الإمام فكان له طريقة أخرى، يضيف عبارة «مساكم الله بالخير» للبعض الآخر وينحني قليلاً وهو في مكانه لآخرين، ويضع يده على الأرض بهدوء، كعلامة على أنه يهتم بالنهوض لأجل قسم آخر، وينهض بأقل من نصف جسمه عن الأرض من أجل بعض الأشخاص، وينهض بنصف جسمه للبعض الآخر، وفي بعض الحالات ينهض واقفاً بقامته لشخصين اثنين هما المرحوم آية الله سيد محمد تقي بحر العلوم والمرحوم آية الله الشيخ محمد حسين دهقاني وكنت شاهداً على ذلك بنفسي يقف الإمام لهما من حين طلبهم رخصة الذهاب إلى حين وداعهم، ومن الجدير بالذكر أن طريقة الإمام في التعاطي مع الآخرين مختلفة ومتفاوتة بحسب مراتب وشؤون الأشخاص، أما من جهة الشخص ذاته فبقيت ثابتة ومنسجمة، والنكته الأكثر إلفاتاً أن سماحته كان يتعاطى مع الفرد الذي عنده شأنين أو موقعين في آن واحد كل مرة بأسلوب متفاوت يتناسب مع كل شأن أو موقع على حدة.

كمال المحبة

لقد عرف الإمام بجديته وصراحته وتنظيمه الدقيق للوقت في مواقع العمل، فلو مضت مدة من الزمن لم أره في مواطن أخرى كيفية معاملته وعلاقته مع الآخرين لكنت أنسى أنه مثال للمحبة الخالصة، والعواطف الرقيقة، والتعاطي الحسن، في سلوكه مع الأفراد، وعندما تشرفت ببقائه في إحدى المناسبات الخاصة بشأن أحد الخواص وجدت التفاوت الملحوظ في المعاملة داخل العمل وخارجه، من خلال عدة لقاءات حدثت صدفة بفاصلة زمنية محدودة، وذات يوم أقبل والذي من اصفهان إلى جماران للقاء الإمام وتقبيل يده المباركة وأثناء وقوفه في الصف لانتظار دوره كغيره من الناس أنتبه الإمام لوجوده بين الجموع وأشار عليه بالتفضل إلى الديوان. وفي إحدى اللقاءات لم يلتفت والذي لإشارة الإمام المتكررة عدة مرات بالتفضل إلى المكان المذكور، عندها دخل الإمام بشخصه إلى الديوان قانلاً له «تفضل بالدخول» حتى الانتهاء من برنامج تقبيل الأيدي يقفل الإمام راجعاً إلى غرفته كعادته، ويستقبله وتشرف بخدمته لانجاز جميع الأعمال والمعاملات والذي أريد توضيحه في هذا المقام أن حياة الإمام ضمن إطار عمله اليومي أخذت طابع اللهجة الصادقة، والقيافة الجدية، فحاله الآن تختلف تماماً عما كانت عليه منذ عدة دقائق وهو يتكلم معنا بلهجة غير عادية ملؤها المحبة، وبوجه مبتسم يتفقد ويسأل عن أحوال الوالد ويشير إليّ تفضل:

إنه يتحمل مشقات وصعوبات كثيرة هنا.

استفاد الإمام من جميع الطرق والوسائل التي تؤدي به للإطلاع على الأوضاع والمجريات في داخل البلاد وخارجها بشكل يؤمن له معرفة أهم المسائل في الحدود المتاحة. ولم يعتمد في الوصول إلى ذلك على قناة خبرية واحدة بل أكثر تعدد القنوات والمصادر المختلفة السرية منها غير السرية، الداخلية والخارجية، الصديق والعدو. ويضاف إلى ذلك تلك المعلومات التي يحصل عليها من خلال اللقاءات الخاصة والرسائل المفتوحة التي توجه من قبل كل الأطراف على الساحة الداخلية حتى أولئك المعادين للثورة، كما أن جميع النشرات السرية جداً لمؤسسات وأجهزة الدولة تعتبر مصدراً مهماً له، ونذكر في هذا المجال أن النشرة الخاصة بوكالة أنباء الجمهورية الإسلامية كانت تقدم لسماحته يومياً، وبما أن يوم الجمعة عطلة رسمية نضطر حينها إلى تقديم النشرة في اليوم التالي مما جعل الإمام يلفت انتباهنا بضرورة عدم تأخيرها عن الموعد المحدد حينها اتصلنا بوكالة الأنباء، وتقرر إرسالها يومياً وصرنا نقدمها لسماحته في الوقت المناسب كبقية الجرائد الصباحية والمساءية، ومن بين النشرات التي كانت مصدر اهتمام الإمام، تلك التي كانت تصدر كلَّ عدم أيام مرة وتحتوي على أهم المقالات وتحليلات الجرائد والمجلات الأجنبية المترجمة، وكذلك كانت هذه النشرة تتأخر أحياناً عدة أيام، فيسأل الإمام عن سبب تأخيرها إضافة إلى ذلك استماع الإمام الدائم لأخبار مذياع وتلفاز الجمهورية الإسلامية والإذاعات الأجنبية المختلفة، حيث رصد أوقات نشرات الأخبار والبرامج الخاصة بها بدقة متناهية، لدرجة أن أي تغيير يحصل في أوقات البث أو تردد الموجات، كان أول من يذكر به.

وفي أحد الأيام استدعاني الإمام لأمر يتعلق بهذا الشأن حيث لم يتمكن من التقاط موجة معينة اتصلت مباشرة بالمسؤولين عن إحدى المؤسسات الإذاعية وسألت مسؤول البث هناك ولم يكن ملتفتاً لهذا التغيير رغم اختصاصه ومسؤوليته عن ذلك، وبعد متابعته الموضوع اتصل بنا وقال: إن البث على تلك الموجة قد تقدم ساعة، أعلمت الإمام بذلك، ولكن بعد دقائق من الوقت المحدد استدعاني الإمام مجدداً وأخبرني بعدم التقاطه البث ثانية فقلت: لعل المسؤول اشتبه بالقول قد يكون بعد نصف ساعة من الوقت الذي حدده لنا، أشار علي بالجلوس وقال لي: أجلس هنا حتى يحين...؟» وانصرف هو لتلاوة القرآن الكريم، جلست ووضعت الساعة أمامي وأنا انتظر الموعد، أراقب نضارة نور جماله الجميل، فوجئت به يرفع رأسه عالياً ويقول: صارت الساعة... ونصف؟؟

لم تكن توجد أمامه ساعة ولم يخرج شيئاً من جيبه، بل كما قلت كان مستغرقاً في قراءة القرآن، فنظرت في ساعتِي. فكانت كما أشار الإمام بالدقة والضبط. فوراً فتحت المذياع ولكن دون جدوى فقلت. حتماً أن هناك اشتباكاً آخر في الموضوع فاستأذنت من سماحته وتابعت الموضوع فعلمت أن التغيير قد طرأ أيضاً على موجة البث إضافة إلى تغيير الوقت، وفي صباح اليوم التالي عرضت المسألة على سماحته ومن ثم نظمت له مكان الموجة أيضاً...

الاستفادة من وسائل إعلام العدو العامة

إن تقيد الإمام المنظم والدقيق في برامج استماعه لنشرات الأخبار وبعض التحاليل من الإذاعات الأجنبية لم يكن فقط لأجل الاطلاع على المجريات الداخلية والخارجية للبلاد بل المسألة أهم من ذلك بكثير وهي معرفة واكتشاف أهم مميزات شخصية الإمام السياسية التي تعتبر منهجاً مهماً لكل السياسيين المسلمين المستقلين وقيل البدء بإجراء الملاحظة المهمة في الموضوع تجدر الإشارة إلى المقدمات التالية:

1- إن الإمام الذي قضى عمره كغيره من فقهاء وفلاسفة الإسلام بالتعلم والتعليم والتحقيق في هذه المسائل يعتبر عنواناً لمختص عالٍ المقام في العلوم الإسلامية المختلفة ولكنه في نفس الوقت لم يغفل أيضاً عن اهتمامه الجدي في المسائل السياسية الإيرانية والعالمية، إلا أنه لم يكن سياسياً محترفاً كالذي قضى عمره بتخصص في دراسة المسائل السياسية أو أن تتلمذ عند السياسيين المتخصصين ولم يحصل على دبلوم في فرع العلوم السياسية الذي يفرض عليه الغوص في التحقيق والمطالعة والبحث في أهم المسائل السياسية.

2- إحدى أهم الوسائل السياسية، المعلومات الدقيقة والواسعة عن مجريات الواقع وأوضاع الأعداء وتعاطي السياسيين الذين يتحكمون بمصير العالم وتحصيلهم المعلومات من خلال الشبكات الأمنية وأوكار الجاسوسية المنتشرة في أنحاء العالم والتي تعتبر حصيلة جهود وتجربة عشرات بل مئات الأشخاص ومئات السنين من العمل في ميدان جمع الأخبار والمعلومات كما يستفيدون ويسخرون التقدم العلمي الحاصل على صعيد أجهزة الكمبيوتر الحديثة لتقوية مواقعهم ونفوذهم ولولا ذلك لما استطاعوا الاحتفاظ بأي موقع في أي بلد من بلدان العالم، هذا في الوقت الذي يمكن فيه القول أن نظام الجمهورية الإسلامية الذي ولد جديداً فاقد لمثل هذه التشكيلات وعلى فرض إيجاده في السنوات الأولى لانتصار الثورة المباركة فهد لا يساوي شيئاً إذا قسناه مع المنظمات الأمنية الأخرى كالسي أي.

3- إن الإمام في مهد الثورة الإسلامية ولسنوات بعد الانتصار غير جميع الموازين الحاكمة للاستكبار العالمي وخاصة أمريكا الشيطان الأكبر المجهزة بأقوى الشبكات الأمنية العالمية وعلى الرغم من أن سماحته ليس سياسياً محترفاً ولا يملك أمثال تلك الوسائل المتقدمة، لقد صنع معجزة عجيبة في تاريخ السياسة وتمكن في هذه الفترة من الاحتفاظ بزمام المبادرة ويجعل أمريكا وكل العالم الاستكباري في حالة ردة الفعل، وهم لم يقدروا على ثني الإمام عن مواقفه ورغم كل مساعيهم الخبيثة استطاع الإمام من خلال الأساليب التي اعتمدها وصعب عليهم إدراكها وتصورها أن يسقط هيبة الاستكبار الفارغة وعلى رأسه الشيطان الأكبر أمريكا ويضعها ومن معها في طريق مسدود وأمام أصعب المواقف والمنعطفات المهلكة وإذا أخذنا بعين الاعتبار والتفتنا بعمق وبحثنا بدقة مجريات الواقع المذكور الذي يظهر بوضوح إحدى تجليات شخصية الإمام العظيمة حيث بات في اعتقادي أن أساسها كسائر الخصوصيات الأخرى التي يجب ربطها بالامدادات الغيبية المتصلة بالنورانية المعنوية والروحانية الإلهية، وإيمان وفراسة الإمام، أما في الأسباب والعلل الظاهرية، فالإمام قد

استفاد من الأخبار وتحليل بعض الإذاعات الأجنبية وكذلك من مطالعة بعض النشرات التي تحتوي المقالات والافتتاحيات للمطبوعات الغربية المعروفة والمترجمة للوصول إلى أهدافه وفهم وإدراك رؤية العدو والاطلاع على أساليبه البشعة والتي تعتبر من أسهل وأقصر السبل:

إن الإمام أخذ بعين الاعتبار الثوابت الأربعة التالية:

- 1- إن هؤلاء أعداء الإسلام والثورة والجمهورية الإسلامية.
- 2- إن مصالح هؤلاء دائماً في مقابل مصالح الإسلام الأصيل.
- 3- وسائلهم الإعلامية العامة يستخدمونها كوسائل لتنفيذ سياستهم الاستكبارية.
- 4- إن سياسة هؤلاء إنما هي نتيجة التخطيط والسعي الجماعي للمنظمات الأمنية والجاسوسية نعم، فبالإلتفات إلى هذه النقاط وصل الإمام إلى هذه النتيجة عبر الإطلاع على مواقف وتوجهات الأعداء من خلال وسائل إعلامهم العامة وبالإضافة إلى اختلافهم في التوجهات فيما بينهم وبالنظر إلى سعيهم الواسع والحديث والميزانية الضخمة التي تصرف لحفظ منافعهم ومصالحهم اكتشف الإمام بسهولة إمكانية الاستفادة من ذلك لصالح الإسلام الأصيل والمسلمين وأكد الإمام ذلك في كلامه الذي أثاره في أكثر من مورد أيضاً بخصوص هذا الميزان. وكنموذج على ذلك، تصميم الإمام عندما قرر السفر من باريس إلى إيران ونموذج آخر في العبارات التالية:

«في اليوم الذي تنثني فيه أمريكا علينا، يجب أن نعقد مجالس العزاء، وفي اليوم الذي يثني فيه كارتر وريغن علينا يجب أن نسلم بوجود مشكلة فينا. هؤلاء يجب أن يوجهوا إلينا عبارات الشتم. ونحن يجب علينا أن نكمل الطريق بقوة 1983/10/24م.

واخيراً، لم يقع الإمام إطلاقاً، في أي ظرف من الظروف تحت تأثير الدعايات الإيجابية والسلبية لوسائلهم الإعلامية العامة بل صار أشد صلابة وأكثر قوة حتى آخر عمره في مقابل هؤلاء الطواغيت وتبليغاتهم وكان يؤكد ويوصي أتباعه وسالكي طريقه بالصمود في سلوك هذا الطريق بوجه العملاء وأتباعهم وخاصة سياسيتهم وصانعي القرار.

الهدوء والطمأنان خاطر

في إحدى الحقب الزمنية التي قام فيها العدو بالقصف العنيف، وبشكل مستمر على جزيرة خرج ومنابع النفط، ذهبت مع بعض الإصدقاء في مكتب الإمام إلى الجزيرة المذكورة، وعندما وصلنا المكان في نفس الوقت الذي اعتاد به العدو على شن الغارات. طلب منا بعض الأخوة البقاء في مكان الإستراحة بعض الوقت حفاظاً علينا على أن نقوم بالزيارة بعد انتهاء القصف بيد أننا لم نوافق على هذا الرأي، وذهبنا مباشرة لتفقد ومراقبة التأسيسات النفطية. وبينما نحن وقوف نشاهد المحطة النفطية العائمة حتى بدأت طائرات العدو من طراز ميغ 29 بالقصف، وسرعان ما أفرغت حمولتها البالغة 18 صاروخاً زنة كل واحد منها 500 كلف على مختلف أنحاء الجزيرة، وقد وقع البعض منها في الماء والآخر توزع في اتجاهات مختلفة من أنحاء الجزيرة دون أن تتعرض محطة النفط لأي صاروخ يذكر. وحدث اتفاقاً سقوط أحد الصواريخ في داخل المبنى الذي كان من المقرر أن نحتمي ونلتجئ به للحفاظ على أنفسنا من الخطر الداهم، وعلى كل فقد قمنا بمراقبة الوضع عن قرب وعدنا بعدها إلى مكان انطلاقنا وكان ذلك في ليلة الجمعة المباركة وفي صباح اليوم التالي بعد استماع الإمام لموجز أخبار الساعة الثامنة على عادته التي دأب عليها، وفي مكان جلوسه المعتاد، رويت على مسمعه قصة ذهبنا إلى جزيرة خرج، وقدمت له تقريراً شاملاً عن الوضع هناك إضافة إلى رسالة المسؤولين التي صرحت بحتمية توقف تصدير النفط إذا استمر الوضع عما عليه ليوم أو يومين آخرين. أضف إلى ذلك القلق الناشئ بسبب المشاكل العملة الصعبة التي كانت قائمة وتآزمت في تلك الظروف الحساسة من الحرب، وبعد استماع الإمام بدقة لعرض الأوضاع القائمة، بدأ دعاءه باطمئنان وهدوء مطلقين وغير قابلين للتصور والوصف، ودليل هدوئه من غير أدنى شك إيمانه واتصاله بالله. ومع مرور الزمن اتضح لنا أن استمرار تصدير النفط إلى الخارج حتى نهاية الحرب رغم كل الجهود التي بذلها العدو، أكدت للجميع أن الإمام كان الأكثر اطلاعاً وإحاطة بالنسبة إلى الوضع الحالي، وأفاق المستقبل من أولئك الأشخاص الذي كانوا يباشرون عملهم هناك رغم عدم وجوده بينهم.

لماذا أصبحت نحيفاً؟

توجهت في سنة 1970م من النجف الأشرف بالبولمن إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج كنت أثناءها أسير مرض الوسواس الذي تفاقم شدته عليّ في الحج. أثناء قبامي بالأعمال والمناسك الواجبة التي أدبها عدة مرات بيد أنني لم استطع أن أطرد من نفسي ذاك المرض الذي لازمني، ولم تحل المشكلة عندي بالرغم من عشرات الأسئلة التي أرسلتها بواسطة الرسائل ومساعدة بعض الفضلاء، رجعت بعدها إلى النجف وقمت بزيارة لحضرة الإمام، ومع الالتفات إلى أن الإمام نادراً ما ينظر إلى وجوه الأفراد، لم يدخل في اعتقادي أنه يتدخل بخصوصيات الأشخاص. ولكن عند وصولي وبعد رد السلام كلمني بلهجة يبدو فيها الانزعاج الممزوج باللطف والمحبة وقال: لماذا أصبحت نحيفاً. هل أنت مريض؟

وبعد شكره على اهتمامه، أجبت: كلا، لست مريضاً، ولكن..؟

ومن ثم شرعت بطرح الأسئلة التي كنت قد دونتها، أجابني على السؤال الأول وما أن هممت بذكر السؤال الثاني حتى التفت بأنني أشكو من مرض الوسواس لم يفسح لي المجال حينها لأنهي السؤال الثاني حتى بادرنى بالجواب: عملك صحيح، ثم عرضت عليه أن لدي عدة أسئلة فأجابني «حجك صحيح واترك هذه الأسئلة جانباً».

لا تعتنوا بشككم

نهار الخميس 87/7/5م أطلعت الإمام بنياً سفري إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج نيابة، ونظراً لحالة الوسواس التي عانيت منها سابقاً وما لاقيته من صعوبات، ومشقة، وأدت بي إلى تكرار أعمال الحج عدة مرات والتشكيك في صحة النية أيضاً، والآن، قد حققت جميع الشروط المطلوبة لأداء فريضة الحج، والحالة المذكورة ما زالت قائمة ونظراً للعسر والحرج فهل أستطيع تأخير هذه الفريضة؟

أجاب الإمام: لا ينبغي أن تكون هكذا، لا تعتني بشكك حتى ولو قطعت بشيء لا ينبغي أن ترتب أثراً عليه، وبما أنك من أهل العلم والفضل والمعرفة لا ينبغي أن تكون هكذا وهنا تبسم وأكمل كلامه «وإن كان بعض العلماء الكبار وسواسيين!!

فهل يمكنك أن تصلي صلاة من غير نية؟!

في الأساس يستحيل القيام بعمل ما دون نية.

.. حكم الله لأجل الله..

بتاريخ 87/7/10 وبعد إتمام جميع الأعمال اليومية عرضت على الإمام مسألة تتعلق بالخمسة وهي التالية: حسبت رأس سنتي، ودفعت المال المتوجب علي، ولكن أطلب من سماحتكم براءة ذمتي احتياطاً فتفضل:

«أنت بريء الذمة» بعد ذلك عرضت على الإمام مبلغاً من المال، بعضه من مال الخمس والبعض الآخر غير خمس وقسم منه من أرباح السنة التي لم يخرج خمسها وقلت له هذا هدية، فتفضل قائلاً: لا خمس في الهدايا، وأكملت كلامي أنني أقدم هذه الأموال لجنايتكم على أن تبدلوا لي للذهاب إلى الحج، أخذهم الإمام وفي الوقت الذي بذل لي أرجع لي المبلغ وتفضل قائلاً:

عليك الخلاص من هذا الوسواس لأن فيه دمار حياتك، وهذه الأعمال التي تقوم بها مخالفة للشرع، ولأحكام الله وتعتقد بأنها لله!!!؟

دعاء السفر...

نهار الثلاثاء الواقع في 87/10/26م وبعد إتمام الأعمال قدماً إلى حضرة الإمام أنا وجانب السيد رسولي وأبلغناه باستعدادنا للسفر إلى مكة في اليوم التالي وحين هممت بتقبيل يديه ووداعه فوجئت بمشهد لم يخطر ببالي أبداً، فبدل أن يمد الإمام يديه لأقبلهما قدم وجهه المبارك لأعانه أخذتني الرجفة من شدة الشوق لذاته المباركة والتصق وجهي بوجهه النوراني وشرع بقراءة الآية المباركة:

(إِنَّ الْأَذَىٰ قَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدِكَ إِلَىٰ مَعَادٍ) (فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) وأنا أقبل يديه المباركتين دعا لي بالتوفيق وتفقد أحوالي بمحبة ممزوجة بالحزم وقال لي: لا تحتط في أداء مناسك وأعمال الحج، والجميل في ذلك أن هذه العبارة كانت بمثابة أمر تكويني بقي صداها يرن في أذني طيلة سفري وأثناء أداء المناسك الحج، وما كان مستحيلاً صار حقيقة وواقعاً وتخلصت بشكل نهائي من مرض الوسواس.

تقرير مجزرة مكة

بعد قدومي من الحج، التقيت بالسيد رسولي وأخبرني أن الإمام قد سأل عنك عدة مرات وأثناء الوقت المخصص للزيارة، صعدنا الدرج حيث الإمام جالساً في غرفته ونظر إلي من وراء الزجاج وتبسم بوجه مسرور وفرح قال: تقبل الله الأعمال وأكمل، متى كان القدوم؟

قلت: بالأمس.

سألني: إن شاء الله صحتك جيدة ولم يلحق بك أذى، أجبت باختصار وبدأنا عملنا، وبعد إتمام الأعمال، وإنهاء اللقاءات المخصصة لتقبيل يدي الإمام، تشرفت بخدمته ثانية وبلغته سلام الشيخ كروبي ووصايا الكثير من مسلمي الدول الأخرى الذين أصروا عليّ لأنني أحمل الجنسية الإيرانية أن أقبل يديك الشريفتين نيابة عنهم، ولقد فعلت ذلك، وبعدها حدثته عن مجزرة مكة وصورت له المشهد الذي تم فيه قتل الحجاج والسلاح الذي استعمل هناك وتعرض الشيخ كروبي للضرب والإهانة، وهنا توقف وسألني عن وضعه الأمني. فأخبرته بأنه في عهدة الشرطة السعودية، ولكن أثناء المجزرة تخطى عنه رجال الأمن الموكلين بحمايته، فسعى الناس للمحافظة عليه ولكن تعرضوا جميعهم للضرب وسأل: هل كان إطلاق النار غزيراً، فرويت له كل ما رأيته ثم حدثته عن اللقاء الذي تم مع مجموعة من الفلسطينيين

المقيمين في الأرض المحتلة جاؤوا إلى مقر البعثة الإيرانية للاستنكار وإبراز المواساة فاعتنمت هذه الفرصة وهيات الأجواء المناسبة وخاطبت أحاسيسهم المتأججة والمتعاطفة مع الثورة وبدأت بشرح مواقف الثورة الإسلامية إزاء مشاكل العالم الإسلامي وخصوصاً مسألة فلسطين أجمت في أعماقهم الحماس للمشاركة بفعالية أكبر في الجهاد والثورة ضد العدو الصهيوني والشيء الملفت والعجيب أن كلامهم كان يفوق الشيء المتصور في الواقع، فبعد السؤال عن أحوالهم، رأيت الدموع تنهمر من مآقيهم لشدة التأثر والحزن، للأحداث الأليمة ورووا مشاهداتهم الحزينة لمجزرة مكة، وقساوة قلوب السعوديين اليهود كيف داسوا أجساد النساء الشهيديات الطاهرة وبفروا بطونهن وسرقوا أموالهن وحليهن بشكل همجي ووحشي، فضلاً عن الجراحات التي أوجدها في أجسادهن، وتكلموا عن مظلومية الشعب الإيراني وقالوا: نحن حتى الآن كما نعتقد بأنه لا يوجد إنسان في الدنيا قد ظلم أكثر منا نحن الشعب الفلسطيني، لكن الآن أدركنا هنا أنكم تعاونون من ظلم أشد وأكبر وأعداؤكم أشد من الجميع قساوة... إلى هنا، لم أر شيئاً غير عادي، فما من إنسان مسلم وعاقِل شاهد هذه المجزرة الوحشية إلا وأصدر حكماً على مدى الإجرام الذي ارتكب بحق الحجاج.

أما الشيء الذي أثار اهتماماً كثيراً هو تحليلهم لأصل الموضوع، وارتباط أساس الرجعية بالصهيونية ورؤيتهم العميقة للحرب المفروضة، وقد أسهبوا في الحديث بعمق عن كل شيء بشكل أفضل وأتم مما لو أردنا نحن شرح الموضوع، ولم يتركوا لنا مجالاً للكلام والتعقيب.

وأكملوا حديثهم: إن القائد الإلهي للثورة الإسلامية هو الأمل الوحيد لجميع المستضعفين وحرار القدس وفلسطين وإن حرب إيران والعراق هي التي سترسم مستقبل المنطقة ومستقبل جميع الشعوب المستضعفة. وإن طريق القدس تمر عبر كربلاء ومكة والمدينة واستدلوا على كلامهم ما دام صدام الكافر وآل سعود المنافقين مستلمين زمام أمور المنطقة فلن تتحرر فلسطين، لأن هؤلاء هم عوامل وأسباب بقاء إسرائيل، كما كان أسلافهم عوامل وأسباب إيجاد إسرائيل وقالوا أيضاً: إن حربكم ضد صدام ليس حرباً على صدام فقط بل هي حرب على إسرائيل والاستكبار العالمي، ونحن نرى أن انتصارنا على أعدائنا غاصبي فلسطين يتقرر في ظل انتصاركم في هذه الحرب المفروضة. وطالت الجلسة مع الأخوة الفلسطينيين إلى آخر الليل وانبلج من أفاق كلامهم النابع من القلب أحلام السحر، والفجر الصادق ونحن رأينا في المنام أن ما شاهدناه غروب يوم الجمعة الدموي ينبئ ببزوغ فجر الثورة الإسلامية العالمية وفي نهاية حديثي عن مجريات الأحداث في مكة عرضت على سماحته إلى ما قبل يوم الجمعة الدموي كان الجميع مبهورين ومتعجبين من اختياركم الآية المباركة: (وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ).

التي بدأت بها بيان الحج لهذه السنة وعندما وقعت المجزرة الدموية تتبنا حينها الموضوع لاكتشاف السر الخفي لهذا الاختيار وازدادت دهشتنا لذلك.

هكذا كان لسان حالي في بيان مجريات الأحداث والأوضاع، في حين كان الإمام يتتبع الأخبار الجديدة من خلال المشاهدات التي رويتها ومن خلال إصغائه التام للحديث وأسئلته التي طرحها في الأثناء وحينما أردت التحدث بأسلوب الكناية عن كرامات الإمام فيما يتعلق بالآية المباركة واختياره لها في خطابه للحجيج في تلك السنة، طأطأ رأسه تواضعاً وألقى نظراته بحياء، وعلى ما يبدو أن هذا الحديث ليس جديداً بالنسبة إليه، وفهمت من نظراته أن هذا ليس للإخبار ولا يريد أن يتحدث فيه أو يفشى شيئاً بهذا الخصوص:

إن الذي تعلم الأسرار الإلهية ختم عليها وخيط فمه

وفي الختام أبلغته إنني بلطف الله وأنفاسكم الطاهرة تمكنت من أداء جميع أعمال الحج دون وسوسة فأجاب الإمام! «إسع بعد الآن أن تكون كذلك».

وفي اليوم التالي نقل الحاج أحمد الخميني عندما شرفني بزيارة إلى المنزل أن الإمام قال له: إن الشيخ رحيمان لديه أخبار مهمة جداً وبذل هذا على مدى أهمية أخبار مكة الحزينة في تلك الظروف، وأنه سمع ولأول مرة كلاماً إيجابياً بخصوص الفلسطينيين. وكان مسروراً جداً.

أمانة ما بعد الرحيل

كان الإمام بمناسبة وغير مناسبة يتفقد جميع الذين يعرفهم وترتبطهم به علاقة، مبتدئاً بالأشخاص الذين يعملون معه وكان هذا العمل منه مفاجئاً وغير متوقع نظراً لتراكم الأعمال وكثرة المصاعب وحجم المسؤوليات الجسام، وخاصة في خضم الازمات والضغوطات النفسية وسوء الوضع الصحي الذي يعاني منه خصوصاً عندما يسأل ويتفقد أحوال الأشخاص المنسيين في المجتمع وكنموذج على ما قدمنا، فإنه قبل أيام من ارتفاع روحه الطاهرة إلى بارئها سأل عن أحد العلماء في الحوزة العلمية في قم حيث كان يعتبر أحد الخواص في أحد الأيام من الشخصيات العلمية والأخلاقية والمعنوية والعرفانية الكبيرة ولكنه من المنسيين وغير المعروفين عند عامة الناس ومن ثم أمر سماحته بإرسال مبلغ من المال إليه وتقرر أن أقوم بإيصال المبلغ المذكور له في قم ولكنني تأخرت عن القيام بهذه المهمة، وكان السبب أننا كنا في شهر رمضان المبارك ولا أريد قطع نية الإقامة في السفر. اشتد أثنائها مرض الإمام وانتقل إلى المستشفى وبعد ذلك ارتحل إلى الملكوت الأعلى ولم أكن قد أوصلت الأمانة بعد وبناءً على وصية الإمام في تحويل الأموال والحقوق الشرعية إلى مديرية الحوزة العلمية

في قم انتهزت هذه الفرصة وأنهيت كلّ الحسابات وحولتها إلى شيك مصرفي وبعد أن قمت بالإجراءات اللازمة لذلك، توجهت إلى مدينة قم المقدسة. ولكنني لم أوفق بوجوده هناك، وحاولت عدة مرات السؤال عنه دون جدوى حتى وفقني الله بعد عدة أشهر من التعب والتفتيش للاتصال به هاتفياً وتحديثت معه وقلت له: أنا فلان الفلاني، فشعرت بالسرور والارتياح من خلال حديثه معي نظراً للعلاقة القديمة التي تربطني به والمحبة التي يكنّها لي والتي تمتد إلى أكثر من عشرين سنة وعندما أخبرته بوجود أمانة له من الإمام تصور أنه سمع خطأ وفهمت أنه لم يلتفت للموضوع، أعدت الكلام ثانية إن لك أمانة من الإمام وأعتذر منكم عن التأخير الذي حصل في إيصالها إليكم ورغم طلاقة لسانه وفصاحته قال بشيء من التكلف.

من الإمام؟

الإمام... أمانة ماذا؟ حبس أنفاسه واستغرق في البكاء الذي لم يدع مجالاً للكلام، وعندما ذهبت لزيارته بناء على الموعد الذي اتفقنا عليه وجدته ينتظرني بفارغ الصبر، دخلت إلى بيته المتواضع وجلست في غرفة الاستقبال الصغيرة جداً، وكانت الساعة تشير إلى تمام الثالثة بعد الظهر من أيام الصيف الحارة في قم، حيث لم تتمكن المروحة الصغيرة من تخفيف حرارة الطقس المرتفعة وحرارة الصداقة الملتهبة، وهو حتى الساعة لم يصدق نفسه أنني أجلس إلى جانبه حاملاً إليه أمانة من الإمام، تُسلم إليه بعد ثلاثة أشهر من رحيله، وهو لم يعلم شيئاً عن ماهيتها ونوعها فحلّ البكاء مكان السؤال عنه والاطمئنان عن صحته وبعد الانتهاء من هذه الحالة التي امتزجت فيها الدموع الصادقة بلهفة الشوق واللقاء، شرحت له بالتفصيل ما جرى، فبكى من جديد بكاءً شديداً أحسست أن هذا البكاء ليس عادياً ويستيقظ شيئاً مهماً لم يفصح عنه وأخيراً تمكن شيئاً فشيئاً من الكلام، علمت أنه كان مريضاً ويقضي فصل الصيف في مشهد ولتوه وصل إلى قم ولما علم أن الإمام قد فكر به وسأل عنه وظاهراً أنه لا يعلم عن وضعه شيئاً تأثر كثيراً وتجدد عزائه بفقد الإمام، كان لطف الإمام وإصداره الأمر بإرسال مبلغ من المال أحد طرفي القضية، والطرف الآخر كان التأخير الذي حصل إلى ما بعد رحلة الإمام وعدم وجوده في قم وأخيراً وصول الأمانة في ذلك اليوم من أواخر الشهر وفي تلك الساعة خاصة بعد أن علمت بأنه لم يكن عنده خبزاً يأكله في ذلك اليوم.

وما إصدار الإمام أوامره بالمبلغ المذكور والذي تزامن مع سلسلة من العلل والأسباب التي طرأت فيما بعد وأدت إلى إيصال الأمانة في ذلك اليوم وتلك اللحظة إلا هدفاً لقضاء حاجة هذا الرجل الإلهي، هذه الأمور التي لم تكن صدفة بل إن المشيئة الإلهية أرادت أن يحدث ذلك وبواسطة العبد الإلهي الإمام الخميني العظيم.

إجازة للاستشارة

أحد العلماء المجاهدين الثوريين الفلسطينيين الذين كانوا في زيارة للجمهورية الإسلامية زار مكتب الإمام على رأس وفد مرافق له، كان ذلك في وقت كانت الأيام المعدة للقاء مع الإمام معطلة فسلموني نسخة من القرآن الكريم حتى يوقع عليها الإمام، وأكد على أن أطلب له من الإمام اخذ إجازة له في الاستشارة، لم يكن هناك مشكلة في موضوع التوقيع على نسخة القرآن الكريم، أما بخصوص الإجازة فاعتذرت له وقلت إن ذلك غير ممكن سعى هذا العالم الديني الفلسطيني المجاهد أن يقول لنا بأسلوب الكناية إنكم حتى الآن لا تعرفون الإمام ولم تكتشفوا عظمته وقال: أنت بأي دليل تقول أن ذلك غير ممكن وحتى الآن لم تطرح على الإمام مثل هذه المسألة، أم أنك طرحتها وأجابتك سماحته بالنفي؟ قلت: لم اسمع شيئاً من الإمام بخصوص هذه المسألة حتى الآن قال: إذا لم تعلم عن الموضوع شيئاً فراجائي أن توصل سلامي إلى الإمام وتعرض عليه المسألة والإمام نفسه يعي طلبتي ويعرف ماذا يجيب وفي اليوم 82/3/4 عندما تشرّفنا بخدمة الإمام وضمن انجاز الأعمال مع الإخوة تشاورنا في الأمر وكان رأيهم سلبياً وفي النهاية بعد طول تأمل وتفكير عرضت طلبه على الإمام فتفضل علينا قائلاً:

«إنه مجاز بذلك» وتعجبنا لأمر كثيراً لأننا لم نطلع على مثل هذا الموضوع من قبل.

مجلة حراس الإسلام والإمام

كان مصدّورا المجلات يرسلون بعض النسخ من مجلاتهم إلى مكتب الإمام، فنقوم بدورنا بتقديم نسخة واحدة من كل مجلة لسماحته وفي أحد الأيام بادرنا الإمام بالقول:

«لا مجال عندي لمطالعة كل هذه المجلات التي تجلبونها لي» لذ لا داعي لجلبها... أشار إلى المجلات.

وفي أحد الأيام وجد الظرف مناسباً أن أحمل نسخة من مجلة حراس الإسلام وأقدمها للإمام ليباركها بعد أن حصلت على إذن بذلك وبهذه الطريقة، بقيت هذه المجلة تصل إلى سماحته حتى شهر نيسان سنة 1989م يعني حتى آخر عدد من المجلة والإمام على قيد الحياة، عادة كان سماحته يتصفح المجلة ويمر على العناوين والموضوعات، وبلغ اهتمام الإمام بمجلة حراس الإسلام حدّاً كبيراً جداً وأصبح حافظاً وباعثاً للارتياح الكبير في نفسي وسائر الأخوة العاملين في المجلة لأن أي اعوجاج أو انحراف موجود في المجلة سيلاحظ الإمام من خلال فكره الإلهي ونظراته الربانية إلى طبيعة الأمور ويذكرني به، وعلى هذا الأساس كنت أقدم له أول نسخة من هذه المجلة بمجرد

صدورها من الطباعة، وأثناء زيارتنا له كان هو بدوره يتصفح المجلة ويراقب خطها وغلافها ضمن سائر أعماله، واذكر أن الإمام كان يهتم كثيراً بالغلاف الأخير الذي يحوي إطاراً ملونا ذكر فيه كلام المعصومين (ع).

أما فيما يتعلق بسائر التقارير الموجودة في داخلها، فكان يحملها معه إلى غرفته لبحثها ومطالعتها، وفي إحدى المرات حصل لدي تأخير عن إيصال أحد الأعداد لعدة أيام، فذكرني الحاج أحمد الخميني بأن الإمام سأل عن العدد الجديد للمجلة وقال: «لم يجلبوا العدد الجديد» فاعتذرت له من ثم أوصلته إلى يد الإمام وما ينبغي ذكره في المقام أنه كان مندرج في هذا العدد القسم الثالث أو الرابع عن حياة الإمام بلسان آية الله «بسنديدة» وينقل الحاج أحمد الخميني: أن الإمام كان يظهر إعجابه من قدرة الحفظ لآية الله بسنديده والملاحظات الكثيرة والدقيقة والظريفة التي أوردها رغم مرور الزمن عليها وتجاوزه التسعين سنة.

وبالالتفات إلى الموضوع المذكور أعلاه انتبهت أولاً: إلى أن الإمام قد طالع هذا الجزء من حياته وتتبعه بدقة، وثانياً إن عدم إبداء ملاحظات على ما قرأه كاشف عن صحة المسائل المذكورة. والمورد الآخر في الفترة التي طرح فيها مسألة مؤامرة كتاب الآيات الشيطانية والكتائب المرتد سلمان رشدي. كانت مجلة حراس الإسلام توجه الانتقادات الشديدة والتعاطي غير المناسب لبعض الوزارات في مقابل هذه المؤامرة التي حيكها بريطانيا، وعلى اثر ذلك كان الوزير المحترم يشنكي عليّ عند الإمام، ومنذ ذلك اليوم والشكاوي تمر، ومرت الأيام وتلتها الأسابيع ولم يبرز الإمام أي ردة فعل فيما يتعلق بتلك الانتقادات وتلك الشكاوى على الرغم من أنني أتشرف بخدمته يومياً، كان هذا نموذجاً للجمع بين المحافظة الشديدة على مسؤولي النظام الإسلامي والسماح بالانتقادات البناءة في مورد أعمالهم من خلال المجلات المؤيدة للثورة والنظام.

احذفوا كلمة العيد

في أواسط شهر آذار 1983م كتب متن من قبل المكتب كجواب وشكر لجميع الشخصيات الذين راسلوا برقيات ورسائل تبريك بمناسبة عيد النوروز والأول من نيسان[1] يوم الله، عرضنا المتن على الإمام ليصححه وبعد قراءته قال الإمام: «احذفوا كلمة العيد».

يوم النوروز

دأب الإمام على الحضور في الساعة الثامنة صباحاً من كل يوم وأثناء استماعه لموجز الأخبار طرق سمعي دق الجرس الخاص الموجود إلى جانبه. بعد سماعي صوت الجرس وبأقل من دقيقة واحدة، كنت حاضراً في خدمته وعادة ادخل عليه ولم يكن قد انتهى من بعد من سماع موجز الأخبار، وبعد الانتهاء من سماع الموجز يطفئ الراديو ويدخل عليه الطبيب الخاص لمراقبة ضغط الدم وبعد خروجه نبداً عملنا.

«يوم 29 اسفند 1361هـ بش تفضل قائلًا».

صباح الغد سأحضر بين الساعة التاسعة والتاسعة والربع، وكان الإمام يطلعنا على أي تأخير في المواقيت والمواعيد المحددة والمحسوبة بدقة وانتظام حتى لا يحصل أدنى أو فوضى في العمل.

على كل حال، نحن في يوم النوروز، دخلت غرفة الإمام الساعة التاسعة وعدة دقائق، لم يكن قد حضر الإمام بعد، ولكن بمقتضى الموعد المحدد لم تشر الساعة بعد إلى التاسعة والربع حتى شرف سماحته بنشاط أكثر من الأيام الأخرى وهو يرتدي عباءة جديدة ومبتسم الثغر دخل علينا وكان مجموع الحاضرين خمسة أشخاص مع الدكتور، وكرر كلامه عدة مرات قائلًا «عيد مبارك» بعد ذلك وضع في يده عدد من قطع النقود «ريال» فقام الحاضرون وبعد تقبيل يده الشريفة اخذ كل منا عدداً من القطع وتكرر هذا البرنامج في عيد النوروز في سنوات أخرى.

حلّ التنظيم

في أوائل شهر آب سنة 1983م بعد كلام الإمام الذي تهجم فيه على «تنظيم الحجتية» دون تسميتهم في خطابه أرسلت رسالة من قبل هذا التنظيم يتحدث مضمونها عن قرار اتخذه بتعليق نشاطاتهم وإلغاء جلساتهم فعرضت ذلك على الإمام وقبل قراءة متن الرسالة إن تنظيم الحجتية أعلن عن حل نفسه، وبعد أن قرأ متن الرسالة رأى أنهم قد استخدموا عبارة «تعليق» تسمي الإمام وتفضل قائلًا: «تعليق النشاط غير حل التنظيم»، هذا لا فائدة منه، إذا كانوا يفكرون ويعتقدون وأشار إلى ما ذكره في خطابه بالنسبة لهم، أن لا اثر لهذا العمل، هؤلاء فاسدون يفعلون ما يريدون ظناً منهم أنهم سيبقون سالمين، وقبل ذلك ظنوا!!!

طبعتم أوراقي نقدية جديدة عليها صورة المرحوم آية الله مدرسي، وقد احضروا عدة رزم من هذه الوراق لعرضها على الإمام حتى يباركها وما أن وقعت عيناه عليها تفضل قائلًا والانسباط بادٍ عليه:

«هؤلاء هم أولئك أنفسهم؟؟».

كان الإمام على اطلاع بموضوع طباعة أوراق نقدية جديدة، وكانت قد طرحت مرة في جلسة الملاحظة الخاصة بالأوراق النقدية، واخذ السيد رسولي واحدة منها وناولها لحضرة الإمام، وأراد أن يوضح له فأجاب قائلاً:

أعلم بذلك، وبعد ذلك وضع نظارته ونظر إلى الأوراق النقدية بدقة ومن ثم باركهم جميعاً.

الاهتمام بنتائج الانتخابات

كان الإمام بعد استماع لموجز أخبار الساعة الثامنة صباحاً، يدق الجرس الخاص بنا فنحضر سريعاً، أما في يومي 16 و17 نيسان 1984م حيث كانت تذاع نتائج الانتخابات العامة لمجلس الشورى الإسلامي، وفي هذين اليومين فقط وبشكل استثنائي تأخر الإمام عن مواعيد المحدد وخاصة في اليوم الذي أعلن فيه النتائج النهائية وأسماء الفائزين وما هذا التأخير الاستثنائي إلا تأكيداً على اهتمام سماعته بموضوع انتخابات ممثلي الشعب الذين فازوا بالانتخابات.

غير مبذوء بذكر الله

صباح يوم الأحد بتاريخ 1985/3/10م قدمت للإمام مجموعة من التقارير والنشرات، وكما جرت العادة ننشغل نحن بإنجاز الأعمال الموكولة إلينا وينصرف الإمام أثناءها لقراءة ومطالعة هذه التقارير وبينما هو مستغرق بمطالعة إحدى النشرات التي تصدر عن إحدى المؤسسات الإعلامية والتبليغية تفضل قائلاً:

«قولوا لهم شيئاً من قبيل... لماذا لا يبدعون نشرتهم بسم الله؟».

هذا نموذج عن نظر الإمام الثاقب ودقته من جميع النواحي مؤكداً بذلك على ضرورة مراعاة الآداب الإسلامية والاهتمام بها إلى هذا المستوى.

الاهتمام الخاص بالمجاهدين في لبنان

كان لحزب الله والمقاومة الإسلامية في لبنان مكانة خاصة عند الإمام وهو الذي حمل لواء الدفاع عن الشيعة والمسلمين في لبنان، وفي أكثر من مناسبة عامة هادفاً من ذلك تأكيد اهتمامه ودعمه الكامل لكل المجاهدين في لبنان الذين أبقوا حدود جنوبه مفتوحة في صراع مع العدو الصهيوني بينما تنعم باقي الحدود مع العدو بهدوء الذل والعار والموت، فلبنان الوحيد الذي يخوض مواجهة مع العدو من خلال حدوده الجنوبية بقدرات وسواعد مجاهدي المقاومة الإسلامية الذين استطاعوا من تجاوز الخطوط الحمراء المرسومة، وتمكنوا من سلب امن الأعداء الصهاينة وتحطيم آمالهم الطامحة، وأحلامهم التوسعية وقضوا على مشاريع أمريكا ورببيتها إسرائيل في المنطقة من جراء ضرباتهم المهلكة التي نزلت عليهم وما زالت.

الإجازات الشرعية الاستثنائية

في إحدى الفترات الزمنية لم يعد يسمح للإمام إلا بصرف الثلث من الحقوق والوجوه الشرعية والحسبية. ولكنه استثنى من هذا القرار علماء لبنان الذين كانوا يحصلون على الإجازات في صرف الحقوق من خلال رابطهم حجة الإسلام السيد عيسى الطباطبائي وأبقى لهم حق التصرف بالثلثين على أن يرسل الثلث الباقي إلى مكتب الإمام في طهران لأخذ إيصال القبض بذلك، وهذا الثلث الذي كان يرسل كان يعاد ثانية إلى لبنان بناءً على إجازة من الإمام نفسه ويودع في بيت مال المسلمين الذي انشأ في لبنان من خلال المساعدات الخيرية بهدف إعانة الفقراء والمعوزين والمحتاجين، وفي الواقع أن الإمام كان يعيد كل الأموال الشرعية التي تصله من لبنان ثانية مما ساهم هذا العمل في تقوية الوضع الاقتصادي للحالة الإسلامية وكان له الدور المهم على المستوى المعنوي للمسلمين في لبنان.

شباب حزب الله حجة على العلماء

الملاحظة الأخرى المهمة التي تدل على مكانة حزب الله الخاصة عند الإمام أنه بعد انتصار الثورة الإسلامية كان موقف الإمام حازماً وصارماً بخصوص عدم ذكر أي تنظيم سياسي أو حزبي على لسانه، بينما نراه في بيان الثورة الذي صدر بالمناسبة، لم يكف بدعوة الناس والشعوب الإسلامية وحسب بل يؤكد على علماء الإسلام، إعتبار شباب حزب الله في لبنان حجة عليهم ونموذج يجب الاقتداء به وفي هذا المقام اقطع بأنه لا يمكن أن يكون بمثل هذا التصريح والصراحة في الكلام الحكيم للإمام دون دليل قاطع ومهم عند الإمام وهادفاً من خلاله.

آخر لقاء وآخر يوم

نموذج آخر يعبر عن مدى الحب الخاص الذي يكنه لشباب المقاومة الإسلامية نشعر به من خلال تحديد مواعيد اللقاءات مع الإمام لم نطلب منه لقاءً سواء كان لقيادة حزب الله أو لعوائل الشهداء أو أشخاص عاديين إلا ويوافق على الموعد وهو منفرج الأسارير ومسرور خاطر، مطمئن البال وآخر حادثة حصلت قبل رحيله كانت ملفته للنظر وأثارت فينا الدهشة.

قبل آخر يوم من انتقال الإمام إلى المستشفى، كان آخر يوم للاقائه معه الناس وتقبيل يديه المباركتين، وكما جرت العادة، أخذت حصتي من البطاقات التي تسمح بدخول الشخص إلى مجلس الإمام لتقبيل يديه، ووزعتها على أصحابها في اليوم الذي سبق الموعد وقبل الساعة الثامنة صباحاً بعدة دقائق حضرت امرأة عجوز إلى المكتب وبعد التعريف باسمها تبين أنها لبنانية ووالدة شهيد كان قد قام بعملية استشهادية تمكن من خلالها من قتل وجرح مئات الجنود الصهاينة في لبنان.

عندها أخذت بطاقة من احد الأخوة الذين كنت قد أعطيتها إياها وأعطيتها لوالدة الشهيد، ومباشرة وفقت بالدخول للقاء الإمام وتقبيل يديه المباركتين وفي الأثناء عرفتها بأنها والددة شهيد استشهد في لبنان، فانبسطت أسارير وجهه، وارتسمت على محياه علامات البهجة والسرور وبدأ يسأل عنها وعن أحوالها ويتفقددها بلطف ومحبة ودعا لها لعدة لحظات بشكل استثنائي.

الفن، وفن الإمام

يعتبر الإمام الخميني فناً بكل ما للكلمة من معنى، ملماً بأنواع الفنون وشؤونها المختلفة هذا الفن الذي استوحاه من فطرته الطاهرة والمتعالية، ونماه وغذاه بالتعليم والتربية الإسلامية ليصاغ في أجمل القوالب ويثمر محتوى ومضموناً إلهياً كان الفن يتجسد في كلماته، ومؤلفاته وخطه جنباً إلى جنب مع العمل في ترويح ونشر مفاهيم الوحي للمجتمع الإسلامي والإنساني، حيث يتطلب الحديث حول كل خطاب أو مقال فصلاً مستقلاً، وفي هذا المقام أذكر بعض النماذج التي أتذكرها لسماحته عن حبه للفن وعلاقته به.

ألست أصفهانياً؟!

عندما قرر الإمام في النجف الشرف إرسال الكثير من كتاباته إلى المطبعة ليتم طبعها وبما أن المكلفين بالطباعة لا يعرفون الخط الفارسي المكسر، طلبوا مني أن استنسخ هذه الكتابات، وبعد أن قمت بالمطوب وعرضته على سماحته رفع رأسه إلى الأعلى وهو يتبسم وتفضل علي بلطف مازحاً: «ألست أصفهانياً؟!» كنت متيقناً انه يعلم بأنني أصفهاني ونظراً للهجة السؤال التفت إلى أنه ليس جاداً بسؤاله لذا طأطأت رأسي خجلاً إلى الأسفل وأكمل الإمام كلامه: «أفضل الخطوط هي تلك الموجودة عند الأتراك في إيران وفي سائر أنحاء العالم، وفي تركيا. تقدم العثمانيون على الجميع في فن الخط». وبهذا النحو كان الإمام يتكلم بلهجة تموج بالعشق والمحبة ليبين لي ملاحظة ساعدت في تشجيعي وترغيبني على تحسين خطي. وفي جماران أيضاً، كنت أقوم بكل افتخار باستنساخ أو تحسين بعض الكتابات.

وفي أحد الأيام وأنا أنسخ بعض الكتابات وردت عبارة تؤكد على كتابة المطلب بأنواع الخطوط الثلاثة: خط النسخي، خط النستعلقية، خط الثالث فممت بذلك وبعد انتهائي من العمل عرضته على الإمام فتأمل به وغمرني بمحبته ولطفه المعهودين وتبسم قائلاً: «كلا الخطان جيدان».

لم أفهم النكتة التي أرادها الإمام من هذا الكلام علماً أن الإمام ملّم بفن الخطوط ويعرف دقائق شؤونه كما أن الكتابة المذكورة كانت خطوطها جميلة وشبيهة لبعضها البعض ولا يوجد فرق بينها فلماذا قال سماحته «خطان» وما المقصود من ذلك؟ إن بعض الحاضرين فسر الموضوع واحتمل أن تكون وجهة نظر الإمام وقصده من «الخطين جيدين» ما يلي:

الخط الأول: هو الكتابة الجميلة لأنواع الخطوط الثلاثة.

الخط الثاني: هو الخط الفكري.

ضعوها هنا

أرسلت إحدى اللوحات الفنية التي تصور النبي الأكرم في زمان شبابه إلى الإمام، وبقيت فترة طويلة في المكتب وكنا مترددين هل نقدمها إلى الإمام؟ وهل سيكون مسروراً أم لا؟ وتصورنا ذلك قياساً على أن أهل العرفان لا يستسيغون رسم صورة النبي أو الإمام علي والتي لا يوجد دليل على انتسابهما لهما.

وفي النهاية قررنا أن نوصلها إلى الإمام باعتبار أداء الأمانة، وعندما تشرّفنا بحضوره كنت أحمل اللوحة بيدي فالتفت الإمام وأمعن في النظر إليها فقلت له إن هذه الصورة تشبه النبي الكرم (ص) ولكنه على غير عادته التي يطلب منا الاحتفاظ بها تفضل وبدون تأمل قائلاً: «ضعوها هنا».

وأشار بيده إلى مكان عال في الغرفة، فوضعتها وانصرفنا بعد أن أنهينا جميع أعمالنا اليومية وفي اليوم التالي تشرّفت بزيارة وفوجئت بعدم وجود اللوحة في الغرفة ولم نعرف ولم ندري ما الذي جرى؟ وبعد فترة اشتد عليه مرض القلب مجدداً وبعد مغادرته المستشفى انتقل

إلى منزله وطبيعي انه بقي فترة لم يحضر إلى الغرفة التي كان تستخدم لأجل العمل واللقاءات والزيارات. لذا كانت المرة الأولى التي ندخل فيها إلى غرفة الإمام الشخصية الخاصة به لأجل انجاز بعض الأعمال وأول شيء أثار انتباهنا في الغرفة كانت تلك اللوحة التي ثبتها هناك، في النقطة المقابلة تماماً لسريه الذي يجلس عليه وبقيت هذه الصورة مكانها حتى آخر أيام حياته الشريفة. كانت هذه الصورة مورد علاقة واهتمام الإمام إلى حد أنها تعتبر عنده اختباراً لأي شخص يدعي علاقته لصاحب الزمان وكانت إحدى ثلاث موضوعات سأل عنها الإمام لأجل كشف الحقيقة.

وكان قد طرق الأسماع أيضاً أن الغزل العرفاني المعروف «... الذي نظمه الإمام كأن بتأثير هذه الصورة والسبب الأساسي لعلاقة الإمام بهذه اللوحة هي انتسابها لرسول الله (ص) ويحتمل على حسب النقل أن أصل هذه الصورة كانت قد رسمت بواسطة الراهب الذي التقى النبي الأكبر (ص) على ما يبدو خلال إحدى رحلاته إلى الشام».

واستطاع من خلال براعته الفنية أن يرسم هذه اللوحة على هذا النحو من الروعة والجمال، وتمكن من تصوير الحالة العصامية (ع) كما استطاع تجسيد الصورة شبيهة بلامح ومواصفات رسول الله التي نقلتها كتب السيرة إن أصحاب الذوق الرفيع ومحبي الفن، وعشاق الجمال يجيدون إحضار صورة المحبوب الجميل في وجدانهم.

جائزة لأحد الأطفال

وفق أحد الأصدقاء وعائلته بنقيب يدي الإمام، وبعد انتهاء اللقاء وأثناء عودتهم من المكتب قال: هذا وليد في صف الخامس ابتدائي يريد تقديم دفتر الرسم الذي عنده ليطلعه على الإمام ولكن مسؤولين الحرس منعه من إحضاره معه للإمام فأنزعج لهذا التصرف كثيراً، فأخذت دفتر الرسم، وفي اليوم التالي وبعد أن أوضحت الأمر لسماحته قدمت له الدفتر واطلع الإمام على جميع أوراقه وكم كان سروره عظيماً عندما شاهد صورة لدبابة على غلاف الدفتر حيث كانت المبراة جنزيراً لها والكتاب برجها وقلم الرصاص سبطانتهما والطفل الصغير قائدها، لاحظ الصورة وتبسم، ثم اصدر أمراً بتقديم جائزة مناسبة لهذا الطفل الصغير من باب تشجيعه وحثه على الإبداع وتقدير أعماله التي كانت قد أعدت من خلال إدارة التربية والتعليم في المنطقة الثالثة في طهران. وقدمنا الجائزة مرفقة برسالة عن طريق المكتب.

ليس عندي ميل

اثنتان من أعضاء مكتب الإمام المعروفين أرادوا ترشيح أنفسهما عن مدينة مشهد لانتخابات مجلس الخبراء، الدورة الثانية على لائحة أحد الجنتحة السياسية. وعرض احدهم هذا المر على الإمام ففضل بالإجابة:

«لا أَرغب في أن تترشحا للانتخابات لأنكما محسوبان عليّ، فإذا لم تتجحا وتحصلا الأصوات المطلوبة فهذا يضر بسمعتكما، وإذا نجحتما يمكن أن يقال أنكما فرضتما فرضاً، إضافة إلى أن هذا العمل فيه توهين لعلماء مشهد، والجدير ذكره أن هذين الشخصين ليسا من أهل خراسان».

[1] يوم اختيار النظام الإسلامي في إيران الأول من نيسان بصادف الثاني عشر من شهر فروردين في السنة الإيرانية وهو اليوم الذي تم فيه الاستفتاء على الجمهورية الإسلامية وسمي آنذاك «بيوم الله».

إن القسم المهم من الرسائل التي كانت ترسل إلى مكتب الإمام باسمه عبارة عن استفتاءات ومسائل شرعية، وأمثال هذه الرسائل كنا نرسلها كل عد أيام مرة إلى كتب الاستفتاء الشرعي، وعندما يذيلونها بالأجوبة على طبق فتاوى سماحة الإمام، وبعد إعادتها إلينا نقوم بدورها ونضعها بين يدي سماحته مباشرة فيحملها معه إلى غرفة المطالعة لقراءتها ثم يعيدها إلى غرفة عمله بعد يوم أو يومين فأمرها بتوقيعه الشريف، وهنا لابد من الإشارة إلى الخبرة العلمية والعملية لآيات الله في مجلس الاستفتاء التي ناهزت العشرين سنة في هذا المجال بالإضافة إلى ما وصلوا إليه من تسلط كامل على المباني الفقهية في إجاباتهم على الأسئلة الشرعية ومطابقتها لمباني الإمام وفتاويه، رغم ذلك كان الإمام يدقق ويلتفت لأدق النكات، وإذا اقتضى الأمر في بعض الحالات إضافة شيء ورأى ذلك ضرورياً كان يقيد أو يوضح ويضيف ذلك بخطه المبارك، وهنا نلاحظ بعض النماذج لذلك: سؤال:

أنا امرأة أبلغ من العمر ستة وثلاثين سنة، وعندي أربعة أطفال منذ فترة وأنا أشعر بوجع في ظهري، وابتليت بعدم القدرة على القيام بأعمال متعبة، ويجب علي أن أرقد للراحة وهذا ليس متيسراً لي، وفي هذا المجال قال لي الأطباء بضرورة عدم الحمل بعد الآن، فهل يجوز لي في مثل هذه الظروف أن أضع اللولب مع رضى زوجي بذلك.

الجواب: بسمه تعالى

لا مانع من وضع اللولب إذا لم يؤد إلى نقص أو فساد العضو أو إلى العقم الدائم. «لا مانع لأمثالك في أي صورة كانت».

نموذج آخر: سؤال:

ما هو حكم السجود على السجدة المكتوب عليها أو المنقوش عليها.

الجواب: «لا مانع، أما إذا كان منقوشاً عليها قصراً ملكياً فلا يسجد عليها».

مورد آخر: سؤال:

إذا نشزت الزوجة أو الزوج أو كليهما ولم تؤثر معه أي مرتبة لرفع النشوز فهل يجوز الطلاق.

الجواب: بسمه تعالى

الطلاق بيد الرجل وفي بعض الحالات يمكن للمجتهد العادل أن يطلق إذا لم يستطع أن يرضخ الزوج على الطلاق بسهولة.

والجدير ذكره أن أجوبة الاستفتاءات تكون ممهورة بتوقيع الإمام إلا أنه في الفترة الأخيرة أصبحت أجوبة الاستفتاءات ترسل للسانلين مباشرة من مجلس الاستفتاءات ممهورة بتوقيعهم. والملاحظة الأخرى هي أنني كنت أرسل الإجابات على الاستفتاءات للسانلين دون الاحتفاظ بنسخة منها في المكتب واستمر الحال إلى ما قبل سنة 1981م أما بعد ذلك التاريخ وبلطف الله وفقت بطريقة ما وحصلت على آلة تصوير «فوتوكبي» وشرعت بالاحتفاظ بنسخة في المكتب عن كل استفتاء قبل إرساله للسائل. حيث تمت طباعة جزء كبير من هذه الاستفتاءات بواسطة دور النشر التابع لجامعة المدرسين في قم.

وهنا أبين النماذج من الأسئلة والأجوبة المتعلقة بالمسائل الشرعية التي طرحت على الإمام في مناسبات متعددة مع ذكريات عنها:

الصلاة

بتاريخ 1983/10/26م أحد الشباب يسأل بأن والده رجل فاسق غير مبال ولا دين له يريد منعي من الصلاة في البيت وكان قد قال لي بأنني لست راضياً أن تصلي في بيتي فهل يحق له ذلك وما هو تكليفي:

أجاب الإمام: مخطئ الرجل ليذهب ويصلي لا إشكال في ذلك.

لا ينبغي المشاركة

بتاريخ 1987/3/4م أحد المسؤولين في وزارة الخارجية الإسلامية يسأل عن تكليف سفراء وممثلي الجمهورية الإسلامية في الخارج عندما توجه إليهم دعوة رسمية للحضور في مناسبات الآخرين.

ما هو التكليف الشرعي لسفرنا وممثلينا في الخارج عندما يدعون للمشاركة في الاحتفالات والمناسبات التي لا تخلو من وجود المشروبات الروحية، علماً إذا لم نشاركهم حفلاتهم ومناسباتهم يمتنعون حينها عن مشاركتنا لحفلاتنا ومناسباتنا فيجب الإمام.

ينبغي عدم المشاركة وإبلاغهم بالسبب المانع من المشاركة.

إلى جهنم

أحد السفراء كتب إلينا: يوجد مشروبات روحية في بعض المجالس والحفلات التي ندعى إليها، وإذا رفضنا الدعوة ولم نشارك يفسرون ذلك بأمور ذات أبعاد مختلفة قد تؤدي إلى إيجاد مشاكل في العلاقات بيننا.

سماحة الإمام يجيب: لجهنم وبئس المصير، يجب عدم الخوف من هذه التحليلات، وينبغي عدم الذهاب، وإبلاغهم بالسبب المانع ليفهموا شيئاً فشيئاً سبب عدم ذهابكم.

حكم الوسواس

أطلعتني أحد الأصدقاء على أن زوجته مبتلية بمرض الوسواس في وضوئها وطهارتها وصلاتها فتبدأ بوضوء وصلاة الظهر من حيث الزوال الشرعي وتنتهي منها وقت الغروب وتبدأ بصلاة المغرب في أول وقتها ويحل منتصف الليل الشرعي وهي لم تنته بعد من صلاتها. واضطرت حياتي كلها وتحولت إلى جحيم لا يطاق، حتى أن أطفالها ملوا هذه الحياة ويصرخون علي أن أتركها، والآن وصلنا إلى آخر المطاف واتفقنا على أن نسأل الإمام عن تكليفنا وتعهدها بأن نلتزم بما تفضل به.

وأنا بدوري عرضت كما هو على سماحة الإمام فأجاب متفضلاً:

يجب أن تعطى نفس المهلة التي يحتاجها الإنسان العادي في وضوئه وصلاته فإذا أنهت وضوءها وصلاتها في هذه المهلة تكون قد حلت المشكلة، وإذا لم تنجز عملها يسقط عنها التكليف حتى تنتهي هذه الحالة عندها.

عليهم تحصيل الإجازة

في مورد احد المكلفين الذي اشترى بيتاً بمال تعلق فيه الخمس وباعه بعد مرور سنة على شرائه قيل في هذه المسألة أن الإمام أطلق حكماً كلياً وفتوى عامة أنه لا يجب دفع الخمس إذا كان المكلف غير قادر على الدفع وأسند الكلام لي في جواب أحد الأصدقاء على هذه المسألة بينما الذي كنت قد نقلته وقلته في هذا الخصوص هو أن الإمام يجيب في مثل هذه الموارد بحسب موضوع كل سؤال، فيتفضل مثلاً:

«أبرئت ذمته».

أو يتفضل «يدفع حينما يصبح قادراً».

ولكن في نهاية المطاف تقرر أن اسأل الإمام ثانية، لذا بتاريخ 64/11/20 عندما تشرفت بمحضر سماحته سألته هل هذا النوع من إبراء الذمة هو حكم كلي وفتوى عامة أم أنه يحدد على ضوء الموضوع ومورد السؤال وهل كل مورد يحتاج إلى إذن خاص به أم لا؟ فأجاب الإمام:

الحكم ليس كلياً وعلى حسب مورد السؤال يجب أخذ الإجازة.

سؤال بالنسبة إلى الموسيقى

فيما يخص موضوع الموسيقى سنل الإمام عن:

ما هو الحد الفاصل بين حلية وحرمة الموسيقى، فأجاب الإمام كما يجيب دائماً

«الموسيقى المطربة حرام».

قيل له: إن الهدف من السؤال بالتحديد هو بخصوص الأناشيد التي تبث من إذاعة وتلفزيون الجمهورية الإسلامية: فأجاب الإمام بخصوص ذلك «كلا ليس حراماً».

المصالحة

بناءً على توصية من احد أعضاء مجلس الاستفتاء المحترمين أن تعرض المسألة رقم 29 صفحة 599، المجلد الأول من تحرير الوسيلة حيث جاء «فيه تردد»

عرضتها على الإمام وقرأتها له: وبما أنها مورد ابتلاء وحاجة ماذا ينبغي أن نفعل؟ تأمل قليلاً فأجاب مبتسماً:

«جيد، أنا متردد».

أيضاً كررت له، ماذا ينبغي أن نعمل؟ فأجاب:

«لا بد من المصالحة».

طهران من المدن الكبرى

سئل الإمام هل أن منطقة شميران جزء من طهران الكبيرة أم لا؟

فأجاب: أنها جزء من طهران الكبيرة.

وشبه الأمر ببحرين بينهما حاجز فعندما نزله يصبحان بحراً واحداً، وإذا لم تكن شميران ومدينة ري وأمثالها جزءاً من طهران الكبيرة فطهران على هذا الفرض ليست من المدن الكبيرة ومع هذه المناطق تصبح من المدن الكبيرة أيار/1984م.

المقصد في السفر

نقل أحد أعضاء هيئة الاستفتاء المحترمين أنه سأل الإمام:

ما هو الملاك في تحديد المسافة فيما إذا سافر شخص وكان المسافة التي قطعها إلى مدخل المدينة أقل من أربعة فراسخ شرعية، بينما إذا سافر إلى نقطة ما داخل المدينة تصبح المسافة التي قطعها أكثر من أربعة فراسخ شرعية فيجب الإمام على ذلك:

إذا كان الهدف هو نفس المدينة فيكون ملاك المسافة مدخل المدينة وأما فيما لو لم يكن لديه عمل في المدينة، إنما يريد الذهاب إلى المصنع الفلاني فيكون ملاك المسافة حينها هو نفس النقطة المقصودة.

مشكل

سألت سماحة الإمام، هل يمكن التفكيك في القصد والنية عندما يريد إنسان أن يأخذ من حساب البنك بين الفائدة والمال الخمس وغير الخمس فتفضل الإمام بالإجابة:

«التفكيك مشكل».

عبدية الموظفين لا خمس فيها

سئل الإمام بخصوص المبلغ الذي تدفعه الدولة للموظفين بعنوان عيدية في الواقع أن المال الذي تدفعه الدولة للموظفين تحت عنوان «عيدية» لو أرادت دفعه جزءاً من الراتب الرسمي لهم يؤدي إلى زيادة التورم بينما تحت هذا العنوان تكون الدولة قد حققت الزيادة على الرواتب وفي نفس الوقت تخلصت من محذور التورم ولم انته بعد من إكمال السؤال...

حتى أجب الإمام:

«طبعاً أنت تسأل بخصوص تعلق الخمس به»

قلت له: نعم

قال: «كلا، لا خمس فيه».

في أوائل شهر رمضان المبارك كنا دائماً نكرر السؤال على الإمام الذي يعتبر فيه أن ملاك أذان الفجر الصادق، طرح سؤال بخصوص أن مدينة كطهران حيث أن الإضاءة الكهربائية فيها تمنع من إمكانية تبين الفجر الصادق.

في احد الأيام وبينما كنا نتحدث عن إمكانية تبين الفجر بعد سماع أذان الصبح من الإذاعة بدقائق معدودة وبينما الإمام ينظر إلي والسيد رسولي تفضل بالقول: اذهب في احد الأيام إلى خارج المدينة لتبين الفجر، كانت وجهة نظره أن نذهب إلى مكان بعيد عن أضواء وإنارة الكهرباء لنرى بأم العين متى يطلع الفجر الصادق، ولكن نظراً لعدم رغبتنا في قطع نية الإقامة في طهران لم نقوم بهذا العمل مما دفع بالإمام بعد عدة أيام أن يخاطبنا بلهجة حادة وقاسية على التأخير الذي حصل وجعلنا نشعر بالخجل من أنفسنا وعلى كل حال بقي محذور قطع نية الإقامة قائماً بالنسبة لي، ولكن السيد رسولي قرر الذهاب منفرداً في اليوم الثاني ليتحقق من الأمر، وعندما تشرفنا كالعادة في محضر سماحته عرضاً له أنه لا يمكن تبين الفجر إلا بعد مرور نصف ساعة على الأقل بعد أذان الصبح، ولكن الإمام ضمن رفضه لهذا النتيجة تفضل قائلاً:

«كلا ليس الأمر كذلك ليس أكثر من 10-15 دقيقة».

وكان الإمام في مناسبة أخرى فيما يتعلق بتبيين الفجر في الليالي المقمرة في هذه الليالي التي يكون فيها ضوء القمر مانعاً من تبين الفجر ويستلزم تأخيراً في الوقت الواقعي للتبين مع أن الإمام يعتبر التبين واجباً احتياطياً وبينما كان البعض يقول أن هذه الليالي تستمر إلى ليلة الخامس والعشرين والسادس والعشرين من الشهر القمري تفضل الإمام بالقول: الليالي المقمرة تستمر إلى الثالث والعشرين أو الثاني والعشرين ولعله فقط إلى الليلة العشرين من الشهر فعرض السيد رسولي أن موضوع «التبين» على الظاهر كان في السابق «فتوى» وليس احتياطياً وجوبياً.

فأجاب الإمام: نعم صحيح، ولكن رأيي الآن انه واجباً احتياطياً كان السيد احمد الخميني حاضراً أيضاً في ذلك الوقت فقال: على كل حال يجب علينا أن نصبر فقال الإمام:

الفرق بين الاحتياط الوجوبي والفتوى أنه في موضع «الاحتياط الوجوبي يمكن الرجوع إلى الغير في هذه المسألة» أيلول/1989م.

والجدير ذكره في هذا الموضوع أن اثنان من فضلاء الحوزة العلمية في قم قاما بتحقيق موضوع عدم وجوب التبين وكتبا بهذا الشأن رسالة خاصة وأرسلها إلى الإمام.

الفصل العاشر الأيام الخيرة في مكان العمل

الأيام الأخيرة في مكان العمل

جرت العادة أن نتشرف بلقاء الإمام يومياً، ونأخذ من وقته ما بين العشرين والخمسين دقيقة بعد أن يستمع لموجز أخبار الساعة الثامنة صباحاً ويبدأ الإمام جلسته بالإجابة على الاستفتاءات الشرعية وإمضاء الإجازات في صرف الحقوق الشرعية، بعدها مباشرة نقوم بانجاز المعاملات ومهلا الإيصالات القبض المتعلقة بالوجوه الشرعية وأثناء عملنا ينصرف الإمام للمطالعة وقراءة التقارير المحضرة سلفاً وهو يراقب ويشرف في الأثناء على مسار أعمالنا إما يوماً الأحد والاثنين الثالث والعشرين والرابع والعشرين من شهر أيار اللذان سبقا

الموعد المحدد لإجراء العملية الجراحية... طراً تعديل طفيف على البرنامج اليومي لعمل الإمام حيث لم يسمح له وضعه الخاص بالإجابة على أكثر من سؤالين بالإيماء والإشارة، وخف كلامه كثيراً ولم يعد ينصرف للمطالعة فترة انشغالنا بل أصبح يركن إلى السكينة والهدوء ويستغرق بالتفكير حتى يلج أعماق الأمور وهو يتأمل بنظرات تمتد إلى الأفق البعيد وحسب الظاهر كأنه لم يكن بيننا، بل لعله في حقيقته يسكن في مقره الأبدي. كانت حالته الصحية إلى حد ما جيدة كسائر الأوقات الأخرى التي كان معافى فيها، وكان طبيعياً في مجيئه إلى مكان اللقاءات وانجاز الأعمال وبحدود معرفتي الظاهر أن وضعه الصحي لم يكن سيئاً ولم يكن يعلم أنه يعاني من نوع معين من الأمراض وإلى ما قبل أسبوع من إجراء العملية كان طبيعياً وعادياً جداً وتناول المرطبات إلا أن طبيبه الخاص منعه عن ذلك وفي نهار الاثنين 1989/5/23 طلب منه الطبيب القيام بنفس العمل الذي أجراه له البارحة وهو (إدخال الناظور إلى جوفه)، مما أدى إلى اعتقاد الإمام أن هناك نزيفاً في المعدة من جراء تناوله الأدوية فخاطب الطبيب قائلاً:

إذا كنت تحتل أن لهذا العارض علاقة بتناولي أقراص الدواء ولأنني تألمت البارحة كثيراً أفضل عدم تناول الدواء لعشرة أيام لعل الآلام تزول.

فقال الطبيب: إن هذا العمل لازم وضروري (عمل إدخال الناظور ثانية) اسمحوا لي القيام بهذا العمل اليوم وأعدك لا أزعجك مثل البارحة وإذا نظرنا إلى خصوصيات الإمام نرى أنه قد مر بفترات مرضية أصعب مما هو عليه وإخفاء نوع المرض عنه وعدم اطلاعه على أن عمل يوم الاثنين إنما كان لأخذ عينة من مرض السرطان لا يعني أبداً حتى لو علم بال لحظة التي سوف يرحل فيها إلى مقره الأبدي أنها ستغير شيئاً بروحية الإمام، وما غرقه في عالم التفكير وولوجه الأعماق بتفكيره في تلك الأيام سوى خطأ بيانياً لم نستطيع إدراك معانيه.

ففي الوقت الذي كنا نعلم مدى الخطر الذي أحرق بالإمام نسبياً فهل هذا صحيح أن الإمام لم ير شيئاً وراء هذه الأمور التي اعتقدنا بأنه غير مطلع عليها في الظاهر؟ حقيقة أننا كنا عاجزين عن تصور ذلك.

في غرفة العمليات

في صبيحة يوم الثلاثاء 4 حزيران 1989م ورغم معرفتنا العامة بأن الإمام سيخضع لعملية جراحية، ولكن بما أنني لم أحب أن أصدق ذلك فذهبت كما جرت العادة يومياً إلى غرفة عمله لإنجاز بعض المعاملات والأعمال الأخرى، ولكنني فوجئت بأن الباب كان مغلقاً، فارتعش قلبي وخارت قواي، وذهبت مسرعاً بحالة هستيرية إلى المستشفى وما أن وصلت إلى الممر حتى وقعت عيناى على شاشة التلفزيون كان الإمام أثناءها يخضع للعملية الجراحية غائباً عن الوعي. والأطباء يحومون حول وجوده المبارك كما تحوم الفراشات حول ضوء الشمعة، ويتهيأون للبدء في العملية الجراحية أحسست لحظات الانتظار الثقيلة تلك كأنها الجبال تضغط على صدري، وبلغت الروح الحلقوم، وانهمرت الدموع ولهجت القلوب بذكر الله، وبدأت الشفاه تتمتم بالدعاء لحظات وبدأ رؤساء القوى الثلاث بالحضور تدريجياً حضرات السادة آية الله خامنئي، هاشمي رفسنجاني، موسوي أربيلي، إضافة إلى عدد من أعضاء مكتب الإمام والحاج أحمد الخميني وإحدى أخواته لم تفسح الدموع مجالاً لمشاهدة شاشة التلفزيون حيث كانت الأبصار شاخصة ومشدودة إليها، إلا أن أكثر الحاضرين اطمئنناً وثباتاً كان أبناؤه الذين ورثوا رباطة الجأش من ذاك القلب الذي لم يعرف الخوف إلا من الله، لم أقدر أن أتمالك نفسي وانظر إلى حالة الإمام كما لم أتحمّل الفراق والبعد كي أغمض عيناى عن رؤية المحبوب.

لا أدري أشق المبضع صدره الشريف أم انغرس في شفاف قلوبنا ساعات ثلاث أعيش الأمل الذي اختزل وطوى فيهم 30 سنة من الخواطر والذكريات بحلاوتها ومرارتها، مرارة الهجران وحلاوة الوصال، ثلاثين سنة من الحب والعشق والإرادة.

وانتهت اللحظات الخيرة، وبدأ السرور والفرح والبشر على الجميع حيث انتهت العملية الجراحية بنجاح تام دون أي عارض يذكر لقلبه الرؤوف ولحظات حلوة جداً، لحظة فرح واحدة اختزلت 30 سنة من حلاوة العشق له، ولحظة انتقال الإمام من غرفة العمليات كانت لحظة أبصرت فيها عيناى التي غمرتها دموع العشق والشوق وجهه النوراني الملكوتي ولحظة وصلت فيها قلوب الغارقين في بحر وجوده إلى شاطئ الأمان. حاولت أن أقدم الشكر للأطباء فخاننتني الألفاظ والكلمات على التعبير لم أقدر على النطق جل ما فعلته إنني قبلت يد الدكتور الذي أجرى العملية ولكن هذه الفرصة التي أعادت لنا الحياة لم تتأخر كثيراً وبدأت حالته تتغير وتقايرير الأطباء تتناقض حول وضعه الصحي وبدأت اللحظات التي تمضي ببطء ثقيل وكأن عقارب الزمان تدور ببطء مميت.

هناك خواطر كثيرة في ذهني عن أيام المستشفى، وهناك أناس كثيرون نالوا شرف الحضور إلى جانب الإمام في تلك الفترة، وكل واحد منهم كان يعبر عن لهفته للمحبيب بطريقة مختلفة من خلال:

العبادات - الصلوات، الأدعية، الابتهالات، البكاء في آخر الليل والتوسل إلى الله بشكل فاق التصور وهذا ديدن الإمام وسنته التي عمل بها حتى آخر حياته. وشاء الله عز وجل ألا يحرم هذه العيون الولهانة من رؤية الأبعاد المعنوية الخفية التي تنطوي عليها شخصية عبده الصالح، حين بين من خلال هذه المناسبة الاستثنائية والمحرزة في أن التجليات العظيمة للعبودية الصالحة له، التي سيسجلها التاريخ بحروف من ذهب على صفحاته الخالدة لتكون مناراً لكل السائرين في درب الله. لكن واسفاه فلا العين المجردة أو المهجر أو أي جهاز استكشاف يقوى على سبر أغوار مقام العبودية الخالصة التي جسدها الإمام وخلوص النية التي طبع عليها ثمانون سنة من العبادة الخالصة ثمانون سنة من المناجاة الليلية، ثمانون سنة من الرياضة الروحية والجهاد الأكبر والأصغر، ثمانون سنة من السير والعروج إلى الله - أين نحن من هذا وهو أين؟

إلى أي مكان في محلتك يمكن أن نصل مع أن الخيال لا يستطيع النزول فيه.

ومع كل هذا الوصف المسهب أقول إن المشيئة الإلهية قد اقتضت أن تكشف للعيان بصورة قاطعة ولو لبضعة أيام وليال أن قانون (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ)، الذي ينطبق على الجميع من الممكن أن يستثني بعض الأفراد المتميزين الذي يوفر لهم، «الخلق» القويم الذي يتمتعون به والذوبان الذي يعيشونه في ذات الحق من الناحية الباطنية، يوفر لهم مناعة تستعصي على الأمراض الجسدية كما تستعصي على الموت وإذا كان الإنسان هو مصداق. (وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا) بشكل عام فإن الروح الإلهية التي نفخها الخالق عز وجل في الإنسان من شأنها أن تحفظه من الانحطاط في (أردل العمر) ومن فقدان العلم والوعي اللذين يتمتع بهما فيقضي عمره حتى اللحظات الأخيرة وهو في قمة تجلي الشخصية الإنسانية والوسمة الروحية، وفي أوج التفاعل مع المشاعر السامية ومع كافة المواهب والمعارف الإلهية التي اكتسبها وفي ذروة توجهه إلى مبدأ الوجود والمعاد والمعارف الحقّة. لذا فهو ينطبق من معرفته المتكاملة وقدرته الواعية، ويكسر جدار الموت ويخلق في الفضاء الرحب اللامتناهي وفي أجواء العالم الأبدى والملكوت الأعلى ليلاقي وجه ربه مبدأ الكمال والوجود وكان كلما اقترب من لحظات الوداع الأخيرة يرتعش وجوده لله وتتجلى في آثار الحكمة والمعرفة الإلهية أكثر، ويشتد نور وجهه المبارك، في نفس الوقت كان كل يوم وكل ساعة يتراجع فيها من الناحية الجسدية يزداد ضعفاً وألماً وبحسب الموازين الطبيعية والمادية لمسار الجسم تبرز آثار الأوجاع ويشتد الألم وتكثر الآهات.

إلا أن شخصية الإنسان المتكامل ذات الحقيقة المدهشة كشخصية الإمام التي هيمنت روحه على عوالم الطبيعة والمادة، والذي لا يعتبر جسمه إلا مركباً للعبور يتخذ وضعية أخرى في منصة التجلي والظهور لم يعزف نأي وجوده إلا لله، ولم يلهج محل الآهات من آلام الجسد إلا بذكر الله ولحن روح الوصال والقرب واللقاء ولم يسطع نور وجهه الملكوتي إلا للحق وحلّ مكان العبوس والهم والألم الناشئ من مرض الجسد، نور الإيمان وطمأنينة

الخاطر، والنشاط والحيور والسرور لجل لقاء الرفيق الأعلى كان مصداقاً بارزاً للمؤمنين، الذين يحاسبون أنفسهم في هذه الدنيا قبل أن يحاسبوا.

إن الإمام الذي اتصلت روحه بحسب الظاهر بفناء التراب كانت في حقيقتها تتحرر من سجن البدن وتتصل بكمال الانقطاع من جميع تعلقاتها المادية لتتصل بالله الحق، بقلب هادئ وقلب مطمئن وروح فرحة وضمير يأمل فضل الله أسافر نحو المقر الأبدي.

وخلاصة الكلام لم يسمع ولم ير أي شخص في هذه الفترة الزمنية أي تأوه أو عبوس من آلامه الجسمانية، فقط كانت زفرته مناجاته وعطر عبادته وخشوعه قد ملأ فضاء وكيان وعيون وأذان وقلوب من حوله، كان وجوده معجزة إلهية أخذت جميع الحاضرين إلى محفل عشاقه بدهشة وإعجاب وإيمان راسخ لعلو مقام الإنسان المستقيم وخلق أحسن الخالقين.

وأنا لعبد الأقل، وعلى طبق أوامر الإمام كنت ملزماً القيام بعملتي الذي كلفت به وسعيت كثيراً في هذه الفترة والإمام على هذه الحالة كنت أشعر بالحاجة ولو إلى رد السلام منه، والحال كذلك لم أقدر أن أغمض عيني عن رؤيته وكيف ما كان كنت يومياً أكحل عيني عدة مرات بروية جماله الجميل وصار قلبي متيماً بوصاله ولقائه.

في هذا المقام أذكر أن الأيام المخصصة لإنجاز أعمال المكتب استمرت كما في السابق وكنت أتشرف بخدمة سماحته لإنجاز أعمال المكتب ومهر إيصالات القبض وغيرها يوم الجمعة (الأول من نيسان) في الوقت الذي - كما أشرت سابقاً - لم أكن أرغب في أن أزاحم الإمام خلال لقائي به، دخلت إلى الغرفة على أساس أن انظر إليه، ولكن أحد الأصدقاء والذي كان مشغولاً بعمله قرب سريره ونظراً للمحبة التي يكنها لي أعلم الإمام قائلاً:

جاء الشيخ رحيميان.

اضطرت على ضوء ذلك أن أقوم بواجبي فتقدمت إلى الإمام فتح الإمام عينيه المباركتان، وسلم علي، رددت التحية، ودعا لي بصوت يرتجف وقال لي بلهجة ملوفاً الحنان والمحبة:

إن شاء الله تكون موفقاً.

وهو يكمل الجملة وما أن وصل إلى آخر حرف حتى اختفى جوهر صوته وأغمض عينيه ثانية خرجت وأنا أبكي من شدة التأثر.

اليوم الخير

يوم الثلاثاء 3 حزيران كانت المراجعات بمكتب الإمام كثيرة في نفس الوقت كانت المعاملات والعمال الأخرى جاهزة لإنجازها في يوم الأحد كما جرت العادة، وبعد الظهر اتصل أحد الأخوة في المكتب بالمنزل واستدعاني للحضور في المناسبة كان رؤساء القوى الثلاث قد تركوا جلسة مجلس الرقابة على الدستور وحضروا إلى بيت الإمام، لعل أن هناك خبراً ما، وجميع الأخوة في المكتب كانوا قلقين وطلبوا مني الحضور بسرعة واختاروني لأذهب واتبين ما الخبر، حدود الساعة الرابعة بعد الظهر وصلت مسرعاً إلى المستشفى وفوجئت بجو الألم والحزن يخيم على الجميع، الجميع جلسوا في الباحة عيونهم تبكي بدت وجوههم شاحبة قد تغير لونها، لم أفهم ما الذي جرى، وعجزت عن النطق، وبدأت قدماي تهتز وترتجف وزادت نبضات قلبي مسرعة، لم أتمالك فيها نفسي على الوقوف تمكنت بعدها من استعادة قواي واستجمعت نفسي ونهضت متجهاً إلى غرفة الإمام وجدت

نفسي في أصعب لحظات حياتي، الإمام بحالة إغماء تام، تحيط من حوله الأجهزة الحديثة التي وضعت لمراقبة تنفسه ونبضات قلبه.

وكان الحزن واليأس يسيطران على جو الغرفة، ولم استطع تحمل ذلك لأكثر من لحظات ولأول مرة أدركت معنى شعر سعدي ولاسته حقيقة:

عند خروج الروح من البدن يقولون كل أنواع الكلام	
وقد رأيت بعيني خروج روحي	

وحدود المغرب تلا الأطباء تقريرهم عن حالة الإمام سنلوا عن تصورهم وتقديرهم لحالة الإمام في الأيام المقبلة، فكان جواب الأطباء: المسألة ليست مسألة أسبوع أو أيام المسألة أصبحت مسألة ساعات محددة، وعندما سمعوا هذه الجملة انهار الجميع ولكن بنفس الوقت التزم الجميع الهدوء والسكينة لترتيب بعض المسائل، صمت مرير وخفي، وامتزجت ظلمة الليل الدامس بليل الأسى والحزن حبس الجميع أنفاسهم، وغرقوا في بحر الحزن والألم تتقاذفهم أمواج اليأس، وأصبح أمل الجميع في أن يحرك الإمام أصبعاً له أو يرمش له جفن أو يرتفع ضغط الدم عنده درجة واحدة.

وصارت اللحظات اشد وطءً من أي شيء، تمضي ببطء مميت، وفجأة وقعت الواقعة وكانت أفجع وأوجع لحظة في التاريخ لم تشير عقارب الساعة العاشرة والنصف بعد حتى توقف قلب العالم الإسلامي عن الخفقان وبعد أن تراجع ضغط الدم إلى الصفر.

إن القلم واللسان عاجزان بالنطق عن وصف تلك اللحظات الصراخ والعيول يملأ فضاء المكان الرحب لدقائق معدودة بعدها التزم الجميع بالهدوء والصمت بناءً على توصيات أحد المسؤولين الكبار للتفكير بدراسة كيفية إعلان الخبر واختزن الجميع اللم في نفوسهم.

وبعد ساعة من منتصف الليل انتقل جسد الإمام الطاهر إلى نفس المكان الذي كان مخصصاً للقاعات العامة وجلسات العمل وتقبيل اليد لأجل تغسيله وتكفينه، وقبل أذان الصبح بقليل وبعد الانتهاء من تغسيله وتكفينه انتقل جسده إلى البراد الذي هيا من منزله في سرداب خصص لذلك ليستقر هناك.

الوداع

الليلة التي تلت يعني ليلة 5 حزيران تقرر أن ينقل الجسد الطاهر إلى المصلى، ذهبت منتصف الليل لأتشرف بإلقاء النظرة الأخيرة على ذلك الجسد المطهر، والذي كان يبدو ظاهراً أنه حي، وأكثر حيوية ونضارة من أي وقت مضى، قبلت قدميه التي لم تخطو خطوة إلا في سبيل الله، عدة مرات ووضعتها على رأسي، وشممت وجهه الوردي وقبلته الوداع الأخير، وطلبت منه المسامحة على أي تقصير بدر مني والتمسه الدعاء، واستأذنت مضطراً للخروج، وكانت هذه اللحظات من أعظم وأجل وفي نفس الوقت اللحظات الأشد حزناً وألماً في حياتي.

ذكريات وخواطر لا أستطيع أن أقول شيئاً تجاهها.

«وسلام الله عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً».